

موسوعة الفتوحات الإسلامية

تأليف

محمود شاكر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن / عمان

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن - عمان

هاتف: ٤٦٣٣٣٠٤ - تليفاكس: ٤٦٤٧٤٤٧

ص.ب: ١٤١٧٨١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م

رقم الايداع لدى دائرة

المكتبة الوطنية

(٢٠٠٢ / ٤ / ٩٠١)

٩٥٦

شاك
موسوعة الفتوحات الإسلامية/ محمود شاکر _ عمان:
دار أسامة، ٢٠٠٢.

() ص.

ر.إ. : ٢٠٠٢ / ٤ / ٩٠١

الواصفات: /التاريخ الإسلامي/ الفتوحات الإسلامية/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

إن سياسة التحرير والفتح التي انطلقت في عهد الخلفاء الراشدين قد حققت نجاحا باهرا ، حيث استطاعت الجيوش الإسلامية في عهد الدولة العباسية أن تصل حدودها إلى الأندلس غربا والصين شرقا .

وقد استطاعت الجيوش الإسلامية أن تهزم أكبر إمبراطوريتين في العالم حيث تمكنت من خلال توحيد أبناء القبائل العربية ضمن إطار الأمة الواحدة ، وتأمين المجال الحيوي للدولة العربية الإسلامية أن تنمو وتتطور على أرضية ملائمة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا .

لقد تساءل العديد من الباحثين عن السر الذي يقف وراء هذا النجاح العظيم الذي حققه العرب المسلمون في حروب التحرير ، وحاول البعض البحث عن ذلك السر في الضعف الداخلي الذي كانت تعاني منه الإمبراطوريتان الساسانية والبيزنطية من انقسام ديني وتباين اجتماعي وإنهاك نتيجة الحروب الطويلة ، غير أن هذه العوامل على أهميتها هي سلبية ساعدت العرب المسلمين على التغلب على هاتين الإمبراطوريتين .

إن العامل الإيجابي المحرك للأحداث الذي وحد أبناء القبائل العربية المتفرقة ، وأوجد لديهم الحافز المعنوي على الجهاد والاندفاع في حروب التحرير هو الإسلام فالقوة الدافعة في الدين الجديد ، وقوة الشعب العربي وتحفزه واجتماع حكمته كانت سر تفوقه .

وهكذا حقق العرب أعظم أمجادهم بالإسلام ، وحقق الإسلام أكبر نجاحاته بالعرب ، فلا عجب أن يبقى الإسلام والعرب متلازمين في نظر مختلف شعوب الأرض مدة طويلة من الزمن .

وسنحاول في هذه الموسوعة أن نسجل الأحداث التاريخية الإسلامية
ممثلة بالفتوحات التي قام بها المسلمون وسطروا من خلالها أروع البطولات في
التضحية والعطاء وأعظم الانتصارات على ساحات المعارك.
نسأل الله أن يوفقنا فيما أردناه والله من وراء القصد ,,

المؤلف

الفتوحات الإسلامية

في عهد الخلفاء الراشدين

(١) الفتوحات في عهد الخليفة "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن سعيد بن قيم بن قرة بن كعب بن لؤي القرشي ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ، واسم أبي قحافة عثمان .

لقب عتيقاً لعتقه من النار ، وقيل لحسن وجهه ، وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال (أبو بكر عتيق الله من النار) فمن يومئذ سمي "عتيقاً" وقيل سمي عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب فيه ، وأجمعت الأئمة على تسميته صديقاً ، قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : (إن الله تعالى هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله (ﷺ) صديقاً) وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول الله (ﷺ) ولازم الصدق فلم تقع منه هتات ولا كذبة في حال من الأحوال .

بعد وفاة الرسوم (ﷺ) في ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة (٩ حزيران سنة ٦٣٢م) ، اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة ^(١) لترشيحه لخلافة الرسول (ﷺ) في قيادة الدولة العربية الإسلامية ، فتم اختيار أبي بكر الصديق (عليه السلام) بعد أن بايعه عموم المهاجرين والأنصار بيعة الخلافة . ^(٢)
بعد أن تمت بيعة أبي بكر الصديق (عليه السلام) بيعة عامة ، صعد المنبر بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

{أيها الناس قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد ، فإنه لا يذعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ،

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله (٣) }.

وهكذا أصبح أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أول خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وقد عرفت الخلافة بأنها " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا (٤) " فكان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله (ﷺ) في أمته، وقد أصبح من المقرر لدى الفقهاء استنادا إلى هذه السابقة التاريخية أنه لا يجوز لأحد أن يتولى الخلافة إلا عن طريق البيعة وهي : " العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين لا ينازعه في شيء عن ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره (٥) " .

ولقد باشر أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في إدارة شؤون الدولة والسياسة على مصالحها بعد مبايعته في الخلافة مباشرة ، وكانت أهم الأعمال التي قام بها هي :-

❦ البدء بفتح العراق والشام

أطلق المؤرخون المسلمون على حروب التحرير مصطلح " الفتوحات " ، وهي لا تعني التغلب والقهر وإنما هي تعني إعلاء كلمة الله في الأرض وإظهار الحقيقة للناس .

يميل بعض الباحثين المعاصرين إلى التساؤل عن الدوافع التي حملت الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على اتخاذ قرار المباشرة بحروب تحرير العراق والشام على الرغم مما فيها من صعوبات ومخاطر ، إذا أنها كانت تعني الدخول في حرب مع أكبر إمبراطوريتين في العالم في ذلك الوقت ، وهما الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية (٦) .

يبدو أن الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وكبار الصحابة الذين من حوله كانوا يعيشون حرارة العقيدة والجهاد ويتطلعون إلى مواصلة الرسالة التي حملها الرسول (ﷺ) إلى العرب والإنسانية ، لذا فقد أعلن الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد مبايعته بالخلافة مباشرة التزامه بمواصلة سياسة الجهاد وذلك لأنه " لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل (٧) " .

ومن ثم فقد قام الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بإرسال بعثة أسامه بن زيد^(٨) إلى بلاد الشام لمحاربة حلفاء الإمبراطورية البيزنطية تنفيذاً لسياسة الرسول (ﷺ) في هذا المجال على الرغم من مخاطر حركات الردة التي اشتد وراءها في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية .

عند خروج جيش أسامه أوصى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) جيش أسامه قائلاً :-

(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني :

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا ، طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً^(٩) ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بأنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم السيف خفقا واندفعوا باسم الله) .

فسار أسامة وأوقع بقبائل من قضااعة التي ارتدت وغنم وعاد وكانت حملته هذه نحو أربعين يوماً وعاد بجيشه دون أن يفقد أحداً من رجاله .

ولم يكن أبو بكر الصديق (ؓ) ينتهي من تصفية حركات الردة في السنة الأولى من حكمه حتى حشد كل طاقاته من أجل تحرير العراق والشلم ، وكان هناك عدة عوامل دفعت الخليفة أبا بكر الصديق في إتباع هذه السياسة منها:-

(١) لقد أشير إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت شحيحة في مواردها الاقتصادية بسبب مناخها الصحراوي ما كان يحمل أبناء القبائل العربية على الصراع من أجل الحصول على الكلاً والماء لرعي مواشيهم أو الهجرة شمالاً إلى العراق والشام حيث مصادر الرزق الوفير ، فلما نجح أبو بكر الصديق في توحيد العرب تحت سلطة مركزية واحدة ، كان من الضروري أن يوجه طاقاتهم إلى الجبهة الخارجية من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض وتحسين أوضاعهم المعاشية (١٠) .

يقول البلاذري :

" لما فرغ أبو بكر (رضي) من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام ، فكتب الى أهل مكة ، والطائف ، واليمن ، وجميع العرب في نجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه ، وفي غنائم الروم ، فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع (١١)".

(٢) أورد الطبري حواراً بين خالد بن الوليد وبين زعماء الحيرة يشير الى أن دوافع التحرير القومي كانت تتداخل وتتكامل في فكره مع دوافع نشر رسالة الإسلام القائمة على العدل والإنصاف ، قال خالد :

" ويحكم ! ما أنتم ! عرب ؟ أو عجم ؟ فما تتقمنون من الإنصاف والعدل ! فقال له عدي : " بل عرب عاربة وأخرى مستعربة فقال : لو كنتم كما تقولون لم تعادون وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي: ليلذك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت، وقال : اختاروا واحداً من ثلاث: أن

تدخلوا في ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتهم في دياركم أو الجزية أو المساندة أو المناصرة ، فقد والله أنيتمكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة ، فقال: بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تبأ لكم ، وبحكم إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها فليقه دليلان : أحدهما عربي فتركه ، واستدل الأعجمي^(١٢).

(٣) لقد كان الهدف المركزي من حروب التحرير كما يفهم من الحوار الأنف الذكر هو نشر عقيدة الإسلام بين الناس ، غير أن هذه الحروب لم تسع إلى إكراه أحد على اعتناق الإسلام وإنما كانت تستهدف توفير الظروف الموضوعية التي تساعد الناس على الاختيار الحر بين اعتناق الإسلام وبين أداء الجزية والعيش في ظل عدالة الإسلام .

إن تحقيق الأهداف الأنفة الذكر كان يتطلب أن يحشد المسلمون من وسائل القوة المادية والمعنوية ما يكافئ قوة الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ويتفوق عليها ، فهل استطاع المسلمون أن يحشدوا مثل هذه القوة قبل الشروع في حروب التحرير .

إن المصادر التاريخية تشير إلى أن تطور الأحداث لم يفسح المجال للتريث ، ريثما تتوافر مثل هذه القوة ، وإنما شرع المسلمون في حربهم ضد الإمبراطورية الساسانية ومن بعدها الإمبراطورية البيزنطية نتيجة نفقتهم العالية بأنفسهم التي نشأت عن وحدتهم الدينية والسياسية .

وقد كان الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حريصاً على أن يبدأ حروب التحرير على جبهة الشام تنفيذاً للسياسة التي بدأها (رضي الله عنه) في حياته، غير أن سير المعارك في حروب الردة ، وبخاصة في البحرين قد أدى إلى الاحتكاك بالساسانيين في منطقة السواد في جنوب العراق وحفز المقاتلين المسلمين على إقناع الخليفة أبي بكر الصديق بفتح جبهة تحرير العراق^(١٣).

❦ بدء تحرير العراق :

كان بنو شيبان قد اكتشفوا مدى الضعف الذي تعاني منه الإمبراطورية الساسانية منذ أن انتصروا على قواتها في معركة ذي قار بحدود سنة ٦١٠ م ، لذا فقد كانوا يغيرون على سواد العراق الذي كان خاضعا لسيطرتها دون خشية من بطشها وانتقامها ، وكان من جملة زعماء بني شيبان الذي درج على الإغارة على السواد في رجال من قومه خلال حروب الردة ، المثنى بن حارثة الشيباني " فبلغ الخليفة أبا بكر الصديق (ﷺ) خبره ، فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري: هذا رجل غير كامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد : هذا المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم أن المثنى قدم على الخليفة أبي بكر الصديق فقال له : يا خليفة رسول الله (ﷺ) ، استعمني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس ، فكتب له الخليفة أبو بكر في ذلك عهدا فسار حتى نزل خفان ، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا (١٤).

إن موافقة الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) على قيام المثنى بن حارثة الشيباني على بدء حروب تحرير العراق ، ربما جاءت بعد أن أوضح المثنى مدى ضعف الفرس ومدى استعداد عرب منطقة الخليج العربي وجنوب العراق على التعاون معه في قتال الفرس ، ومن المحتمل أن الخليفة أبا بكر الصديق بعد أن اقتنع بوجهة نظر المثنى بن حارثة الشيباني ، قد توجه لاستشارة من حوله من كبار الصحابة حول هذه المسألة فوجد لديهم القناعة والتشجيع .

لذا فإنه لم يترك أمر الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة إلى المثنى وحده وإنما كتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالتوجه إلى العراق بقيادة عمليات تحرير العراق بعد أن فرغ من القضاء على المرتدين في شبه الجزيرة العربية (١٥).

ويبدو أنه كان ثمة صلة بين حروب الردة في البحرين وبدء حروب تحرير العراق ، وذلك لأن بعض القبائل التي ارتدت عن الإسلام كانت تقيم في

كل من البحرين وجنوب العراق وأن الفرس الساسانيين قد حاولوا تشجيع المرتدين وتوحيد صفوفهم تحت قيادة المنذر النعمان بن المنذر المسمى بالغرور^(١٦).

لذا فقد أخطر المقاتلون وعلى رأسهم المثنى بن حارثة الشيباني إلى دخول العراق من أجل مطاردة المرتدين مما ولد لديه شعورا بأن تحرير عرب العراق من تسلط الفرس خطوة مكملة لحروب الردة التي استهدفت توحيد العرب في إطار سيادة الإسلام وسلطته المركزية .

وهكذا فقد توجه خالد بن الوليد إلى العراق في محرم عام ١٢هـ / ٦٣٣م ، على رأس جيش مؤلف من عشرة آلاف مقاتل . وقد انضم إليه في العراق ثمانية آلاف مقاتل فأصبح عدد أفراد الجيش الذي تولى تحرير العراق ثمانية عشر ألف مقاتل .

ولقد كانت توجيهات الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لخالد أن يبدأ عمليات تحرير العراق من منطقة الخليج العربي ويتوجه إلى الآيلة قرب موقع مدينة البصرة ، فكتب إليه (إن سر إلى العراق حتى تدخلها ، وأبدأ بفرع الهند وهي الآيلة^(١٧)) ، وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم^(١٨) .

وقد كتب خالد بن الوليد قبل توجيهه لتحرير العراق رسالة إلى هرمز ، حاكم الفرس لمنطقة الآيلة ، ينذره فيها بالحرب إن لم يقبل الإسلام أو يدفع الجزية حسب التقاليد العربية الإسلامية جاء فيها :

" أما بعد ، فأسلم تسلم ، أو اعقد لنفسك وقومك الذمة ، وقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة " .

ولم يكن قبول هذا الإنذار من قبل هرمز بالأمر الميسور ، وهو الذي كان ينظر إلى العرب نظرة ، استخفاف يسيء معاملة الخاضعين لحكمه منهم حتى ضربوا المثل في كفره وخبثه فقالوا :

" أخبثت من هرمز ، وأكفر من هرمز " لذا فما كاد يتسلم هذا الإنذار الذي يخيره بين الإسلام أو الخضوع أو الحرب ، حتى حشد قواته واتجه إلى كاظمة ، وهي محطة لاستراحة القوافل على طريق البصرة لمقاتلة خالد عندها ، وذلك لأن خالد بن الوليد كان قد توجه إليها وعسكرت قواته فيها ^(١٩).

وقد دارت على أرض كاظمة أولى المعارك الكبرى بين العرب والفرس عرفت بمعركة ذات السلاسل ، وذلك لان مقاتلي الفرس قد قيدوا أنفسهم بالسلاسل خوفا من الهرب إذا مالت الحرب لغير صالحهم ، وقد اعترض بعضهم على هذا العمل .

فقالوا: قيدتم أنفسكم لعدوكم ، فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء .

فأجابوهم وقالوا : أما أنتم فحدثونا أنكم تريدون الهرب .

لقد انتهت هذه المعركة بهزيمة قوات الفرس التي لم تذكر المصادر كم كان عددها ، وقتل قائدهم هرمز ، وأخذ القائد خالد بن الوليد قلنسوة هرمز بمائة ألف لأنه كان قد تم شرفه في الفرس وكانت هذه عاداتهم إذا تم شرف الإنسان تكون قلنسوته بمائة ألف وكانت القلنسوة مرصعة بالجواهر ، وقد قام خالد بن الوليد بتوزيع حصة المقاتلين من الغنيمة ثم أرسل ما تبقى إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في المدينة ، فكان ذلك أولى غنيمة من غنائم الفرس تصل إليها ، ويقال إنه كان بضمنها فيل فأثار منظره عجب الناس لأن الكثير منهم وبخاصة النساء لم يسبق لهم رؤية فيل ^(٢٠).

ثم سار خالد بن الوليد حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة وخرج المثنى بن حارثة الشيباني حتى انتهى إلى (حصن المرأة) فخلف المثنى بن حارثة عليه أخاه فحاصرها ومضى المثنى إلى زوجها وهو في حصنه المسمى (حصن الرجل) فحاصره واستنزلهما عنوة فقتلهم وغنم أموالهم ، ولما بلغ المرأة ذلك صالحت المثنى وأسلمت فتزوجها المثنى ، وكان هذا الحصن قصرا

واسم المرأة كما جاء في البلاذري " كامور زاد بنت ترسي " وهي بنت عم التوشجان .

لما وصل خبر انهزام هرمز إلى المدائن عاصمة الفرس ، أرسل ملكهم أزدشير جيشا آخر وأمر عليه قارن بن قريانس ، فلما انتهى إلى مدينة المذار انضم إليه الجيش المنهزم ورجعوا معهم (قياذ) و (أنوشيمان) ونزلوا النثي وهو نهر متفرع من نهر دجلة والتقوا بالمثني بن حارثة الشيباني الذي كان قد توقف عن النثي فأحرق الخطر بالمثني ، فوافاه خالد بن الوليد والتقوا في الوقت المناسب ، ودار القتال بينهم وانتهى الأمر بفرار الفرس ، وقد كان النهر عائقا في سبيل اقتفاء أثر العدو ، غير أن الغنائم كانت عظيمة ، وأخذوا الجزية من الفلاحين ، وصاروا ذمة ، أرضهم لهم .

أما قارن بن قريانس أمير جيش الفرس الذي أرسله أزدشير لإمداد هرمز فقد قتله معقل بن الأعشى بن الياس ، وقتل عاصم أبوشيمان ، وقتل عدي بن حاتم قياذ .

اضطرب البلاط الفارسي من جراء انتصارات العرب ، وتحذثوا وتشاوروا فيما بينهم واستقر رأيهم على محاربة العرب بعرب مثلهم يعرفون خططهم الحربية فجهز الملك جيشا عظيما من قبيلة بكر والقبائل الأخرى الموالية له تحت قيادة قائد مشهور منهم يدعى الأندرزغر ، وكان فارسيا من مولدي السواد ، وأرسل القائد بهمين جاذرية في أثره ليقود جيش الملك ، وعسكر الأندرزغر بين الحيرة ^(٢١) وكسكر ، وتقدمت الجيوش الفارسية المتحدة نحو الولجة ^(٢٢) في شهر صفر سنة ١٢ هـ ، بالقرب من ملتقى النهرين .

أما خالد بن الوليد فقد ترك فرقة لحراسة الأراضي التي حررها في الدلتا وسار للقاء العدو من النثي ، فاشتبك الجيشان بالولجة في قتال عنيف وقد انتصر المسلمون فيه بفضل تدابير قائدهم الذي باغت العدو وأجده بكمين في

ناحيّتين ، وكمين من الخلف ، وكانت الهزيمة كاملة ، ففر الفرس ومن حالفهم بعد أن قتل وأسر منهم عدد كبير ، ومضى قائدهم الأندرزغر منهزما فمات عطشا .

وبعد انتصار المسلمين قام خالد بن الوليد في الناس خطيبا يرغبهم في بلاد العجم ، ويزهدهم في بلاد العرب وقال : -

(ألا ترون إلى الطعام كرفح التراب ، وبالله لو لم يلزمنّا الجهاد فسي الله والدعاء إلى الله عز وجل ، ولم يكن إلا للمعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتّى نكون أولى به ، وتولى الجوع والإقلال ممن تولاه ، فمن أثاقل عمل أنتم عليه) .

بعد الانتصار الذي حققه القائد خالد بن الوليد في معركة الوجة ، كتب أزدشير ملك الفرس بهمن جاذويه وهو يقينا ، أن سر حتّى تقدّم أليس ، فقدم بهمن جاذويه وجابان فسار جابان نحو أليس وهي في منتصف الطريق بين الحيرة والآيلة .

ثم انطلق القائد الفارسي بهمن إلى أزدشير ليعرف رأيه ويتلقى أمره فوجده مريضا فبقي ملازما البلاط .

أما جابان فإنه مضى حتّى أتى أليس فنزل بها ، ونشبت المعركة بين الفريقين واقتتلوا قتالا شديدا ، ولما وجد خالد بن الوليد شدة مقاومة العدو قال :

(اللهم أن لك عليّ إن منحتنا اكتافهم ألا استبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتّى أجرى نهرهم بدمائهم) ، وأخيرا لم يستطع الفرس مقاومة المسلمين ففروا منهزمين وبعث خالد بن الوليد بالخبر إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يخبره بفتح أليس ويقدر ألفين وعدد السبي .

ولما فرغ خالد بن الوليد من فتح أليس سار إلى أمغيشيا وكانت مصرا كالحيرة فحررها فغنم جميع ما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد ، أرسل

إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بالفتح ومبلغ الغنائم، فلما بلغ ذلك الخليفة أبا بكر قال : -

((أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد)) وفي رواية أخرى ((عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد)) .

سار خالد بن الوليد في ربيع الأول سنة ١٢ هـ من أمغيشيا إلى الحيرة وحمل الرجال والرحال والأثقال في السفن فخرج مرزيان الحيرة (حاكمها الفارسي) ويدعى الأزادية و أرسل ابنه فقطع الماء عن السفن ، وذلك بسد الفرات فبقيت السفن على الأرض فسار خالد بن الوليد في خيل نحو ابن الأزادية فلقيه على نهر الفرات باد قلى فقتله وقتل من معه ، غير أن المدينة كانت محصنة بأربعة حصون فأبى التسليم فحاصروهم وقاتلهم المسلمون فاقتحموا الدور وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان ((يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور المسلمين)) ، ((لقد قبلنا واحده من ثلاث : إما الإسلام ، أو الجزية أو المحاربة)) أما الأزادية فإنه هرب إذ بلغه موت أزدشير .

وهذه أسماء قصور الحيرة التي تحصنوا فيها :-

١- **القصر الأبيض** : وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الأزور محاصرا له .

٢- **قصر الغربيين** : وفيه عدي بن عدي، وكان ضرار بن الخطاب محاصرا له.

٣- **قصر ابن يقيله** : وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقليلة ، وكان المثنى محاصرا له .

٤- **قصر ابن مازن** : وفيه ابن أكال ، وكان ضرار بن قعرن المزني محاصرا له .

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصورهم فأرسلهم المسلمون إلى خالد بن الوليد فكان أول من طلب الصلح ، عمرو بن عبد المسيح فصالحوه على

١٩٠,٠٠٠ درهما وأهدوا لهل الهدايا وبقوا على دينهم ، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) مع الهذيل الكاهلي فقبلها الخليفة من الجزاء ، وكتب إلى خالد بن الوليد : (أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم ففو بها أصحابك) .

لما فتح خالد بن الوليد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن وقال :-

(لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس) .

حيث مكث فيها عاما عين عمالا لجباية الخراج وأمرأء للثغور ، وتم صلح الحيرة بدفع مبلغ (٦٠٠,٠٠٠) درهم جزية وهو مبلغ قليل ، لكنه كان في نظر العرب مبلغا عظيما .

سار خالد بن الوليد بعد تحرير الحيرة إلى الأنبار وهي فيروز سايور القديمة ، مدينة شهيرة في العراق بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، وهي التي غربها على الفرات ، ثم سميت بالأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابيب الحنطة والشعير والتبن وأنابيب جمع أنبار .

حيث سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصن أهل الأنبار وخذقوا عليهم وأشرفوا من حصنهم وعلى جنودهم شيرزاد صاحب ساياط ، وكان خالد بالخذق وأنشب القتال وأوصى رماثه أن يقصدوا عيون جيش العدو فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا آلاف عين تمت تلك الواقعة (ذات العيون) وتصايح القوم (ذهبت عيون أهل الأنبار) ، فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمر لم يقبله خالد ، فرد رسله ونحر من إيل العسكر كل ضعيف وألقى الإبل في أضيق مكان من الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها ، فاجتمع المسلمون

والمشركون في الخندق فأرسل شيرزاد إلى خالد يطلب منه الصلح على ما أراد فصالحه على أن يلحقه بمأمنه من غير أن يأخذ شيئاً من المتاع ، وخرج شيرزاد إلى جهنم جانريه ، ثم صالح خالد من أهل الأنبار وأهل كلواذى .

لما فرغ خالد بن الوليد من تحرير الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار إلى عين التمر ^(٢٣) وهي قلعة على حدود الصحراء على مسيرة ثلاثة أيام غرباً ، وبها معران بن بهرام في جمع من العجم وعقه بن أبي عقه في جمع من العرب ، ولما سمعوا بقدوم خالد بن الوليد ، قال عقة لمهران : (إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد) قال : (صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب مآلكم لمثلنا في قتال العجم) ، فخدعه واتقى به وقال : (أن احتجتم إلينا أعناكم) فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم : (أنه قد جاءكم من قتل ملوككم وقل حدكم فاتقيته بهم ، فإن كانت لهم على خالد فهي لكم ، وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم ضعفاء) فاعترفوا بفضل الرأي ، وسار عقة إلى خالد بن الوليد فعبأ خالد جنده ، بينما كان عقة يقيم حقوقه حمل عليه خالد بنفسه وأخذه أسيراً ، فانهزم الفرس من غير قتال وأكثر المسلمون فيهم الأسر فسألوه الأمان فأبى فنزلوا على حكمه ، فأخذهم أسرى وقتل من رفض منهم الأسر .

أرسل الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) جيشين إلى الشمال وأمر على أحدهما خالد بن الوليد والثاني أمر عليه عياضاً ووجهه نحو دومة الجندل وهي مدينة بينها وبين وقف خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة ، وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة وبقر تبوك .

وعندما أرسل خالد بن الوليد الوليد بن عقبة إلى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بخبر فتح عين التمر اهتم الخليفة فأرسل الوليد لمساعدة جيش عياض ، وعند فراغ خالد بن الوليد من فتح عين التمر ، أتاه كتاب عياض يستمده فسار

خالد إليه تاركا القعقاع على الحيرة ، وكان في دومه الجندل رئيسان أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة يساعدها بنو كلب وقبائل أخرى من صحراء الشام ولما سمع أكيدر بقدوم خالد بن الوليد تخوف وبادر بالتسليم ، إلا أن خالدًا أسره ، ثم هاجم عياض القبائل المعادية من جهة الشام ، وخالد من جهة فارس فانهزم العدو شر هزيمة ، وأخذ الجودي أسيرا ، وأخذ حصونهم ، ثم رجع خالد إلى الحيرة .

وهكذا تواصلت عمليات تحرير العراق على يد خالد بن الوليد لمدة تقرب من السنة حتى كتب إليه الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في صفر سنة ١٣هـ / ٦٣٤م أن يلتحق بقوات تحرير بلاد الشام مع جزء من قواته ، وأن يسلم قيادة جند المسلمين في العراق إلى المثنى بن حارثة الشيباني ، وبذلك هدأت جبهة العراق قليلا ريثما تتم العمليات العسكرية التي كانت قد وصلت مرحلة حاسمة على جبهة الشام (٢٤) .

❁ بدء تحرير الشام

يبدو أن اهتمام الخليفة أبي بكر الصديق بتحرير الشام كان يتقدم على اهتمامه بتحرير العراق ، بدليل إنقاذه حملة أسامه بن زيد فور توليه الخلافة ، غير أن حروب الردة و تطور الأحداث على حدود العراق قد حملت أبا بكر الصديق على تأجيل الشروع بتحرير الشام ريثما يطمئن الى نتائج المعارك على جبهة العراق.

وكان الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) قد أرسلت خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش من المسلمين إلى تيماء (٢٥) قرب حدود الشام ليكون رداء لمن وراءه من المسلمين في حالة تعرض الروم أو حلفائهم لهم في أثناء حروب الردة ، وفي بدء تحرير العراق ، غير أن خالد بن سعيد اندفع إلى داخل بلاد الشام على أمل تحقيق بعض الانتصارات على الروم، غير أنه فشل في تحقيق

هدفه وانقلب الموقف إلى هزيمته ، مما دفع الخليفة أبا بكر الصديق إلى عزله
والشروع بحشد قوة عسكرية كبيرة لمواجهة الروم في جبهة الشام ^(٢٦) .

لقد شكل أبو بكر الصديق في مطلع سنة ١٣هـ / ٦٣٤م ثلاثة جيوش
بقيادة كلب من أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وعمر بن العاص ، ويزيد بن
أبي سفيان للتوجه إلى بلاد الشام .

ثم أمر الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يزيد بن أبي سفيان على رأس
جيش عظيم هو وجمهور من القادة المسلمين أمثال سهيل بن عمرو وأوصاه
وغيره من القادة ، حين قال الخليفة أبو بكر ليزيد :

(إني وليتك لأبلوك وأجربك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزودتك ،
وإن أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك كل الذي من ظاهرك ،
وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم توليا له وأقرب
الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالدا فيأك وعيبة
الجاهلية فإن الله بغضها ويبغض أهلها ، وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم
وأيدهم بالخير وعدهم آياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه
بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصلي الصلوات لأوقاتها بإتمام
ركوعها وسجودها والتخضع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل
لبثهم حتى يخرجوا من عسكري وهم جاهلون به ، ولا ترينهم قيود خيلك
ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة عسكري وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن
أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل شرك لعلايتك فيختلط أمرك ، وإذا استشرت
فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل
نفسك ، وأسحر في الليل في أصحابك تأتلك الأخبار ، وتتكشف عنك الأسناد ،
وأكثر حرسك وبدوهم في عسكري وأكثر مفاجأتهم في محارسمهم بغير علم منهم
بك ، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وأعقب

بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار ، ولا تخف عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عن أسرارهم واكتف بعلانياتهم ، ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن في دين الناس ، واجتنب الغلول (الخيانة في المختتم) فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر ، وستجدون أقواما صبروا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له (٢٧) .

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولادة الأمر ، فإنه ذكر فيها واجبات القائد نحو جنده ، ونحو عدوه ، ومنع من تعرض القائد للمتدنيين الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع احتراما لدينهم .

وقد انقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم مؤلف من (٥٠٠٠) خمسة آلاف مقاتل وأمر على اثنين منهما شرحبيل بن حسنة الذي كان قد قدم من عند خالد بن الوليد إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، وعلى الثالث عمرو بن العاص ، وعين لكل جيش وجهته في الشام فوجه عمرا إلى آيـله على رأس خليج العقبة ، ومن ثم بتحرير جنوب الشام أو فلسطين ، ووجه يزيد وشرحبيل وكان تعيين الأمراء الثلاثة في شهر صفر سنة ١٣هـ / ٦٣٤م ، ثم لما وصلت الجيوش الأخرى إلى المدينة أرسلهم أبو بكر لإمداد جيوش الشام وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وعلى ذلك كان عدد الجيوش التي أرسلت أربعة ، وكان أبو عبيدة أميرا عليهم جميعا ، وبلغ عدد الجيش الزاحف (٢٤٠٠٠) بما في ذلك جيش عكرمة (٢٨) وقد سار أبو عبيدة على باب البلقاء (٢٩) فقاتله أهلها ثم صالحوه فكان أول صلح في الشام .

وعند وصول هذه القوات جنوب بلاد الشام ، وجدوا أن قوات العدو كثيرة وأن استعدادها للقتال جيد . فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة أبي بكر الصديق " يعلمه كثرة عد العدو وعدتهم وسعة أرضهم وحدة مقاتلتهم " .

" فكتب الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد .. وهو بالعراق، يأمره بالمشير إلى الشام " فيقال : " أنه جعله أميرا على الأمراء في الحرب ". وقال قوم : " كان خالد أميرا على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون إذا اجتمعوا لحرب أقره الأمراء فيها لبأسه وكيدته ويمن نقيته " .

لقد توجه خالد بن الوليد من العراق قاصدا بلاد الشام في شهر ربيع الآخر سنة ١٣هـ على رأس جيش مؤلف من عدد من المقاتلين يتراوح بين الخمسمائة والثمانمائة وفي الطريق أخضع عددا من المناطق والقرى لسلطان المسلمين حتى وصل إلى بلاد الشام (٢٠) .

وقد تولى خالد بن الوليد قيادة الجيوش العربية الإسلامية في بلاد الشام قبل وقوع معركة أجنادين ، وكانت الجيوش الإسلامية قد خاضت بعض المعارك الصغيرة ضد الروم قبل هذه المعركة مثل معركة عربة وبصرى والتي انتهت بانتصار جيوش المسلمين ، مما حمل الروم على الاستعداد وحشد قوات كبيرة لخوض معركة حاسمة ضد الجيوش الإسلامية عند أجنادين ، وهي بلدة قرب الرملة من أعمال فلسطين.

وعند أجنادين دارت معركة كبيرة بين قوات المسلمين التي بلغ تعداد مقاتليها أكثر من سبعة وعشرين ألف رجل بقيادة خالد بن الوليد وقوات الروم التي كان عدد مقاتليها حسبما يذكر البلاذري زهاء مائة ألف ، وقد قاتل المسلمون في هذه المعركة قتالا شديدا ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسنا (٢١). حتى تم لهم النصر المبين على أعدائهم وتكبيدهم خسائر جسيمة ، وبذلك تعززت ثقة المسلمين بأنفسهم ، وأخذوا يستعدون للتوجه شمالا من أجل تصفية الوجود البيزنطي في بلاد الشام ، لقد تحقق هذا الانتصار الكبير للمسلمين على الروم في أواخر شهر جمادى الأولى سنة ١٣هـ — ٦٣٤م لليلتين أو ثلاث ليالي بقين منه ، وكان حريا بأبناء هذا الانتصار أن تدخل

الفرحة والسرور إلى قلب الخليفة أبي بكر الصديق الذي أخذ يعاني من آلام المرض الذي انتهى بوفاته في شهر " جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه (٣٢) " .

ويلاحظ أنه على الرغم من أن المدة التي انقضت بين الانتصار في معركة أجنادين ووفاة أبي بكر الصديق ، وهي حوالي خمسة وعشرين يوما ، كانت كافية لوصول أخبار هذا الانتصار إلى المدينة .

فقد كانت خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) على الرغم من قصر مدتها ذات أثر عظيم على مستقبل الأمة العربية والمسلمين كافة ، لأنه استطاع في خلالها أن يحافظ على وحدة الأمة والدولة في مواجهة حركات الانشقاق والردة ، وأن يبدأ حروب التحرير التي أدت إلى امتداد دولة الإسلام وانتشار دعوته حتى أصبح المسلمون في خلال قرن من الزمن أعظم قوة في العالم .

وقد حرص الخليفة أبو بكر الصديق أن يجعل من الخلافة قيادة سياسية جديرة بخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا كما يقول الفقهاء ، ولم يغادر الدنيا إلا وكان قد أعد مرشح من يشغل هذا المنصب من بين أكفأ صحابة الرسول (ﷺ) كي لا يجد المسلمون أنفسهم في وضع يدعو للاختلاف في وقت كانوا فيه بحاجة ماسة إلى التماسك والوحدة بعد أن خرجوا من حروب الردة واتجهت جيوشهم إلى حروب التحرير (٣٣) .

كان عمر بن الخطاب من أقرب الصحابة إلى الخليفة أبي بكر الصديق وهو يضطلع بواجبات الخلافة ، فجعل يستشيريه في شتى الأمور ، ويعهد إليه بالعديد من الواجبات فكان ذكر خليفة بن خياط (على أمره كله) (٣٤) أو كان

بمثابة نائب الخليفة أو وكيله حسب المصطلحات المعاصرة ، وقد كان أبو بكر الصديق يدرك أن تولي عمر بن الخطاب للخلافة من بعده يشكل خير ضمان لاستمرار السياسة التي بدأها في مجال السياسة الداخلية والخارجية ، لذا فقد سعى الى توفير الظروف التي تساعد على توليه الخلافة من بعده .

(٢) الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

تولى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخلافة في نفس اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق ، وكان ذلك في ٢٢ من شهر جمادى الآخرة ، سنة ١٣هـ - ٢٣/آب/٦٣٤ م .

لقد أطلق رسول الله (ﷺ) تسمية الفاروق على عمر بن الخطاب ، حيث فرق الله به بين الحق والباطل ، وعن أبي عمر ذكر أنه قال :-

((قلت لعائشة من سمي عمر الفاروق ؟ قالت : النبي (ﷺ))) . أن لتسمية عمر بالفاروق علاقة بظهور الإسلام ، لأن المسلمين قبل إسلامه كانوا يستخفون في دار الأرقم وهي في أهل الصفا ويؤدون شعائرهم الدينية في منازلهم ، فلما أسلم عمر قال لرسول الله (ﷺ) : ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ قال : ((بلى والذي نفسي بيده إنكم لعلى الحق متم وإن حييتم)) . قال : ففيمما الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن . قال : فأخرجناه في صفيين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت إلي قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصيبهم مثلهما فسماني رسول الله (ﷺ) الفاروق وفرق بين الحق والباطل)) .

ولما توفي رسول الله (ﷺ) واستخلف أبو بكر الصديق كان يقال له خليفة رسول الله (ﷺ)، فلما توفي أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله (ﷺ)، قال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة

رسول الله (ﷺ) فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة ، يدعى به من بعده الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله نحن المؤمنون وعمر أميرنا ، فدعي عمر بن الخطاب بأمر المؤمنين .

لم يكن أمام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد توليه الخلافة من وقت المراجعة والتأمل الطويل ، إذ كانت جيوش المسلمين مشتبكة في معارك مع الروم على جبهة الشام ، وكان المثنى بن حارثة قد جاء إلى المدينة يطلب النجدة لمعالجة الموقف على جبهة العراق بعد أن تنبه الفرس إلى خطورة الموقف ، وأخذوا يحشدون قواتهم لمقاتلة المسلمين فيه ، لذا فقد بدأ الخليفة عمر بن الخطاب يحشد كل طاقاته لمعالجة الموقف العسكري وتوجيهه على النحو الآتي :-

✽ حروب التحرير على جبهة العراق

في صبيحة الليلة التي توفي فيها الخليفة أبو بكر الصديق صعد عمر المنبر وألقى على الناس خطبة في المسجد فقال :

((إني قائل كلمات فأمنوا عليهن إنما مثل العرب مثل جمل آنف أتبع قائده فليُنظر قائده حيث يقوده وأما أنا فو رب الكعبة لأحملنهم على الطريق)) .

كان أول عمل باشره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد مبايعته بالخلافة، تنفيذ وصية أبي بكر وهي دعوة الناس إلى الانضمام لجيش المسلمين لمقاتلة الفرس في العراق ، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد قدم على أبي بكر في حال مرضه ليتفاوض في شأن الهجوم على بلاد فارس لما حدث من الاختلاف فيما بينهم إلا أن أبا بكر لم يستطع إجابة طلبه لمرضه فأوصى عمر بن الخطاب أن ينتدب الناس بعد توليه منصب الخلافة فندب عمر الناس مع المثنى لمحاربة الفرس ، فلم ينتدب له أحد لأن الفرس (كانوا أثقل الوجوه على المسلمين ، وأكرهاها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم ^(٣٥)) .

غير أن المثنى بن حارثة الشيباني شجع الناس على الالتحاق بهذا الجيش وعمل على تبديد المخاوف من نفوسهم بقوله :

" أيها الناس ، لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تبجحنا ريح فارس ، وغلبناهم على خير شقي السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا إن شاء الله ما بعدها (٣٦) " .

وقد سارع في اليوم الرابع من تاريخ الإعلان عن تجهيز هذه الحملة أبو عبيد بن مسعود الثقفي الى التطوع فيها ولحقه آخرون حتى بلغ عدد جنده ألف مقاتل . وقد جعل الخليفة قيادة هذا الجيش الى ابي عبيد الثقفي على الرغم من أنه لم يكن من السابقين من المهاجرين والأنصار ، وذلك لانه بادر الى التطوع للجهاد قبل غيره ، غير أنه أوصاه باستشارة من معه من الصحابة وبالتزام بعض القواعد الأساسية في القتال بقوله : " اسمع من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف (٣٧) " .

وبعد ذلك عاد المثنى إلى الحيرة قبل أبي عبيدة ، وكان قد تغيب عنها شهراً كان في أثنائها البلاط الملكي الفارسي يعاني من تقلبات شتى ، فاستولى أمير وأعقبته أميرة وسط سفك الدماء والثورة ، وأخيراً استدعت (بوزان) وهي سيدة من الأسرة المالكة القائد المشهور "رستم" على جناح السرعة من خراسان وتوجته وجعلت إليه حماية البلاد ، وسلمته الجند ، ثم أرسل رستم جيشين من المدائن ، أحدهما تحت قيادة (جaban) ليعبر الفرات وليتقدم نحو الحيرة ، والآخر بقيادة (ترسي) ليحتل كسكر على أقرب جهة ، وجمع المثنى بن حارثة جيشه فغادروا الحيرة وخرجوا إلى الصحراء ، إلى الطريق المؤدية إلى المدينة ، وهناك انتظروا أبو عبيد الذي توجه على رأس جيشه الى العراق بعد

أن أصبحت له قيادة جبهة العراق وأصبح المثنى بن حارثة أحد القادة التابعين له، فكان لا يمر من قوم من العرب إلا رغبهم في الجهاد والغنيمة فصحبه خلق^(٣٨) .

وقد استطاع جيش أبي عبيد أن يحقق بعض الانتصارات على الفرس أثر وصوله العراق في معركة النمارق ، ومعركة السقا طية ، مما أقلق الفرس وجعلهم يحشدون قوة كبيرة لملاقاة جيش المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت عنده إحدى المعارك المهمة التي عرفت بمعركة الجسر .

عبر أبو عبيد الفرات ، وفاجأ القائد ترسي ، واستولى على معسكره وغنم شيئاً كثيراً من التمر الجيد المسمى بالزسيان لا يأكله إلا الملك فوزعه على الجيش وأرسل الغائم إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكتب إليه : " أن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعم الله وأفضاله " . وأنت القبائل المجاورة وقدمت الجزية برهاناً على ولائهم .

تغيظ رستم من الهزيمة ، فأعد قوة أكبر من الأولى تحت قيادة القائد (بهمن) ، المعروف بذي الحاجب ، وإنما قيل له ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة يرفعها ومعه فيلة بالجلجل ، فأقبل بهمن ومعه راية كسرى "نرفش كايان " ، وكانت من جلود النمر عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً ، فنزل " بقي الناطق " وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة وعبر الفرات وعسكر جيشه في الشاطئ الغربي ، وعسكر بهمن في الشاطئ الشرقي ، فبعث بهمن إلى أبي عبيد : أما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور ، وإما أن تدعونا نعبر إليكم ، فقال الناس : لا تعبر يا أبا عبيد ننهاك عن العبور ، فقال : " لا يكونوا أجراً على الموت منا " . فعبروا إليهم على "جسر " وضائق الأرض بأهلها واقتتلوا فلما رأت خيول العرب الفيلة رأت شيئاً منكراً لم تكن رأت مثله فلم

تقدم عليها ، فقد حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلجل وفرقت خيولهم وأوقعت الارتباك في صفوفهم ، واشتد الأمر بالمسلمين فترجل القائد أبو عبيد ونادى: احشدوا الفيلة واقطعوا بطانها (حزامها) وأقبلوا عنها أهلها، ووثب هو على فيل فقطع بطانه ووقع الذين عليه وفعل جنده مثل ذلك بشجاعة ، فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه ، وعندما حاول القائد أبو عبيد الثقيفي التصدي لأحد الفيلة وقتله ، أصيب وسقط شهيدا في المعركة ، وحين أراد المسلمون الانسحاب من المعركة ، والعودة إلى الجانب الثاني من النهر فوجئوا بأن أحد المسلمين كان قد بادر إلى قطع الجسر لتشجيعهم على الصمود وعدم الهرب ، مما تسبب في إلحاق أضرار جسيمة بهم وخسارتهم نتيجة المعركة ، وكان ذلك في رمضان سنة ١٣هـ / ٦٣٤ م ، وقد تولى قيادة جبهة العراق بعد استشهاد أبو عبيد الثقفي ، المثنى بن حارثة الشيباني ، حيث انحاز المسلمون إلى ناحية أليس^(٣٩) ، وعسكر هناك وحافظ على قوته السابقة ولم يعلم جابات بروجوع بهمن فوق أسيرا في أيدي المسلمين .

وفي الطبري خرج جابان ومردانشاة حتى أخذوا بالطريق وهم يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب (بهمن) من انقسام أهل فارس فلما رفض أهل فارس وخرج بهمن في آثارهم ن وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاة استخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج يريداهما فظنا أنه هارب فاعترضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابها فأتوه بهم أسراء وعقد لهم بها ذمة وقد مهما وقال : أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستغزتماه فضرب أعناقهما وضرب أعناق الأسرى ، ثم رجع إلى عسكره وهرب أبو محجن من أليس ولم يرجع مع المثنى .

لقد أحرزت هزيمة المسلمين في هذه المعركة الخليفة عمر بن الخطاب كثيرا ، وكان فيمن ندب الجبلية وأمرهم إلى جرير بن عبد الله فلما اجتمعوا

أمرهم بالعراق ، إلا أنهم كانوا يرغبون بالمسير إلى الشام لكثرة الخيرات والغنائم ، وقدم جرير بن عبد الله فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه فأجابه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى ذلك فसार نحو العراق (١٠) .

ويبدو أن خطورة الموقف العسكري قد حملت الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على تجاوز القاعدة التي وضعها أبو بكر الصديق في عدم الاستعانة بالقبائل التي وضعها أبو بكر الصديق في عدم الاستعانة بالقبائل التي ارتدت عن الإسلام في حروب التحرير ، فكتب إلى أهل الردة يدعوهم للمشاركة في القتال، فلم يوافه أحد منهم إلا أرسله إلى جبهة العراق لنجدة المثنى بن حارثة.

وبذلك استطاع الخليفة عمر بن الخطاب أن يحشد طاقات الأمة جميعها في ميدان الجهاد وبحاجته أن جميع المرتدين كانوا قد عادوا الى حظيرة الإسلام وأصبحوا يتطلعون الى مشاركة إخوانهم في حروب التحرير ، وهكذا أخذت جبهة العراق تستعيد قوتها وحيويتها بكثرة من وفد إليها من المقاتلين مما ممكن المثنى بن حارثة من حشد طاقات المقاتلين استعدادا لمواجهة الفرس عند موضع على الفرات مما يلي الكوفة يدعى البويب ، وكان نهر الفرات يفصل بين قوات الطرفين ، لذا فقد كاتب مهران قائد الفرس المثنى بن حارثة إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم فقال المثنى: العبور ، وقال أغيروا فعبّر مهران ، فنزل على شاطئ الفرات ، فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي (١١) .

تقدم الفرس مع ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ومشاتهم أمامهم فيلهم ولهم زجل ، فقال المثنى : إن الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت ، وكان المثنى في صفوفه يعهد إليهم وهو على فرسه (الشموس) وإنما سمي بذلك للينه وكان لا يركبه إلا إذا قاتل فوقف على الرايات يهرضهم ويقول : " إني لأرجو

أن لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم والله ما يرى اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم " فيحيونه بمثل ذلك لأنه كان محبوبا لديهم ، وقال : ((إني مكبر ثلاثا فتهيئوا ثم احمِلوا في الرأية)) ، ولكنه ما كاد يكبر حتى أعجلتهم الفرس وخالطوهم وركدت خيلهم ، ، فرأى المثنى خلا في بني عجل فأرسل إليهم يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم فقالوا : نعم واعتدلوا ، فلما طال القتال واشتد قال المثنى لأنس بن هلال التمري : " إنك أمرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا فإذا حملت على مهران فاحمل معي " فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم ، وكان المثنى قال لهم : " إذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه ، ألزموا مصافكم واغفلوا عن يلكم " ^(٢) فقاتل المسلمون بشجاعة حتى انهزم الفرس ، وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا فما كانت بين والفرس وقعة أبقى رمة منها ، وبقيت عظام القتلى زمنا طويلا وكانوا يقتلون القتلى مائة ألف ، وسمي ذلك اليوم الأعشار أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة ، فكانوا يفتخرون بذلك وغيرهم قتل تسعة فسموا أصحاب التسعة ، وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال : " عجزت عجرة وقي الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر ، حتى أخرجتهم ، فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها ، فإنها كانت زلة فلا ينبغي إخراج من لا يقوى على امتناع " يريد أنه بحجزه الحجر سبب خسارة لرجاله ، واستشهد عدد من الجرحى منهم مسعود أخو المثنى وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى وقال : " والله يهون علي وجدي أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا " .

لقد انتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين انتصارا حاسما وقتل فيها مهران قائد الفرس ، وكان الذي قتله غلام نصراني من تغلب كما أن الفرس فقدوا فيها من القتلى أعدادا كبيرة حتى ان جثثهم شكلت (تلولا تلوح من هامهم

وأوصالهم) ، كما يروي الطبري ، وبذلك عادت موازين القتال لتؤثران المستقبل قد غدا لصالح المسلمين وأن عليهم أن يواصلوا الضغط على الفرس من أجل حسم المعارك على جبهة العراق بصورة نهائية لصالح المسلمين .

ومن ثم فقد أخذ المسلمون يشنون الغارات ويتابعونها فيما بين الحيرة وكسكر ، وبين كسكر وسورا .. وما بين الفلوجتين والنهرين وعين النمر .. وكانوا يعيشون مما ينالون من الغارات .. حتى وقعت معركة القادسية ، وقد استمرت هذه الحالة مدة ثمانية عشر شهراً حسبما يذكر البلاذري (٤٣).

✽ معركة القادسية

بعد موقعة البويب في العراق ، حدثت في المدائن أمور هامة ، فإن إشراف الفرس استاءوا من ضعف رستم والملكة ، وخشوا أن يؤدي ضعفهما إلى سقوط المملكة وهددوا رستم والفيروزان بالقتل ، فطلب رستم والفيروزان من الملكة يوران ابنة كسرى أن تكتب إلى نساء كسرى وسرارية ، ونساء آل كسرى وسراريهم بالحضور ، فلما حضرن سئلن عن ذكر من أبناء كسرى لاختياره ملكاً عليهن فلم يوجد عند واحدة منهن أحد ، وقال بعضهن لم يبق إلا غلام يدعى (يزدجرد) من ولد شهریار بن كسرى ، فأرسلوا إليه وطلبوه منها وكان ممن نجا من سيف عمه شيرى حين جمعهن وقتل الذكور وأرسلته أمه إلى أخواله . فلما سألوها عنه دلتهم عليه فولوه عليهم وكان عمره أحد وعشرين عاماً فاجتمع حوله الأشراف وقدموا له الطاعة ، وهو آخر ملوك العجم .

ثم جمع يزدجرد عساكره وجعلهم تحت قيادة رستم لمحاربة المسلمين احتلوا الجزيرة ، وحصنوا المدن إلى الحيرة ، فلما رأى المثنى بن حارثة قلة جيشه انسحب إلى ذي قار وراء الفرات ، ونزل الطف في عسكر واحد ، وقد كان

من المستحيل على المسلمين الاحتفاظ بأرض الجزيرة لقرب المدائن منها، لذلك كان من المهم أن يستولي عليها المسلمون، فكتب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يطلب منه المدد، لأن العدو يهددهم.

لما رحل كتاب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اهتم بالأمر وقال: (والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب). وكان أول ما عمل به الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد أن كتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل، حيث جاء في كتابه إلى عمالة: (لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إلى العجل العجل).

فمضت الرسل إلى من أرسلهم إليهم مخرجة إلى الحج، ووفاة أوائل هذا الضرب من القبائل التي طرقها على مكة والمدينة، فأما من كان من أهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق، فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج. وأما من كان أسفل من ذلك فانضموا إلى المثنى بن حارثة، فأما من وافى الخليفة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) فإنهم أخبروه عن وراءهم .

ولما اجتمع الناس إلى الخليفة عمر بن الخطاب، خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى حراراً، فعسكر به. ولا يعلم الناس ما يريد، أيسير أن يقيم.

فقال عثمان لعمر: ما بلغك ما الذي تريد. فنادى العلاء جماعة فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر، ثم نظر ما يقول الناس فكانت الآراء منقسمة إلى قسمين الرأي الأول، الذي يمثل عامة الناس، بالسير لمحاربة الفرس ويسير الخليفة معهم فوافقهم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على رأيهم. وقال لهم: (استعدوا واعدوا فإنني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك). وهذا بين أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يلتمس خير الآراء.

أما الرأي الآخر فكان رأي الخاصة من أصحاب الرسول (ﷺ) وأعلام العرب ، ومنهم علي (عليه السلام) وطلحة والزبير وعبد الرحمن على خلاف رأي العامة، وذلك أنهم أجمعوا على أن يبعث الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رجلاً من الصحابة بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح ، وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ففي ذلك غيظ العدو ، وهذا هو الرأي الصواب ، لأن الخليفة إذا قاد الجند بنفسه فإما أن ينتصر، وإما أن ينهزم أو يستشهد في ساحة الوغي ، وعندئذ تكون الهزيمة شديدة الوقع على المسلمين ، والخسارة جسيمة وهذا ما رآه المسلمون عندما خرج الخليفة أبو بكر الصديق إلى ذي القصة ليحارب بنفسه ، فإنهم قالوا له وقتئذ : ننشذك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك ، فإنك أن تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك أشد على العدو ، فابعث رجلاً فلن أصيب أمرت آخر ، وقد يعترض على ذلك بأن رسول الله (ﷺ) كان يقود الجند بنفسه ، لكن رسول الله (ﷺ) كان ينزل عليه الوحي ويبشره بالنصر وكان الله سبحانه وتعالى يمهده بالملائكة ، ومع ذلك فإنه لما شاع أنه قتل في موقعه أحد ، اضطرب الجيش وفر من فر إلى المدينة .

وقد تم إخبار سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) الذي له صدقات هوأزن بنجد ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتب إليه بانتخاب ذوي الرأي ، فجاءه كتاب سعد وهو يستشير الناس فيمن يبعثه - يقول فيه لعمر : (قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم) فوافق كتابه مشورتهم فقالوا : قد وجدته ، قال فمن ؟ قالوا : الأسد عارياً ، قال : من ؟ قالوا : سعد فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق .

وقال الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يوصي سعداً :

« يا سعد، سعد بني وهيب لا يغرنك من الله أن قيل قال رسول الله (ﷺ) فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ودخيلهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهو عيادة يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت النبي (ﷺ) منذ بعث إلى أن فارقنا فألزمه ، فإنه الأمر هذه عظي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ولما أراد أن يسرحه دعاه وقال له :

" إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه ، لا يخلص منه إلا الحق ، تقود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، وأعلم أن لكل عادة عتاداً فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله ، وأعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما طاعة من أطاعه بيبغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حبه ، وإذا أبغض عبداً بغيظه ، فاعتبر منزلك عند الله تعالى بمنزلك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك " .

وقد سار مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق في المدينة (٤٠٠٠) مقاتل، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كلما وفد عليه جيش سيره للانضمام إلى جيش سعد ، ومن الذين انضموا إليه طليحة الذي أسلم وعمرو بن معدي ، والأشعث ، وعلى ذلك وجد سعد نفسه قائد جيش كبير بلغ نحو (٣٥٠٠٠) مقاتل ، وهو

أعظم جيش وجه لقتال الفرس ، وإليك بيان الجيش مع ذكر القبائل :

(١) ٤٠٠٠ الجيش الذي خرج مع سعد من المدينة منهم :

يماني	٣٠٠٠
من سائر الناس	١٠٠٠

(٢) ١١٠٠٠ الجيش الذي انضم إلى سعد بعد خروجه من المدينة وهم كما يلي :

يماني	٢٠٠٠
نجدي	٢٠٠٠
تميمي	٣٠٠٠
ربيّ	١٠٠٠
من بني أسد ليكونوا بين سعد والمثنى	٣٠٠٠

(٣) ٢٠٠٠٠ جيوش المثنى منهم :

من بكر وائل	٦٠٠٠
من سائر ربيعة	٢٠٠٠
اتجهوا بعد أن ترك خالد المثنى	٤٠٠٠
ممن بقي يوم الجسر	٤٠٠٠
من أهل اليمن من الجبيلة	٢٠٠٠
من قضاة وطيء	٢٠٠٠

وقبل أن يصل سعد بن أبي وقاص إلى العراق، توفي المثنى بن حارثة على اثر الجرح الذي أصابه بموقعة الجسر ، وكان المثنى قبل وفاته قد استخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، وكان المعنى بعد موت أخيه المثنى قد سار إلى قابوس ابن قابوس بني المنذر بالقادسية لقتاله لأن الفرس كانوا قد بعثوا قابوس بن المنذر بالقادسية لقتاله لأن الفرس كانوا قد بعثوا

قابوس ليستنفر بني بكر ، ثم رجع المعنى إلى سعد يوصيه بوصية المثنى بن حارثة الذي كان قد أوصى بها وأمره أن يعجلها على سعد في بزرود ، فلم يفرغ لذلك إذ شغله قابوس فلقيه بشرق ، وكانت وصية المثنى لسعد ، أن لا يقاتل عدوه وعدوهم (بني المسلمين من أهل فارس) إذا استجمع أمرهم وملأهم في عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العري وأن يقاتلوهم بعقر دارهم ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

فلما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه وأمر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته قبراً .

لما ترك سعد بن أبي وقاص بشراف كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ؓ) بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضى إلى الجبانة فكتب إليهم الخليفة عمر : " إذا جاءك كتابي هذا فعرف الناس وعرف عليهم ، وأمر على أجنادهم وعيهم ، وأمر رؤساء المسلمين فليشهدوا ، وقدرهم ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية ، واضم إليك المغيرة بن شعبه ^(٥٠) في خيله واكتب إلي بالذي يستقر إليه أمرهم " .

فبعث سعد إلى المغيرة فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، فقدر الناس وعبأهم بشراف ، وأمر أمراء الأجناد ، وعرف العرفاء ، فعرف على كل عشرة رجلاً ، وأمر على الرايات رجلاً من أهل السابقة ، وأمر على الأعشار رجلاً لهم وسائل في الإسلام ، وولى الحروب رجلاً ، فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتصم ، وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط ، وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلي ، وعلى الرجل (المشاة) حمال بن مالك الأسدي ، وعلى الركبان عبد الله بن ذي

الهيمن الخشعي ، وجعل خليفة خالد بن عرفطة ، فكان أمراء التعبئة يولون الأمير ويليههم أمراء الأعشار ثم أصحاب الرايات ويلي أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وإليه قسمة الفيء وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي .

لقد كان سعد بن أبي وقاص عازماً على تنفيذ وصية المثنى بن حارثة لما له من الخبرة والدراية ، فأتاه كتاب من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بمثل رأي المثنى وهذا نصه :-

(أما بعد ، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكل على الله ، واستعن به على أمرك كله ، وأعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع ، وإن كان سهلاً كؤود لبحوره ودآئنه إلا أن توافقوا فيضاً من فيض ، وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابذوهم الشد والضرب ، وإياكم والمناظرة بجموعهم ولا يخدعنكم ، فإنهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجادوهم وإذا انتهي إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأهل ، وهي منزل رغب خصب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر ، على حافات الحجر ، وحافات المدر ، والجراع بينهما ، ثم ألزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسوك أبغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم ، فانصرف من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة) .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرحل فيه من شراف : (فإذا كان يوم كذا وكذا
فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوارس ، وشرق
بالناس وغرب بهم) .

ثم قدم عليه جواب كتاب الخليفة عمر :

((اما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية الحسنة ومن غفل
فليحدثها ، والصبر الصبر ، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر على
قدر الحسنة ، والحذر الحذر على من أنت عليه ، وما أنت بسبيله واسألوا الله
العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واكتب إلى أين بلغك
جمعهم ، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم ، فإنه قد منعني من بعض ما أردت
الكتاب به قلة علمي بما هاجمت عليه ، والذي استقر عليه أمر عدوكم ، فصف
لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأنني أنظر إليها ،
واجعلني من أمركم ، وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن تصرفه عنك
ويستبدل بكم غيركم)) .

فكتب إليه سعد بن أبي وقاص بصفة البلد :-

((إن القادسية بين الخندق والعتيق ، وإن ما عن يسار القادسية بحر
أخضر في جرف لاح إلى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما
الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الخُضوض ، يطلع بمن سلكه على ما بين
الخورنق والحيرة وأن ما عن يمين القادسية إلى الوجة فيض من فيوض
سعياهم ، وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي أليت لأهل فارس
قد خفوا لهم ، واستعدوا لنا ، وأن الذي أعدوا لمصادقتنا " رستم " في أمثال له
منهم فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ، ونحن نحاول انغاضهم وإيرازهم ، وأمر
الله بعد ماضٍ ، وقضاؤه سلم إلى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء
وخير القدر في عافيته)) .

فكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :-

* لقد جاعني كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك ، وأعلم أن لها ما بعدها ، فإن منحك الله أدبارهم ، فلا تترع عنهم حتى تقتحم عليه المدائن ، فإنه خرابها إن شاء الله .

سار سعد بن أبي وقاص متمهلاً نحو العذيب محاذياً حدود الصحراء ، وهناك ترك النساء والأطفال بحماية فرقة من الفرسان ، وتقدم نحو القادسية في سهل متسع يرويه الفرات ، ويحده من الغرب خندق سايور ، وقد كان هذا الخندق في تلك الأيام غديراً ، ووراءه تمتد الصحراء وهذا السهل يخترقه طريق من بلاد العرب ، وهناك يعبر النهر بجسر من القوارب إلى الحيرة ، ومن ثم الطريق إلى المدائن هذا هو وصف ميدان القتال الذي عما قريب يبين قيمة أمر الفرس ، وقد سار سعد على الشاطئ الغربي وجعل مركز القيادة القديس وهي قلعة صغيرة على الغدير بعد الجسر بقليل ، وهناك عسكر وانتظر بفروغ صبر حركات العدو كان قائد الفرس رستم يريد الانتظار كسعد لولا رغبة الملك يزدجر في التعجيل بالقتال لأن العرب كانوا يعبرون النهر إلى الجزيرة ، ويوالون الإغارات ، ويهاجمون حصون الأشراف ، وقد انقضى الربيع وأتى فصل الصيف ، واستاق المسلمون النعم من المراعي تأديباً للقبائل الموالية للفرس ، ولتقديم الغذاء للجيش فلما استغاث أهل البلاد لم يعد الملك يستمع لرأي رستم بالانتظار فدعاه على التقدم في الحال ، وفي هذه الأثناء ، وكان سعد يرسل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ويوافقه على كل شيء ويصف له القادسية .

أقام سعد شهراً ينتظر حركات العدو ، فلما طال به الانتظار كتب إلى الخليفة : " لم يوجه القوم إلينا أحداً ، ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه ، ومتى ما

يبلغنا ذلك نكتب به، واستتصر الله فإننا بمنجاة دنيا عريضه دونها بأس شديد قد تقدم إلينا في الدعاء إليهم ، فقال استدعون إلى قوم أولى بأس شديد " .
ثم علم سعد بن أبي وقاص أن ملك الفرس ولى رستم حربته كتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : (لا يكرهنا ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به واستعن بالله وتوكل عليه ، وأبعث عليه رجلاً من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعائهم تهويناً لهم وقلجاً عليهم ، واكتب إلي في كل يوم) .

- وفد المسلمين إلى يزيد جرد يدعونه إلى الإسلام

لما وصل جواب الخليفة عمر بن الخطاب إلى القائد سعد بن أبي وقاص يأمره بإرسال وفد إلى ملك الفرس ، أرسل سعد نفرأ منهم النعمان بن مقرن ، ويسر بن أبي رهم ، وحملة بن جوية ، وحنظلة بن الربيع ، وفرات بن حيلان ، وعدي بن سهيل ، وعطارد بن عاص ، والمغيرة بن زرارمة بن إلياس الأسدي ، والأشعث بن قيس ، والحرث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة إلى يزيد جرد دعاه ، فخرجوا من العسكر فقدموا على يزيد جرد وتركوا رستم ، واستأذنوا على يزيد جرد ، فحيوه وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقول لهم ، واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها جهاد وعليهم البرود وبأيديهم السياط ، فأذن لهم وأحضر الترجمان وقال لهم سلهم ، ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل أننا تشاغلنا أجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : " إن شئتم تكلمت عنكم ومن شاء أثرته " فقالوا تكلم فقال : « إن الله رحماً فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير ، وينهانا عن الشرور ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة ويتباعد عنه بها فرقة ، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب فبدأناهم ، فدخلوا معه على

وجهين : مكره عليه فاعْتَظ ، وطائع أتاها فازداد فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه في العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم ، فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن ، وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر في الشر هو أهون من آخر الشر منه الجزاء فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أحببتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلائكم ، وأن اتقيتمونا بالجزاء (الجزية) قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم .

فتكلم يزيدجرد فقال :

« إني لا أعلم من الأرض أمة أنه كانت أشقى ، ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، وقد كنا نوكل لكم قرن الضواحي فيكفونا أمركم ، ولا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فإن كل غرر بحقكم فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم » .

فقام المغيرة بن زرارة فقال :

((أيها الملك أن هؤلاء رؤوس العرب وجوههم ، وهم أشرف يستحون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ويفخم الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا له جمعه لك ، فجأوبني لأكون الذي أبلغك ، ويشهدون على ذلك أنك قد وصفتنا صفة لم نكن بها عالماً)) .

فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والحبلا والعقارب والحيتان فترى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فائما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أدبار الإبل وأشعار الغنم ، وبتنا أن يقتل بعضنا بعضاً ، ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحداً ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل

اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلا معروفا ، نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبيلتنا ، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كنا فيها أصدقنا وأصلحنا ، قد دعانا إلى أمر فلم يجيبه أحد أول من ترب كان له وكان الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئا إلا كان ، فغضب الله في قلوبنا التصديق له وأتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : «إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذا لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلي يصير كل شيء ، وأن رحمتي أدرتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بعد الموت من عذابي ... »

فقال : أتستقبلني بمثل هذا ؟ فقال :

« ما استقبلت إلا من كلمني ولو كلمني غيرك لم استقبلتك به » فقال :
« لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لأي شيء لكم عندي » ثم استدعى يوقر من تراب فقال : « احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل إليه رستم حتى يدفعه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، ثم أورد بلادكم ، حتى أشغلكم بأشد مما نالكم من سابور » .

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب وقال : أنا أشرفكم أنا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد : أبشر فوالله لقد أعطانا أقاليد ملكهم .

- مسير جيش رستم

لم يعد رستم ينظر بعد ذلك فجمع جيشا يبلغ (١٢٠,٠٠٠) ومنهم الفيلة ومع ذلك سار متمهلا ثم عبر الفرات بالقرب من بابل وتقدم نحو الحيرة إلى أن صار بمرأى من جيش المسلمين ، وعسكر على الشاطئ المقابل ، واستعمل

رستم على ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران بن يهرام الرازي ، وعلى ساقته البيرزان ، ودعا رستم أهل الحيرة فقال : " يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتموهم بالأموال " .

فاتقوه بآبن بقبيلة وقالوا له كن أنت الذي تكلمه فتقدم فقال :

"أما أنت وقولك إنا فرحنا بمجيئهم ، فماذا فعلوا ؟ وبأي ذلك من أمورهم نفرح ؟ إنهم يزعمون إنا عبيد لهم وما هم على ديننا ، وإنهم يشهدون علينا إنا من أهل النار ، وأما قولك إنا كنا عيوناً لهم فما الذي يحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ؟ وقد هرب أصحابكم منهم وخلوا لهم القرى ، فليس يمنعهم أحد من وجهة أرادوه إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً ، وما بقولك إنا قويناهم بالأموال فإننا مانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذا لم تمنعونا مخافة أن نسبى وأن نحرب وتقتل مقاتلتنا ، وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا أعجز ، ولعمري لأنتم أحب إلينا منهم وأحسن عندنا بلاء فامنعونا منهم نكن لكم عوناً ، فإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب " فقال رستم أصدقكم الرجل .

اضطر المسلمون أن يظلوا مدة طويلة في العراق بلا قتال بالرغم منهم تنفيذاً لأوامر قائدهم سعد بن أبي وقاص ، ما عدا بعض السرايا الصغيرة التي أرسلها سعد ورستم بالنجف ، والجالينوس (القائد الفارسي) بين النجف والمسلمين ، فطافت في السواد فبعث سواداً وحميضة في مائة مائة ، فأغاروا على النهرين ، وبلغ رستم الخبر فأرسل إليهم رجلاً ، وسمع سعد أن خيله قد غلت فأرسل عاصم بن عمر وجابراً الأسدي في آثارهم فلقبهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليتخلصوا ما بأيديهم ، فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم ، وأرسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسدي ، فأما طليحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بمعسكر الجالينوس ، فخرج طليحة وحده وخرج عمرو في عدة فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما فقال : إن لقيت قتالاً

فأنت عليهم وأراد معاقبة طليحة لمعصيته لأوامره ، وأما عمرو فقد أطاعه فخرج حتى تلقى عمراً فسأله عن طليحة فقال : لا علم لي به ، فلما انتهيا إلى النجف من قبل الجوف قال له قيس : ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنى عسكرهم قال : في هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : لا أدعك والله وذاك ، أتعرض المسلمين لما لا يطيقون ؟ قال : وما أنت وذاك ؟ قال : إني أمرت عليك ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك ، وشهد له الأسود بن يزيد في ثغر أن سعداً قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس إن زماناً تكون عليّ أمراً لزمان سوء ، لأن أرجع عن دينكم هذا إلى دين الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلي من أن تأمر علي ثانية ، وقال : لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنقارنه ، قال : ذاك إليك بعد مردتك هذه ، فردّه فرجعنا إلى سعد بن أبي وقاص بالخبر ، وشكا كل واحد منهما صاحبه ، فقال سعد : " يا عمرو الخير والسلامة أحب إلي من مصاب مائة بقتل ١٠ ألف تعدد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة إن كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى فقال : إن الأمر لكما " .

حاول قائد الفرس رستم منع القتال ، حيث كان منجماً فرأى طالع الفرس منحوساً ، وعلم أن نعيمهم عاد بؤساً فكتب كتاباً إلى أخيه مشحوناً بالأسف والحزن جاء فيه :

" إني نظرت في أسرار الكواكب ، واستشفيت أستار العواقب ، فرأيت بيت ملك الساسانية خالياً ، ورسم سلطانهم عافياً ، وانفقت الشمس والقمر والزهرة في طالع العرب ، فلن يردا سوى الخير والعلاء ، وأما من جنيناه فقد صار الميزان خالياً ، فلسنا نرى غير العناد والشقاء ، ولقد أمعنت النظر وبين أيدينا أمر عظيم ، وخطب جسيم ، والأولى أن أوتر السكوت ، وأفوض الأمر إلى مالك الملك والملوك " .

وقال في كتابه : " وإن الرسل نختلف بيننا وبينهم وهم يلتمسون أن نقاسمهم الأرض فيكون لهم ما وراء الفرات ويكون لنا ما دونه على أن نفتح لهم الطريق إلى السوق حتى يدخلوا إليه ويتسوقوا ، هذا قولهم ويا ليتة وافقه فعلهم ، ثم أنه يجرى لكل يوم وقعة يهلك فيها خلق الإيرانيين والذين معي منهم قوم مغترون بشجاعة رجالهم ووفرة عددهم ، ومستصغرون أمر العدو الغادر ولا يدرون سر الفلك الدائر ، فإذا وقفت على كتابي هذا فاجمع أموالك ، وخزائنك وخيلك ورجلك وانهض إلى أنربيجان واعتصم بتلك البلاد ، واشرح لأمي حالي، وسلها الدعاء فإنني وأصحابي في عناء وتعب ، وهم وأسف ، وأنا أعلم أني لا أسلم بالآخرة من هذه الوقعة ، ثم عليك بحفظ الملك ، فإنه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه (٤٦) "

هذا خطاب رستم إلى أخيه قبل أن يشتبك الجيشان في الحرب ، وهو يؤيد ما جاء في المصادر العربية التي يقول عليها من الطبري ، وابن الأثير، من أنه فاوض المسلمين ، وخاطبهم مراراً ، محاولاً منع وقوع الحرب ، ومن هذا الخطاب الفارسي المصدر، يتبين أنه كان يتوقع انتصار العرب وهزيمة الفرس، كان هذا رأي رستم قائداهم الأعظم، مع أنه كان تحت قيادته (١٢٠,٠٠٠) مقاتل مجهزين بالفيلة ، والخيول والسيوف والنبال ، ومعهم المؤن الوفرة ، وليس لدى المسلمين غير (٣٥,٠٠٠) رجل تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ، ولم تكن مؤنهم متوافرة ومع ذلك كان رستم يتوقع الهزيمة ، وينصح لأخيه بالالتجاء إلى أنربيجان ، ولذلك حاول إقناع المسلمين بالكف عن القتال ، فذكر لهم سوء حالهم وقلة عددهم وعدوهم ، وأظهر لهم حسن حال الفرس ، وما هم فيه من عز وسلطان فلم يفلح لسبيين :

أولاً : لأن الملك يزد جرد كان يعجل بالقتال لأن الفرس اختاروه ملكاً ، لأن أشراف الفرس خشوا من سقوط المملكة في أيدي العرب فولوه لقتالهم أضف إلى

ذلك ، استغاثة القبائل الموالية للفرس من جراء غارات المسلمين وكانت العاصمة مهددة ، ورغبة الأشراف شديدة في القتال لصد المسلمين ، وكانوا مغترين بشجاعتهم وكثرة عددهم ، ويرون أنهم أرقى من العرب ، فكانوا يعيرونهم بسوء الحال ، وشظف العيش ، وجذب البلاد ، ورثاة الثياب ... إلخ .

ثانياً: لأن المسلمين لم يكونوا ييغون الفتح لأجل الفتح ، بل كانوا يحاربون في سبيل الله ، وكانوا يعتقدون ويؤمنون أن من قتل منهم في سبيل الله دخل الجنة ، فعرضوا على رستم واحداً من ثلاثة أمور : إما الإسلام ، أو الجزية أو القتال ، ورفضوا ما دون ذلك من العطايا والمنح والوعود . وهنا نذكر ما كان بين رستم والمسلمين من المفاوضات في شأن الفتح فقد ذكروا أنه لما ترك رستم على العتيق وبات وأصبح غاوياً ، تأمل القوم ، حتى أتى على شيء يشرف منه على جيش المسلمين فلما وقف على القنطرة ، وأرسل زهرة بن حوية فخرج إليه حتى وافقه ، فأراد على أن يصلحهم ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول : " أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطنتنا فكنا نحسب جوارهم ونكف الأذى عنهم ، ونوليهم المرافق الكثيرة ، ونحفظهم في أهل باديتهم ، فنرعيهم مراعيها ، وغيرهم في بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ، وقد كان في ذلك معاش " .

فقال له زهرة : " صدقت ، قد كان ما تذكر ، وليس أمرنا أولئك ولا طلبتنا طلبتهم ، إنا لم نأتكم لطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة كنا كما ذكرت ، يدين لكم من رد عليكم منا ، ويضرع إليكم بطلب ما في أيديكم ، ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأحبيناه ، فقال لنبيه (ﷺ) : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني ، فأنا منتقم بهم منهم واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به ، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد الأغر .

فقال له رستم : وما هو ؟

فقال : " أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والإقرار مما جاء من عند الله تعالى " .

قال : " ما حسن هذا ، وأي شيء أيضا " .

قال : " وإخراج العباد من عبادة العباد ، إلى عبادة الله تعالى " .

قال : " حسن ، وأي شيء أيضا " .

قال : " والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم " .

قال : " ما أحسن هذا " ثم قال له رستم :

" أرأيت لو أنني رضيت بهذا الأمر ، وأجبتكم إليه وعلى قومي كيف يكون أمركم ، أترجعون ؟

قال : " إي والله ثم لا نقرب بلادكم أبدا إلا في تجارة أو حاجة " .

قال : " صدقني والله أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعو أحدا يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدوا طورهم وعادوا أشرفهم " .

فقال له زهرة : " نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ، نطيع الله في السفلة ، ولا يغرننا من عصي الله فينا " ، فأنصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا ، فحموا من ذلك .

وأرسل سعد إليه ربعي بن عامر ، فاستعدوا للقائه وبسطوا البسط ووضع لرستم سرير من الذهب وألبس زينته من الأغماط والوسائد المنسوجة من الذهب وأقبل ربعي يسير على فرس له ومعه سيف وقوسه ونبله ، وهو رث الثياب فقالوا له : دع سلاحك ، فأذن له رستم فأقبل يتوكأ على رمحه ، فلما دنى من رستم تعلق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحه بالبسط فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنا لا نستحب القعود على زينتك هذه .

فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله أبعثنا والله جاء بنا ليخرج من يشاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلناه منه ومن أبي ما قلناه أبدا حتى نقضى إلى موعود الله .

قال : " وما موعود الله ؟ قال : " الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن بقي " .

قال رستم : " قد سمعت مقاتلكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ " قال : نعم كم أحب إليكم ، أيوما أو يومين ؟ قال : " لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا " وأراد مقارنته ومدافعتة . فقال : " إنما مما سن لنا رسول الله (ﷺ) ، وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث بعد الأجل : اختر الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء (الجزية) ونكف عنك وأن كنت لن تعرنا غنيا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجا منعناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع ، إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى " .

قال : " أسيدهم أنت ؟ قال : " لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم (٤٧) " .

فخلص رستم برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل ؟ قالوا معاذ الله إلى أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك ، أما ترى إلى ثيابه ؟

فقال : ويحكم لا تنتظروا إلى الثياب ، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصنون الأحساب أليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون .

ولما انتهى الأجل بعثوا أن أبعث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم سعد بن حذيفة بن محصن ، فتكلم بمنثل ما كلمه زهرة ، ثم عادوا وطلبوا رجلا فأرسل سعد المغيرة بن شعبة ، فعرض عليه رستم أن يعطي أمير المسلمين كسوة ونبلا وألف درهم ، ولكل رجل وقر تمر وثوبين ، على أن ينصرفوا عن الفرس ، فأبى المغيرة وانصرف ، وحاول رستم أن يقنع رؤساء الفرس بالكف عن الحرب ، فازدادوا لجاجة ، وكان ترجمان رستم من أهل الحيرة يدعى عبود .

وقال رستم بعد انقضاء الأجل : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا فخرجوا من عنده ليلا ، وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى الناس أن يقفوا مواقفهم ، وأرسل إليهم شأنكم والعبور ، فأرادوا القنطرة فأرسل إليهم لا ولا كرامة ، أما شيء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم ، تكلفوا معبرا غير القناطر ، فباتوا يسدون العتيق بحبال قادس حتى الصباح بالقاء الأخشاب والتراب والبراذع حتى جعلوه طريقا لهم ، فعبروا بأنقالهم حتى نزلوا على حفة العتيق ، ثم لبس رستم درعين ، ومغفرا وأخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب ، ثم قال : " غدا ندقهم دقا " .

لما عبر أهل فارس أخذ مصافهم ، وجلس رستم على سريره ، وعبر في القلب (١٨) فيلا عليها الصناديق والرجال ، وفي المجنتين ثمانية وسيلة عليها الصناديق والرجال ، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين ، وكان يزدجرد وضع رجلا على باب أيوانه ، إذا سرح رستم ، وأمره بلزومه ، وإخباره حيث يسمعه من الدار ، وآخر خارج الدار ، وكذلك على كل دعوة رجلا ، فلما ترك رستم ، قال الذي بباساط ؟ قد نزل فقال له الآخر : ما قاله الذي على باب الأيوان ، وجعل على كل مرحلتين على كل دعوة رجلا ، فكلما

نزل وأرتجل أو حدث أمر قاله ، ما قاله الذي يليه ، حتى يقوله الذي يلي باب الأيوان فنظم ما بين العتيق والمدائن رجلاً وترك البرد ، وكان ذلك هو الشأن .
وأخذ المسلمون مصافهم ، وجعل زهرة وعاصم بين عبد الله وشرحبيل ، ووكل صاحب الطلائع بالطرد ، وخلط بين الجند في القلب والمجنتبات ، ونلدى مناديه : ((إلا أن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله ، با أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد)) . وقد خطب سعد بن أبي وقاص بالجند بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

((إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف ، قال الله جل ثناؤه ﴿ لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ إن هذا ميراثكم وموعدهم بكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطمعون فيها ، وتأكلون منها ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعز من ورائكم ، فإن ترهبوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وأن تقسلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتويقوا آخرتكم)) .

وقام عاصم بن عمرو بخطبة في المجردة فقال :

((إن هذه البلاد قد أحل الله لكم أهلها وأنتم تتالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، أن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسأؤهم وأبناؤهم وبلادهم ، وأن هزمتم فشلتم فانهلكم من ذلك جار وحافظ ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك ، الله الله !! اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها ، أولاً ترون أن الأرض وراءكم يابسة قفار ليس فيها خمر ولا وزر يعقل إليه زلا يمتع به ! اجعلوا همكم الآخرة)) .

وكتب سعد بن أبي وقاص إلى الرايات! ((أني قد استخلفت عليكم خالد ابن عرفطة وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي ، فأني مكب على وجهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمري ويعمل برأيي)). فقرئ ذلك على جيش المسلمين فزادهم خيراً وانتهوا إلى رأيه ، وقبلوا منه ، وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع ، وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهي الأنفال ، فلما فرغ من القراءة قال سعد : ((أئزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر ، فإذا صليتم فإني مكبر تكبيرة ، فكبروا واستعدوا ، فإذا سمعتم الثانية فكبروا وألبسوا عدتكم ، ثم إذا كبرت الثالثة، فكبروا ، ولينشط فرسانكم الناس)) فإذا كبرت الرابعة فازهقوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

لما كبر سعد التكبيرة الثالثة برز أهل النجدات فانتشروا للقتال ، وخرج إليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله أسدي وهو يقول :

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح

إني سمام البطل المشايح وخارج الأمر المهم الفادح

فخرج إليه هرمز ، وكان من ملوك الباب ، وكان متوجاً فأسره غالب أسراً فجاء به سعداً فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب

إني أرو لا من يعنيه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب

فطارد رجلاً من أهل فارس ، فهرب منه ، واتبعه حتى إذا خالط حفيهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه ، واستاق عاصم البغل والرجل حتى أفضى به إلى الصف ، فإذا هو خباز الملك فأتى به

سعد ورجع إلى موقفه ثم قتل عمرو بن معدي كرب رجلاً من الأعاجم ، كسر عنقه ، ووضع سيفه على حلقه فذبحه ، ثم قال هكذا فاصنعوا بهم .

ثم حملت الفيلة على جيش المسلمين ، وكانت الفرس قد قصدت بني بجيلة بسبعة عشر فيلاً ، فنفرت خيل بجيلة ، وكادت تهلك لنفار خيلها عنها ، وممن معها ، فأرسل سعد إلى بني أسد أن واقعوا عن بجيلة وممن معها من الناس ، فأرسل سعد إلى بني عمرو في كتائبهم ، فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبائها ، وأن على كل فيل عشرين رجلاً ، فكانت عبارة عن حصون متحركة ، فقال طليحة حيث قام في قومه :

((يا عشيرتاه، إن المنوه باسمه ، الموثوق به ، وإن هذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ابتدؤوهم الشدة ، وأقدموا عليهم إقدام الليوث ، الحرية فإنما سميت أسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا ، وكروا ولا تفروا الله در ربعة ! أي فري يفرون ! وأي قرن يغنون ! هل يوصل إلى موافقهم ! فاغنوا عن موافقكم أعانكم الله شدوا عليهم باسم الله)) .

فمازالوا يطعنون ويضربونهم حتى حبسوا لفيلة عنهم فأخرت ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم ، فبارزه فما لبثه طليحة أن قتله .

وقام الأشعث بن قيس في كنده فقال :

((يا معشر كنده ، لله در بني أسد أي فري يفرون ! وأي هذ يهزون عني موقفهم منذ اليوم ، أغنى كل قوم ما يملهم ، وأنتم تنظرون من يكفيكم البأس ، أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب منذ اليوم ، وإنهم ليقتلون ويقاثلون وأنتم جثاة على الركب تنظرون)) .

فوثب إليه عشرة منهم قالوا : ((عمر الله جدك ، إنك لتؤيسنا جاهداً ونحن أحسن الناس موقفاً ، فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا أسوتهم ، فما نحن معك)) . فنهد ونهدوا فأزالوا الذين بإرائهم ، فلما رأى فارس ما تلقى الفيلة من

كتيبة أسد رموهم بحدودهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس ،
والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد
ومعهم تلك الفيلة ، وقد ثبتوا لهم لم يكن سعد قد كبر التكبيرة الرابعة بعد ، فلما
كبر اجتمعت حلبة فارس على أسد ، ومعهم تلك الفيلة ، فزحف المسلمون
ودارت رحى المعركة ، وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة على الخيول ،
فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشر بني تميم ألستم أصحاب
الإبل والخيول ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى والله ، ثم نادى في
رجال من قومه رماة ، ، وآخرين ثقافة ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبوا ركبنا
الفيلة عنهم بالنبل ، وقال يا معشر أهل الثقافة استديروا الفيلة فقطعوا وضنها (أي
أحزمتها) ، وخرج يحميهم وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنانها
وذباذب توأبيتها فقطعوا أحزمتها ، فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أعرى ، وقتل
أصحابها ، وزدوا جيش فارس عنهم إلى مواقفهم فاقتتلوا حتى غربت عنهم
الشمس ، وذهبت هداة من الليل ، وسمى هذا اليوم بيوم (أرمات) .

ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبئة ، وقد وكل سعد رجالاً
بنقل الشهداء إلى العذيب ، وأما الجرحى فسلموهم إلى النساء ليقمن عليهم ،
ودفن الشهداء هنالك على (مشرف) وهو واد بين العذيب وبين الشمس ، ثم
طلعت نواصي الخيل من الشام ، وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر ، وكان
الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أرسل إلى أبي عبيدة بن الجراح بإرسال أهل
العراق إلى العراق ، فسيرهم أبو عبيدة ، وهم ستة آلاف ، خمسة آلاف ، من
ربيع ومضر ، وألف من أفتاء اليمن من أهل الحجاز ، وأمر عليهم هاشم بن
عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي ، فتعجل القعقاع ،
فقدم على الناس صبحه هذا اليوم وهو يوم (أغواث) ، وقد عهد إلى أصحابه
وهم ألف أن ينقسموا إلى عشرة أقسام ، لكل مائة قسم في أثر الآخر ، ثم أقبل

على جيش سعد ويبيشرهم بالجنود فقال : ((يا أيها الناس إني قد جئكم في قوم ، والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسوكم حسدوكم لظوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم)) ومجيء الجيش بهذه الصفة وهذا النظام كان له وقع عظيم في نفوس الفرس والمسلمين جميعاً ثم أن القعقاع شجع الجيش على القتال وقال : اصنعوا كما أصنع ، فتقدم ثم نادى من يبارز ؟ فقالوا فيه ما يقول أبو بكر : ((لا يهزم جيش فيهم مثل هذا)) ، وسكنوا إليه فخرج إليه ذو الحاجب (بهمن) فقال له القعقاع ((من انت ؟)) قال : ((أنا بهمن باذويه)) فنادى : ((يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر)) ، واشتبكا فقتله القعقاع ، وجعلت خيله ترد قطعاً ، ومازالت ترد إلى الليل وتشجع المسلمون ، وانكسرت الأعاجم ونادى القعقاع من يبارز ؟ فخرج إليه رجلان أحدهما : البيرزات فقتله وقتل الحارث بن ظبيان البندران ونادى القعقاع : يا معاشر المسلمين من يبارز ؟ بأشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها فتوأسى الناس ، وتشايعوا إليهم ، واقتتلوا حتى المساء ، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم ما يفرحهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا فسي هذا اليوم على فيل لأن توابيتها قد تكسرت بالأمس ، فاستنقوا إصلاحها حين أصبحوا ، فلم ترتفع حتى كان الغد .

أخذ المسلمون في اليوم الثالث ينقلون شهداءهم إلى المقابر ، والجرحى إلى النساء ، وقال سعد : من شاء غسل الشهداء ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم .

وبات القعقاع تلك الليلة يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقه فيه ، وقال : إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة (كلما توارى عنكم مائة ولا يشعر به أحد ، وأصبح الناس على مواقفهم ، فلما طلعت الشمس أقبل أصحاب القعقاع ، فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وقالوا : جاء المدد ، واختلفوا الطعن والضرب فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى الأمر إليهم هاشم ، وقد طلّعوا في سبعمائة ، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يومه ، فعبى أصحابه سبعين

سبعين، وكان فيهم قيس هبيرة بن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادي ، ولم يكن من أهل الأيام ، إنما كان باليرموك فانتدب مع هاشم ، حتى إذا خالط قلب جيش الفرس كركر وكركر المسلمون ، وقال: أول القتال المطاردة ثم المراماة ، ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى شاطئ النهر ، ثم عاد إلى موقفه .

وبات الفرس في علاج قواتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها (أحزمتها) ، ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبة دلفوا بها بفيل أتباعه لينفروا بهم خيلهم، فتقاتلوا حتى عدل النهار ، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً ، العرب والعجم فيه على السواد ، وقد كان يزدجرد يبعث المدد ممن بقي عنده ، فيقومون بهم ولولا الذي منحه الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين ، وأتاح لهم بهاشم، لكسر المسلمون وانهزموا.

لما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب وعادت لفعالها كيوم أرمات استشار نفرأ من الفرس قد أسلموا فأشاروا عليه بضرب المشافر والعيون ، فأرسل إلى القعقاع وعاصم بني عمرو: أكفياني " الأبيض" فحملوا على الفيل الأبيض فوضعوا رمحيهما معاً في عينيه ، ثم قتله القعقاع ، وقتلوا من كان معه .

بعد أن فرت الفيلة ، وخلص المسلمون بأهل فارس، ومال الظل تراحف المسلمون وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار حتى المساء واشتد القتال بين الفريقين ، فخرجوا على السواد إلا الغنائم من هؤلاء ، فسميت ليلة الهرير^(٤٩) ولم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية .

وبعث سعد بن أبي وقاص (ليلة الهرير) طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل المعسكر ليقوما عليها خشية أن يأتيه القوم فيها .

قال طليحة : لو خضنا فأتيانا الأعاجم من خلفهم ، فقال عمرو : بل نعبر أسفل ، فافترقا فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق ، وسفل عمرو بهما جميعاً ، فأغاروا وثارَت بهم الأعاجم ، وزحف قوم بغير إذن سعد ولم ينتظروا أمره ، فكان القعقاع أول من زحف فقال سعد : اللهم اغفرها له وانصره ، فقد أذنت له إن لم يستأذني ، ثم قال : إذا كرت ثلاثاً فاحملوا ، وكبر واحدة لكنهم لم ينتظروا ، فحملت أسد ثم بجيلة ، ثم كندة ، ثم زحف الرؤساء ، وهكذا فإن العرب لشجاعتهم لا يطيقون الانتظار في ميدان القتال ، بل يندفعون بكل قواهم ، وقد كان سعد ينتظر طويلاً بين كل تكبيرة وأخرى كي يستعدوا وينتظموا لكنهم ما كانوا يطيقون الصبر .

كانت رحي المعركة تدور على القعقاع ، وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار ، وطليحة ، وغالب ، وأهل النجدات ، ولما كبر سعد الثالثة لحق الجند المسلمين بعضهم بعضاً ، وخالطوا القوم ، واستقبلوا الليل بعد صلاة العشاء ، وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون حتى الصباح ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله ، ، وانقطعت أخبار القتال عن سعد ورستم ، وأقبل سعد على الدعاء ، فلما كان الصبح ، واستدل المسلمون على أنهم المنتصرون بعد أن حاربوا يوماً بلا انقطاع .

كان أول شيء سمعه سعد في هذه الليلة مما يستدل به على الانتصار في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشراً وزائداً أربعة وخمسة وواحداً

نحسب فوق اللبد الأسودا حتى إذا ماتوا دعوت جاهداً

الله ربي واحترزن عامداً

وفي الصباح سار القعقاع في جند المسلمين فقال : ((إنَّ الدبيرة

(الهزيمة) بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر

فآثروا الصبر على الجزع)) فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم (قصده) حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ، وأخذت مجنبتا الفرس في الارتداد، ونشب في القلب قتال عنيف ، وعند الظهر ركد عليهم النقع (الغبار) ، فهبت ريح عاصفة ، فقلعت سرادق رستم عن عرشه فهوى في النهر وانتهى الققعاع ومن معه إلى العرش ، فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالسرادق إلى بغال فقدمت عليه بمال يومئذ فهي واقعة، فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، وصعد العرش ونادى : ((قتل رستم ورب الكعبة)) فاضطرب قلب جيش رستم عند ذلك وانهزموا ، وقام الجالينوس ونادى أهل فارس إلى العبور فوخزهم المسلمون برماحهم، وأرسل سعد إلى هلال فدعاه له ، فقال : أين صاحبك ؟ قال رميت به تحت أبغل (أي السؤال حول رستم) ، قال؟ إذهب فجيء به ، فجاء به ، فقال جرده إلا ما شئت ، فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئاً . هذه رواية سيف عن قتل رستم كما جاء في الطبري وهكذا ذكرها ابن الأثير .

وبعد أن قتل رستم اضطرب الفرس وانهزموا وقام الجالينوس على الروم ونادى أهل فارس إلى العبور ، وأخذ ضرار بن الخطاب راية فرس درفش^(٥٠) وذهب فرسان من المسلمين في أثر الفرس ، ولحق زهرة بالجالينوس ، وكان في آخرهم يحميهم ، فاختلعا ضربتين ، فقتله زهرة وأخذ سلبه ، وقتلوا ما بين الحرارة والسيلاحين إلى النجف ، وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية .

كانت هزيمة الفرس مقدرة وحاسمة ، ولم يمض على ذهاب خالد بن الوليد إلى العراق إلا نحو ثلاثين شهراً ، وكانت الإمبراطورية الساسانية قد ألحقت الهزيمة بالإمبراطورية البيزنطية بالشام ، وعسكرت جيوشها على ضفاف البسفور ، وهاهي قد اندحرت أمام جيوش المسلمين الذين لم يتجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين ألفاً، ومع أن جيوش الفرس تمكنت من عبور النهر منهزمة ،

فإن قوتهم الحربية لم تكتمل ولم تعد تشكل خطرا يهدد جيوش المسلمين ، وقد وقع الرعب في نفوس الأهالي وانضمت القبائل العربية وحاربت القبائل المسيحية في صفوف المسلمين ، وجاءت إلى سعد خاضعة ودخلت في الإسلام ، وتجمع المصادر على أن هذه المعركة كانت من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون في مواجهة الفرس ، حيث استمرت أربعة أيام ، تواصل القتال في بعضها ليلا ونهارا ، وقد انتهت بانتصار المسلمين نصرا حاسما على الفرس .

بعد أن انهزم الفرس بالقادسية توقف المسلمون عن القتال مدة شهرين ليستريح الجند ، ويستعد للقتال ، فلما وصلت مقدمة المسلمين ^(٥٢) ، وعليهم عبد الله بن المعتم ، وزهرة ابن حوية ، وشرحبيل بن السمط ، لقيهم جمع من الفرس فهزمهم المسلمون إلى بابل ، وبها فالة القادسية ، فهزموا قائدهم بصبري ، فألقى نفسه في النهر ، ومات من طعنة زهرة ، ثم أقبل بسطام دهقان برس ، وصالح زهرة وعقد له الجسور وأخبره بمن اجتمع ببابل .

نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة ^(٥٣) مع هاشم بن عتبة وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان ، فزحف بقواده إلى بابل ، ولم يلبث أن هزم الفرس ، فخرج الهرمزان متوجها نحو الأهواز فأخذها ، ثم سار حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى فأخذها ، وأقام سعد ببابل أياما ثم نزل كوثي ، وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوسا ، فنظر إليه وصلى على رسول الله ، وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله .

فقد أجبر القوات المنهزمة على الانسحاب إلى المدائن ^(٥٤) (طيسفون) التي كانت عاصمة الساسانيين ^(٥٥) حيث قدم سعد بن أبي وقاص إلى بهرسير ^(٥٥) ، فصالحه شيرزاد دهقان ساباط على تأديته الجزية ، وهزم زهرة كتيبته بنت كسرى التي تدعى يوران ، ثم زحف سعد على بهرسير فرأى المسلمون الإيوان ، فقال ضرار بن الخطاب : " الله أكبر ، أبيض كسرى ، هذا

وعد الله ورسوله " وكبر وكبر الناس معه ، فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ، ثم نزل على المدينة .

وفي شهر صفر دخل المسلمون بهر سير ، وكان سعد محاصرا لها ، وأرسل الخيول فأغارت على من ليس له عهد ، فأصابوا (١٠٠,٠٠٠) فلاح فأصاب كل واحد منهم فلاحا فأرسل سعد إلى الخليفة عمرو بن الخطاب (رضي الله عنه) يستأذنه فأجابته : (إن من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ، ومن هرب فأدركتموه فشانكم به) فخلى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ، ولهم الذمة ، فتراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى ، فلم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سوادي إلا آمن واغتبط بملك الإسلام ، وأقاموا على بهر سير شهرين يرمونهم بالمجانيق ، ويدبون إليهم بالدبابات ^(٥٦) ونصبوا على المدينة (٢٠) منجنيقا ، فشغلهم بها ، واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية ، وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ، ثم قطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية ، ودخلوا المدينة فأنزلهم سعد المنازل .

أقام سعد ببهر سر أياما من شهر صفر ، فأتاه علج فدلّه على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس ، فأبى وتردد عن ذلك ، وقحمهم المدة وكانت السنة كثيرة المدود ، فأتاه علج وقال له : ما يقيمك ؟ لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزددجرد بكل شئ في المدائن ، فعزم سعد على قطع البحر .

وخطب في الجيش ، وندب الناس إلى العبور ، وجعل عاصما على الفراض ليمنعها ، وأذن في الاقتحام ، وقال : ((قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرني الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزم عدوه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)) ، وكان الذي يساير سعدا سلمان الفارسي ، فعبروا دجلة ، فلما لم يقدر الفرس على منع المسلمين من العبور هربوا إلى مدينة حلوان ، فدخلها المسلمون ولم يجدوا بها أحدا ، وقد أخرج

يزدجرد أهل بيته إلى حلوان ، فلقق بهم^(٥٧) وترك سعد القصر الأبيض، واتخذ الأيوان مصلى ، وسرع في آثار القوم زهرة في المقدمات .

اغتنب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بما فتح الله على المسلمين في المدائن وعاد إلى مندره فنهى على الزحف فأقام سعد في المدائن ، أما يزيد جرد وجيشه المنهزم فإنه فر إلى الجبال ، وخضع الذين على الشاطئ لدجلة ، لأنهم وجدوا أن المقاومة لا تجدي نفعا ، وقد اجتمع الفرس على يزيد جرد بحلوان على نحو مائة ميل من المدائن ومن هناك تقدم قسم في الجيش إلى جلولاء ، وهي حصن أحاطوه بخندق وأحاطوا الخندق بحسك الحديد (مسامير) إلا طرقهم ، فبلغ ذلك ، سعدا فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكتب إليه الخليفة أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء ، وإجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وإن هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل ، بعد قسمة الغنيمة في إثني عشر ألفا منهم وجوه المهاجرين الأنصار وأعلام العرب ممن كان ارتد ولم يرتد.

حاصر المسلمون الفرس فطاولهم الفرس ، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفا فظفروا عليهم وغلبوهم على الحسك ، وجعل سعد يمد هاشما بالفرسان ، وأخيرا اقتتلوا فهزم أهل فارس ، وبعث الله عليهم ريحا أظلت عليهم البلاد ، ثم عادوا فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله إلا (ليلة الهرير) ، إلا أنه كان أعجل وانتهى القعقاع إلى باب الخندق واستولى عليه ، وحمل عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتل منهم يومئذ نحو (١٠٠,٠٠٠) ، فجللت القتلى الجبال وما بين يديه وما خلفه ، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم ، فهي (جلولاء الواقعة) ، ولما بلغت الهزيمة يزددجرد سار من حلوان نحو الري في اتجاه قزوین .

وكان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ١٦هـ وبينها وبين المدائن تسعة أشهر ، وقدم القعقاع حلوان ، وقتل دهقانها ، وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالفتح ، وبنزول القعقاع حلوان ، حصل على الغنائم ، وكان صلح الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي صالح عليه أهل الذمة ، أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وأن سبوا مسلماً ، أن ينهكوا عقوبة ، وإن قاتلوا مسلماً أن يقتلوا وعلى عمر منعهم وبرئ عمر إلى كل ذي عهد من معوذة الجيش .

وهكذا فقد انتهت هذه المعارك بتحرير العراق من تسلط الفرس ، الساسانيين ، وإنسحب يزد جرد وقواته إلى داخل الهضبة الإيوانية ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يرغب لو توقفت الحرب مع الفرس عند هذا الحد ، غير أن الفرس أصروا على مواصلة القتال مما اضطر المسلمين إلى خوض المعارك داخل الهضبة الإيرانية وبذلك تم فتح بلاد فارس والقضاء النهائي على الإمبراطورية الساسانية خلال خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، حيث أصبحت جميع أقاليم الإمبراطورية الساسانية جزءاً من أقاليم الدولة العربية الإسلامية ^(٥٨) وإن مما يجدر ذكره في هذا السياق ، أن مدينة الموصل وتكريت وبقية بلدان الجزيرة كانت واقعة في هذه الفترة تحت الحكم الرومي البيزنطي ، ومن ثم فقد كان من المفترض أن تقع مسؤولية تحريرها على عاتق جيوش تحرير الشام التي كانت تخوض قتالاً ضارياً ضد قوات الروم ، غير أن انتصار قوات المسلمين في العراق في القادسية (المدائن) قد أدخل الرعب في نفوس البيزنطيين في الموصل والجزيرة وجعلهم يحركون قواتهم إلى تكريت استعداداً لمواجهة قوات العراق في موقع متقدم .

فلما بلغت هذه الأخبار إلى القائد سعد بن أبي وقاص كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، يخبره بأن (الأنطاك) قائد جند الروم البيزنطيين في الموصل

قد توجه بقواته إلى تكريت من الروم البيزنطي بقيادة عبد الله بن المعتم وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي^(٥٩).

وقد تألف الجيش الذي قاده عبد الله بن المعتم لمحاربة الروم في تكريت من خمسة آلاف مقاتل، واستغرق دخولهم من المدائن أربعة أيام ، ويقدم لنا الطبري وصفاً مفصلاً عن حصار قوات المسلمين لقوات الروم في تكريت الذي استغرق أربعين يوماً دارت خلاله أربع وعشرين مواجهة لم تنته بانتصار أحد الطرفين ، وأخيراً جاء دور العامل الذي حسم المعركة لصالح العرب المسلمين ، حين تحركت المشاعر القومية لدى أبناء القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الروم ، فجاعوا إلى عبد الله بن المعتم يعرضون عليه الانسحاب من جيش الروم والانضمام إلى جيش المسلمين ، يقول الطبري ، أن عبد الله بن المعتم أرسل إلى العرب (ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم فهم لا يخفون عليه شيئاً ، ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم ، ويهزمون في كل ما زاحفهم ، تركوا أمراهم ، ونقلوا متاعهم إلى السفن ، وأقبلت العيون من تغلب وأياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر ، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ، فأرسل إليهم ، أن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم فرجعوا إليهم بذلك فردوهم إليه بالإسلام ، فردهم إليهم ، وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فأعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التي تسلينا لندخل عليهم منها فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة ، وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ...)^(٦٠).

وبذلك تمكنت قوات المسلمين من دحر الروم البيزنطي في تكريت وتحقيق النصر فيها على أعدائهم .

لقد فتح هذا النصر الطريق أمام المسلمين لتحرير الموصل من حكم الروم البيزنطي ، وكان هذا الهدف واضحاً ومرسوماً منذ البداية فقد عهد الخليفة

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى القائد سعد بن أبي وقاص (أن هم هزموا - أي الروم - أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأخطل العنزي إلى الحصنين) (١١) .

إن خطة تحرير الموصل كانت تعتمد على عنصر المباغثة من أجل عدم إقامة الفرصة أمام الروم البيزنطي وحلفائهم من أجل الاستعداد للحرب وتنظيم المقاومة ، وبذلك يتسنى للمسلمين تحقيق الانتصار من غير قتال أو تضحيات في الأرواح وقد أخذت الخطة موقف القبائل العربية المتعاونة مع المسلمين بعين الاعتبار ، إذ أراد أبناء هذه القبائل أن يلعبوا دوراً حاسماً في تمكين المسلمين من دخول الموصل من دون قتال لأنهم كانوا موضع ثقة الروم وأعوانهم في المدينة بحكم معرفتهم وولائهم واعتناقهم الإسلام .

وهكذا فقد دخلت رسل من تغلب وإياد والنمر إلى الموصل قبل وصول قوات المسلمين وأخذت تبشر الناس بانتصار الروم على المسلمين من باب الخدعة ، وبذلك فتحت أبواب المدينة ، وترك الروم الاستعداد للقتال حتى فاجأتهم قوات المسلمين بقيادة ربيعي الأفكل العنزي ، وقد خلت المدينة من دون مقاومة تذكر ، وتم تحرير الموصل صلحاً لا عنوة ، يقول الطبري في وصف ذلك ، فنادى المسلمون الناس " بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب ، وهرب من لم يستجب ، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لج وذهب ، ووفى لمن أقام ، فتراجع الهرب ، وإغتبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة " (١٢) .

إن ما تقدم يشير إلى أنه تم تحرير تكريت والموصل سنة ١٦هـ من قبل قوات تحرير العراق من التسلط الفارسي في إطار عملية استثنائية قامت بها رداً على تحرك قوات الروم البيزنطيين ، ومن ثم فلم يكن من ضمن مهمات هذه القوات أن تتوسع في تحرير المناطق المحيطة بالموصل والجزيرة لأن ذلك

ضمن واجبات القوات التي كانت تحارب الروم البيزنطيين في جبهة الشام ، لذا فقد وصلتنا روايات تشير الى قيام قوات هذه الجبهة بإرسال قوات لتحرير منطقة الموصل والجزيرة بقيادة عياض بن غنم في سنة ١٨/هـ / أو ٢٠هـ — ٦٣٩م أو ٦٤٠م ، فقد ذكر خليفة بن خياط أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : "وجه عياضاً فافتتح الموصل وخلف عتبة بن فرقد على أحد الحصنين ، وافتتح الأرض كلها عنوة غير الحصن ، فصالحه أهلها وذلك سنة ثمان عشرة^(٦٣).

كما أورد البلاذري أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "ولى عتبة بن فرقد الموصل سنة عشرين ، فقاتله أهل نينوى فأخذ حصتها ، وهو الشرقي ، عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء في الجلاء ، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية ثم فتح المرج وفرات وأرض باهذري وباعذري وحبثون والحيانة والمعة وداسير وجميع معاقل الأكراد وأتى يانعائا ففتحها ، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن الهمداني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله وغلب عليه ".^(٦٤)

إن النصوص الآتية الذكر تشير الى أن جند الشام الذي كان يقودهم عياض بن غنم قد قاموا بتحرير العديد من المناطق والقرى المحيطة بالموصل ، وبذلك تكون قد استكملت ما بدأت قوات تحرير العراق التي أرسلت الى تكريت الموصل في عام ١٦هـ .

غير أن ما يلفت النظر أن هذه النصوص قد أشارت أيضاً الى مقاتلة جند عياض بن غنم أهل نينوى مما يوحي بأن بعض سكان المنطقة قد نقضوا العقد الذي أعطوه لعبد الله بن المعتم سنة ١٦هـ / ٦٣٧م بعد أن انسحبت معظم قواته من المنطقة وعادت الى قاعدة عملياتها الرئيسية في الكوفة ، فاضطر عياض الى استعمال القوة من أجل بسط السلطة والنظام في المدينة ، وربما كان

ذلك أمراً طبيعياً في تلك المرحلة بسبب حداثة الحكم العربي للمدينة وعدم استيعاب بعض الناس للقيم الروحية والحضارية التي جاء بها الإسلام .

أما عامة سكان الموصل وغيرها من المناطق التي كان يقطنها العرب المسيحيون فيبدو أنها قد استقبلت الحكم العربي الإسلامي بارتياح شديد لأنه أنقذهم من المظالم التي كانوا يتعرضون لها على أيدي الروم البيزنطيين بسبب اختلافهم في المذهب .

إن الروم البيزنطيين قد مارسوا شتى صور التعذيب والتنكيل ضد من يختلف معهم في المذهب من أبناء الطوائف المسيحية .

فقد أصدر هرقل منشوراً للعمل بموجبه في كافة أنحاء مملكة جاء فيه :
"كل من لا يقبل مجمع خلقونيه ، يقطع أنفه ، وأذنه وينهب بيته " .

واستمر هذا الاضطهاد مدة غير يسيرة فقبل العديد من الرهبان المجمع ، وظهر غش رهبان جماعة ماردين والمنبجيين والمناطق الجنوبية والحصين ، وهكذا معظم المجمع / واغتصبوا الكنائس والاديرة ، ولم يسمح هرقل لأحد من الأرثوذكس بزيارته ولم يقبل شكواهم بصدد اغتصاب كنائسهم .

✽ حروب التحرير على جبهة الشام

حين تولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخلافة كانت الجيوش الإسلامية في الشام قد سجلت أحد أبرز انتصاراتها على الروم في معركة أجنادين وراحلت تستثمر آثار هذا الانتصار في محاولة القضاء على القوة البيزنطية في مختلف أنحاء بلاد الشام ، فذكر البلاذري أن قوات المسلمين استطاعت أن تهزم الروم في معركتين كبيرتين (في وقعة محل من الأردن ، ومرج الصفروهم متوجهون الى دمشق) (٦٥).

وبينما كانت قوات المسلمين تحاصر مدينة دمشق ، وقد أوشكت أن تدخلها صلحاً بعد أن أبدى سكانها رغبتهم في المصالحة ، وكانت القيادة بيد خالد بن الوليد وصلت رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح الذي كان أحد قادة الجيوش التي تعمل تحت إمرة خالد بن الوليد هو أحد كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلمه فيها انه قد عينة قائداً عاماً على القوات المكلفة بتحرير بلاد الشام بدلاً من خالد بن الوليد^(٦٦).

وقد ذكر البلاذري أن أبا عبيدة بن الجراح حين تسلم رسالة عززل خالد بن الوليد عن إدارة الجيش كتمها واستمر يعمل تحت إمرة خالد بن الوليد حتى انتهى من تحرير دمشق وعقد الصلح مع أهلها ، فلما سأل خالد عن سبب ذلك وقال له : " ما دعاك - رحمك الله - الى ما فعلت ؟ قال: كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك وأنت بإزاء عدو^(٦٧) .

❁ معركة اليرموك

إن انتصارات المسلمين المتتالية في بلاد الشام قد فتحت الطريق أمامها نحو الشمال ، حيث تقع حدود الإمبراطورية البيزنطية ومركز حكمها ، مما أدخل الخوف الى قلب الإمبراطورية البيزنطي وجعله يبادر الى حشد جموع كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة^(٦٨) وأرمينية لمقاتلة جيوش المسلمين حتى قدرت بعض الروايات عددهم بمائتي ألف^(٦٩).

ولقد حملت هذه الاستعدادات الكبيرة للروم المسلمين على تجميع قواتهم من مختلف المناطق وحشدتها في موضع يسهل الدفاع عنه في مواجهة قوات الروم وكان ذلك الموضع هو وادي اليرموك في الأردن على حافة الصحراء،

حيث يسهل على العرب تلقي الإمدادات والانسحاب عند الضرورة، وقد بلغت قوات المسلمين التي حشدت لهذه المعركة كما يذكر البلاذري أربعة وعشرين ألف مقاتل .

غير أن الطبري يذكر أن عددها قد بلغ ستة وأربعين ألف مقاتل ، وقد أشير الى أن المسلمين أفلحوا في اجتذاب العرب المتحالفين مع الروم للقتال الى جانبهم في هذه المعركة ، فقد ذكر البلاذري أن جبلة بن الأيهم الغساني الذي كان على مقدمة جيش الروم في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم قد انحاز إلى الأنصار فقال: أنتم إخواننا وبنوا أبينا وأظهر الإسلام (٧٠) .

وهكذا فقد استطاع المسلمون أن يتقلبوا على مشكلة الفارق العددي بينهم وبين قوات الروم بسبب ارتفاع معنوياتهم ، وحسن استعدادهم للقتال واجتذابهم للعرب المتحالفين مع الروم للقتال الى جانبهم ، وبذلك تمكنوا من إلحاق هزيمة فادحة في قوات الروم البيزنطيين لقد حملت هزيمة الروم في معركة اليرموك التي وقعت في رجب من سنة ١٥هـ / ٦٣٦م إمبراطور الروم على اليأس من استرجاع بلاد الشام مرة أخرى من أيدي المسلمين ، فقد ذكر البلاذري أنه (لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده هرب من أنطاكية الى قسطنطينية ، فلما جاوز الدرب قال : عليك يا سورية السلام ، ونعم البلد هذا العدو) (٧١).

إن انتصار المسلمين الحاسم على الروم البيزنطيين في معركة اليرموك قد أفسح المجال أمام المسلمين للعودة الى جميع المدن التي انسحبوا منها بعد تحريرها واستكمال تحرير المدن الأخرى ، فلما سمع أبو عبيدة بن الجراح بأن أهل حمص وأهل الجزيرة قد أرسلوا إلى ملك الروم من أجل إرسال الجنود إلى الشام ووعده بالمعونة ، ضم إليه أبو عبيدة مسالحهم ، وعسكر بفناء حمص،

وأقبل خالد بن الوليد من مدينة قنسرين ^(٧٢) ، حتى انضم إليهم هو وأمرأء المسلمين ، وكان رأي خالد بن الوليد أن يناجز الروم إلى مجيء المدد ، ورأى غير التحصن ، فرفض أبو عبيدة رأي خالد وتحصن وخندق على حمص ، وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بخروج الروم عليه ، وكان الخليفة عمر قد اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين ، فكان بالكوفة (٤٠٠٠) فرس معدة للطوارئ ، فكتب إلى سعد : أن أندب الناس مع القعقاع بني عمرو ، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم إليهم في الجهد والحق ، وكتب إليه أيضاً : أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند ، وليأت الرقة ^(٧٣) فإن أهل الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حمص ، وسرح عبد الله بن عتيان إلى نصيبين ، وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتقيوخ وسرح غياضاً ، فإن كان قتالاً فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم ، وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدّين لأهل الشام ، وممن انصرف أيام انصراف أهل العراق ممدّين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة - فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ، وخرج عياض وأمرأء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض ، وتوجه كل أمير إلى الكوفة التي مر عليها فأتى سهيل الرقة ، وخرج الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من المدينة مغنياً لأبي عبيدة الجراح يريد حمص حتى نزل الجابية ، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا على أهل حمص خبر الجنود المسلمين تفرقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم .

وإن مما له دلالة عميقة حول معاملة المسلمين لسكان البلاد المحررة وموقف هؤلاء السكان منهم ما أورده البلاذري من أنه (لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ، ردوا على أهل

حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فإن تم على أمركم فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولنفدعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود (٧٤) .

وهكذا فقد عاد المسلمون الى حمص وغيرها من مدن الشام بعد انتصارهم في اليرموك وسط حفاوة وترحيب الناس بهم لأنهم نظروا إليهم بصفتهم محررين لا فاتحين ، وقد كان قادة جيوش التحرير الإسلامية حريصون على تألف قلوب الناس وتحقيق أهدافهم بأيسر السبل وأقلها تضحيات في الأرواح.

✽ فتح بيت المقدس وهو (إيلياء)

سير أبو عبيدة بن الجراح إلى بيت المقدس سبعة جيوش ، وعلى كل جيش قائد ضم إليه (٥٠٠٠) فارس ، وعقد لكل قائد راية، فكان جملة من سيره (٣٥٠٠٠) فارس ، ومن هؤلاء القادة كل من : خالد بن الوليد ، يزيد بن أبي سفيان ، شرحبيل بن حسنة المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، المسيب بن نجية الغزاوي ، قيس بن هبيرة عروة بن مهلهل .

سار الأمراء السبعة في سبعة أيام ، في كل يوم أمير ، وذلك كله يرهب به العدو فكان كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه، فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد، فلما أشرف عليهم كبر وكبر أصحابه، فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم تزعزعت قلوبهم ، وصعدوا أسوار بلدهم ، فلما نظروا إلى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين ، فنزل خالد ومن معه مما يلي (باب أريماء) ، وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان ، وفي اليوم

الثالث شرحبيل بن حسنة ، وأقبل في اليوم الرابع المرقال وأقبل في اليوم الخامس المسيب بن نجية ، وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبيرة ، وأقبل في اليوم السابع مهلهل بن يزيد ، فنزل مما يلي طريق الرملة .

وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم أحد ولا ينظرون رسولا يأتي إليهم ، ولا يكلمهم أحد من أهلها ، إلا أنهم قد حصنوا أسوارهم بالمنجنيق والطوارق والسيوف ، قال المسيب بن نجية : ما زلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس ، وما نزلنا بقوم إلا وتعضضوا لنا ، وداخلهم الهلع ، وأخذتهم الهيبة ، إلا أهل بيت المقدس نزلنا بأزائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا أحد ، ولا ينطقون ، إلا أن حارسهم شديد وعدتهم كاملة ، فلما كان اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حسنة : أيها الأمير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون ، أو بكم فلا ينطقون أو عمي فلا يبصرون ، ازحفوا بنا إليهم ، فلما كان اليوم الخامس ، وقد صلى المسلمون صلاة الفجر ، كان أول من ركب من المسلمين من الأمراء لسؤال أهل بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان ، فشهّر سلاحه ، وجعل يندو من سورهم ، وقد أخذ معه ترجمان يبلغه ما يقولون ، فوقف بإزاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون .

فقال لترجمانه : قل لهم : أمير العرب يقول لكم ، ماذا تقولون في إجابة الدعوة إلى الإسلام والحق ، وكلمة الإخلاص ، وهي كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم ، وتحققون بها دماءكم وإن أبيتم ولم تجيبوا ، فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم عدة وأشد منكم ، وأن أبيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار ، وكان مصيركم النار ، فتقدم الترجمان إليهم وقال لهم : من المخاطب عنكم " فكلمه قس من القساوسة .

وقال : أنا المخاطب عنهم ماذا تريد ؟ فقال الترجمان : إن هذا الأمير يقول كذا وكذا ويدعكم إلى أحد هذه الخصال الثلاث ، إما الدخول في الإسلام أو الجزية ، وإما السيف ، فبلغ القس من وراء ما قال الترجمان فقالوا : لا نرجع عن دين العز والقبول، وإن قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك يزيد، فذهب إلى الأمراء وأخبرهم بجواب القوم ، قال لهم : ما انتظاركم بهم ؟

فقالوا : إن الأمير أبو عبيده ما أمرنا بالقتال ، ولا بحرب القوم ، بل بالنزول عليهم ، ولكن نكتب إلى أمين الأمة ، فإن أمرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيده الجراح يعلمه بما كان جواب القوم، فما الذي تأمر به؟ فكتب إليهم أبو عبيدة يأمر بالزحف ، وأنه واصل في أثر الكتاب فلما وقف المسلمون على كتاب أبي عبيدة فرحوا واستبشروا ، وباتوا ينتظرون الصباح ، وكل أمير يريد أن يفتح على يديه ، فيتمتع بالصلاة فيه ، والنظر إلى آثار الأنبياء ، فلما جاء الفجر ، أن وصلى الجيش صلاة الفجر فقرأ يزيد (يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا ^(٧٥)) .

فيقال إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة ، قرؤوا هذه الآية ، فلما فرغوا من الصلاة نادوا : النفير النفير يا خيل الله أركبي فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن ، وبرز المسلمون للمعركة كأنهم أسود ضارية ، ونظر إليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا لقتالهم فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب ، فجعل المسلمين يتلقونها بدرعهم ، فلم تزل المعركة بينهم في الغد إلى الغروب يقاتلون قتالاً شديداً ولم يظهروا فزاعاً ولا رعباً ولم يطمعواهم في بلدهم، فلما غربت الشمس ، رجع الناس ، واتخذوا في إصلاح شأنهم ، فلما فرغوا من ذلك ، وأصبح في اليوم التالي ، بادر المسلمون إلى ذكر الله ، وتقدمت رماة النبل، وأقبلوا يرمون ويذكرون الله، ولم يزل المسلمون على قتال عدة أيام ، فلما كان اليوم الحادي عشر ، أشرقت عليهم راية أبي عبيده الجراح

يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين ، وقد أحرقوا بأبي عبيدة وأخذوا يكبرون ، فأجابتهم القبائل ، ووقع الرعب في قلوب أهل بيت المقدس ، ثم جاء (البطرق) ^(٧٦) يرى الأمير القادم وصعد السور من الجهة التي فيها أبو عبيدة ، فناداهم رجل ممن كان يمشي بين يدي البطرق فقال : يا معشر المسلمين، كفوا عن القتال نستخر بكم ونسألكم ، فأمسك الناس عن القتال فنلاداهم رجل من الروم بلسان عربي فصيح: اعلموا أن صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذا وجميع الأرض عندنا ، فإن كان هو أميركم ، فلا نقاتلكم ، بل نسلم إليكم ، وإن لم يكن إياه فلا نسلم إليكم أبداً .

فلما سمع المسلمون أقبل نفر منهم إلى أبي عبيدة ، وحدثه بما سمعوه ، فخرج أبو عبيدة إليهم إلى أن حاذاهم ، فنظر البطرق إليه ، وقال : ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحریمكم ، فأقبلوا يقاتلون كما كانوا .

وعاد البطرق من غير أن يخاطب أبا عبيده لكلمة واحدة ، وشهد المسلمون عليهم القتال ، وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في الشتاء ، فظن الروم أن المسلمين لا يقدرّون عليهم في ذلك الوقت ، ونشط عرب اليمن يرمون الروم بالنبل ويصبونهم ، فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه ، وستروا السور بالجحف (أي الدروع المصنوعة من الجلد) والجلود .

ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس، أربعة أشهر كاملة، وما من يوم إلا ويقاثلهم قتالاً شديداً ، والمسلمون صابرون على الظروف الجوية السيئة ، فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار قصدوا البطرق ، وشرحوا له حالهم، وإن ملكهم شغل عنهم بنفسه ، ولم يرسل إليهم المدد ، وطلبوا إليه أن يخاطب العرب، وينظر ما يريدون ، فصعد معهم على السور ، وأشرف على المكان الذي فيه القائد أبو عبيدة ، فنادى منهم رجل بلسان فصيح ، يا معشر

العرب ، إن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعته قد أقبل يخاطبكم ، فليندب منا أميركم ، فأخبروا أبا عبيدة بمقالهم ، فقال : والله إنني لأجيبه حيث دعاني ، ثم قام أبو عبيدة وجماعة من القادة المسلمين ومعه ترجمان ، فلما وقف بإزائه ، قال لهم الترجمان : ما الذي تريدونه منا في هذه البلدة المقدسة ، ومن قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك ، فقال : قل لهم نعم ، إنها بلدة شريفة ، ومنها أسرى نبينا إلى السماء ، ودنى من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، وإنها مهد الأنبياء ، وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ، ولا نزال عليها أو يملكنا الله إياها كما ملكنا غيرها ، قال البطرق : فما الذي تريدون منا ؟ قال أبو عبيدة : خصلة من ثلاث أولها أن تقولوا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فإن أجبتكم إلى هذه الكلمة كان لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، قال البطرق : أنها كلمة عظيمة ونحن قائلوها ، إلا أن نبيكم محمداً ما تقول إنه رسول الله ، ثم قال : هذه خصلة لا نجيبكم إليها ، فما الخصلة الثانية ، فقال أبو عبيدة : تصالحونا عن بلدكم أو تؤدون الجزية إلينا عن يد وأنتم صاغرون ، كما أداها غيركم من أهل الشام ، قال البطرق : هذه الخصلة أعظم علينا من الأولى ، وما كنا بالذي يدخل الذل والصغار أبداً ، فقال أبو عبيدة : ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ، ثم قال البطرق : أننا نجد في كتبنا وما قرأنا من علمنا ، أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق ، وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته فيكم ، فلما سمع أبو عبيدة ذلك تبسم ضاحكا وقال : فتحنا البلد ورب الكعبة ، ثم أقبل عليه وقال له : إذا رأيت الرجل تعرفه ؟ قال : نعم ، وكيف لا أعرفه وصفته عندي وعدد سنيته وأيامه ؟ قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا ، وصاحب نبينا ، فقال البطرق : إن كان الأمر كما ذكرت ، فقد علمت صدق قولنا ، فأحقن الدماء وأبعث إلى صاحبك يأتي ، فإذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته ، فتحنا له البلد من غيرهم ولا تكـد ،

وأعطينا الجزية ، فقال أبو عبيدة : فإني أبعث إليه العرب ألا تدعون بغيكم أنجزكم بأننا قد صدقناكم في الكلام طلباً لحقن الدماء وأنتم تأبون للقتال ؟ قال أبو عبيدة : نعم لأن ذلك أشهى إلينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا ، فأمر أبو عبيدة بالكشف عنهم ، وانصرف البطرق ، وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) كتاباً قال له فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، من عامله أبي عبيدة عامر بن الجراح ، أما بعد : السلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه محمد (ﷺ) وأعلم يا أمير المؤمنين إنا منازلون لأهل مدينة إيلياء ، نقاتلهم أربعة أشهر ، كل يوم نقاتلهم ويقاثلوننا ، ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والأمطار ، إلا أنهم صابرون على ذلك ، ويرجون الله ربهم ، فلما كان اليوم الذي كتبت إليك الكتاب فيه ، أشرف علينا بطرقهم الذي يعظمونه ، وقال : إنهم يجدون في كتبهم ، إنه لا يفتح بلدهم إلا صاحب نبينا واسمه عمر ، وأنه يعرف صفته ، ونعته ، وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء ، فسر إلينا بنفسك وأنجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك " ثم إنه طوى الكتاب وفتحه ، وأعطاه لميسرة بن مسروق العبسي ليوصله إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) ، فلما تسلم الخليفة الكتاب استشار أصحابه ، فكان رأي عثمان بن عفان استمرار القتال وعدم ذهاب عمر .

وأشار عليه علي بن أبي طالب (رضي) بالذهاب ، فأخذ مشورة علي وأمر الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد ، وأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام إلى رسول الله (ﷺ) فسلم عليه وعلى أبي بكر (رضي) واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب (رضي) ، وخرج من المدينة وخرج معه جماعة من الصحابة ، وسار نحو بين المقدس ، فكان إذا نزل منزلاً لا يبرح منه حتى

يصلي الصبح ، فإذا انقضى من الصلاة أقبل على المسلمين وقال : " الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وهدانا من الغلالة ، وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكن لنا في بلاده ، وجعلنا إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابقة ، والامن الظاهرة ، فإن الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ، ويتم نعمته على الشاكرين " .

ولما علم أبو عبيده بن الجراح بمجيء الخليفة عمر بن الخطاب ، سار في أناس من المهاجرين والأنصار ، وأقبل المسلمون يسلمون على الخليفة ، ثم ركبا جميعاً وجعلوا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ، ولم يزالا كذلك حتى نزلا بيت المقدس ، فلما نزلا صلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمسلمين صلاة الفجر ، ثم خطب فيهم فقال :

" الحمد لله الحميد المجيد، القوي الشديد الفعال لما يريد ، أن الله تعالى قد أكرمنا بالإسلام ، وهدانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأزاح عنا الغلالة ، وجمعنا بعد الفرقة ، وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء ، فاحمدوه على هذه النعمة .

تستوجبوا منه المزيد ، قال الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ (٧٧) ثم قرأ : ﴿ ومن يهد الله فهو المهتدون يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ (٧٨) أما بعد : فإنني أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، الذي يبقى ويضني كل شيء سواه ، الذي بطاعته ينفع أوليائه ، وبمعصيته يفتني أعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم ، لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكوراً، أفهموا ما توعدون به فإن الكيس من أحرز دينه وأن السعيد من اتعظ بغيره ، إلا أن حشى الأمور مبتدعاتها وعليكم بالسنة ، سنة

نبيكم (ﷺ) فالزموها ، فإن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ، والزموا القرآن فإن فيه الشفاء والثواب ، أيها الناس إنه قد قام فينا رسول الله (ﷺ) كقيامي فيكم وقال : " إلزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب ، حتى يشهد من لم يشهد ، ويحلف من لم يحلف " ، فمن أراد الجنة فليلزم الجماعة ، وتعوذوا من الشيطان ، ولا يخلون أحد منكم بامرأة فإنهم حبائل الشيطان ، ومن سرعة حسنته ، وساعته سيئته فهو مؤمن والصلاة (الصلاة)).

علت للمسلمين ضجة عظيمة سمعها أهل بيت المقدس، فسألهم البطرق أن ينظروا ما شأنهم ، ف قيل لهم أن أمير المؤمنين قد قدم ، فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر ، قال لأبي عبيدة : يا عامر ، تقدم إلى القوم ، وأعلمهم أنني قد أتيت ، فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال : يا أهل هذه البلدة إنني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال: يا أهل هذه البلدة ، إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم ؟ فخرج البطرق من كنيسته في معجل رهيب ، وصعد إلى السور ، وأشرف على أبي عبيدة ، فقال له أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى، فطلب إليه أن يراه ، فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه : يا أمير المؤمنين ، أخرج إليه منفردا وليس عليك آله حرب غير هذه المرقعة ! وأنا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فينالون منك ! فقال عمر (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)(٧٩)

وعندما قدم إلى السور برفقة أبي عبيدة الجراح ، ووقف بإزائه ، فلما نظر إليه البطرق عرفه وقال لأهل بيت المقدس : اعقدوا معه الأمان والذمة ، هذا والله صاحب محمد بن عبد الله ، ففتحو الباب ، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة ، فلما نظر إليهم عمر تلك الحالة تواضع إلى الله وخبر ساجدا ، ثم نزل إليهم وقال : ارجعوا إلى بلادكم ، ولكم الذمة والعهد إذا سألتمونا

وأقررت الجزية فرجع القوم إلى بلدهم ، ولم يغلقوا الأبواب ، ورجع عمر إلى عسكره فبات ليلة .

فلما كان الغد ، قام الخليفة عمر بن الخطاب (ؓ) فدخل بيت المقدس ، وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها يوم الجمعة ، ، وخطبها محراباً من جهة الشرق ، وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة ، ولم يلمس المسلمون شيئاً من متاعهم وأموالهم وأقام الخليفة عمر بن الخطاب (ؓ) عشرة أيام ، وارتحل بعد أن كتب لأهله عهداً وجاء في هذا العهد :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمتها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقض منها ، ولا من خيرها ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن معهم بإيلياء أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى ببيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء ، فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد ذلك خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر خمسة عشر للهجرة " .

إن العهد الذي أقره عمر على أهل الشام ، كان في غاية الاعتدال ، فلا قسوة ولا ظلم ولا اضطهاد ، ولا تعصب للدين ، فقد أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، ومنع هدم الكنائس واتخاذها سكناً ومنحهم حرية الإقامة

والهجرة ، وكان بيت المقدس محترماً في نظر المسلمين ، لأنه كان قبلة الإسلام الأولى ولأن رسول الله (ﷺ) قد أسرى به إلى المسجد الأقصى ، ومنه عرج إلى السموات ، ولم تطل إقامة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالقدس ، بل عاد إلى المدينة بعد فراغه من الصلح (٨٠) .

✽ فتح مدينة حلب سنة (١٦هـ - ٦٣٨ م)

حلب واسمها القديم خالبيون ، ثم بيريا ، وهي مدينة عظيمة واسعة ، كثيرة الخيرات ، وهي قصبة جند قنسرين .

لما فرغ أبو عبيده من القنسرين سار إلى حلب ، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا ، فأرسل إليها جماعة ، وسار حتى وصل إلى ظاهر حلب ، وهو قريب منها ، فجمع أصنافاً من العرب ، وصالحهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري ، وتحصن أهلها ، وحصرهم المسلمون ، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم ، وكنائسهم وحصنهم ، وقيل أن أبا عبيده لم يصادف بحلب أحداً لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وأرسلوا في الصلح ، ولما تم رجعوا إليها ، وفي فتوح الشام للواقدي أن أهل حلب قالوا لأبي عبيده : نعطي نصف ما أعطى أهل قنسرين ، فقال أبو عبيدة : قد قبلت منكم ذلك .

أما قلعتها فقد حاصرها المسلمون أربعة أشهر ، وقيل خمسة ، وقتل بطريقها جماعة من المسلمين ، وكتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبو عبيدة يسأله عن سبب إبطاء الخبر عليه ، فكتب أبو عبيدة جواب الكتاب فقال :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى أبي عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من عامله بالشام أبي عبيدة ، سلام عليك ، وإني أحمد الله تعالى وأصلي

على نبيه وقد فتح الله علينا حلب صلحاً ، وقد عصت علينا قلعته ، وبها خلق كثير مع بطريقها ، وقد كادنا مراراً وأنه قتل منا رجالاً ورزقهم الله الشهادة على يديه ، والله تعالى من ورائه بالمرصاد ، وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر ، وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته إلى البلاد التي بين حلب وأنطاكية وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين " .

وبعث الكتاب مع عبد الله بن فرط ، وجعدة بني جبير ، فوصلا المدينة ، ودخلا المسجد على الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ودفعاً له كتاباً هذا نصه :

" أما بعد فقد ورد علي كتابك مع رسلك ، فسر لي ما سمعت من الفتح والنصر على أعدائكم ، ومن قتل من الشهداء ، وأما ما ذكرته من انصرافك إلى البلاد التي بين حلب وأنطاكية ، وتترك القلعة ومن فيها ، فهذا رأي غير صواب ، نترك رجلاً قد دنوت من دياره ، وملكت مدينته ، ثم ترحل فيبلغ ذلك إلى جميع النواحي أنك لم تقدر عليه ولم تصل إليه فيضعف ذكرك ، ويعلو ذكره ، ويطمع من يطمع ، ويجترئ عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم ، وترجع إليه الجواسيس وتكاتب ملوكها في أمرك ، فإياك أن تبرح عن مجاهرتة حتى يقتله الله أو يسلم إليك إن شاء الله تعالى أو يحكم الله ، وهو خير الحاكمين ، وأبعث الخيل في السهل والوعر ، والضيق والسعة ، وأكناف الجبال والأودية ، وشن الغارات في حدود الغارات ، ومن صالحكم منها فأقبل صلحه ، ومن صالحك فاسلحه ، والله خليفتي عليك وعلى المسلمين ، وقد أنفذ كتابي هذا مع عصبة من حضر موت وغيرهم ، وأهل مشايخ اليمن ممن وهبه نفسه لله تعالى ورغب في الجهاد في سبيل الله ، وهم عرب وموال فرسان ورجال ، والمدد يأتيك متواتراً إن شاء الله تعالى والسلام " .

وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط ، ثم وصل المدد إلى أبي عبيده وكان معهم مولى من موالي بني طريف ، من ملوك كندة يقال له دامس ، فكر واحتال فتوصل أخيراً إلى تسلفه مع رجال من المسلمين ، ثم فتح بابين من أبواب الحصن ، بعد أن قتل حراسهما ، وعند ذلك دخل المسلمون ، وقاتلوا الروم قتالاً شديداً ، ودخل خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف ، ودخل ضرار وأمثاله ، فلما رأى الروم ذلك وعلموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع لهم ألقوا السلاح ونادوا الغوث، الغوث ! وكفوا أنفسهم عن القتال ، فكفت المسلمين أيديهم عنهم فبينما هم كذلك إذا أقبل أبو عبيده ومعه عساكر الإسلام ، فأخبروه أن الروم يطلبون الأمان ، وأن المسلمين قد رفعوا عنهم القتال ، إلى أن تأتي وترى فيهم رأيك ، فعرض عليهم الإسلام ، فأسلم جماعة من ساداتهم ، فرد عليهم أموالهم وأهاليهم وعفا عنهم من القتل والأسر وأخذ عليهم العهود ألا يكونوا إلا مثل أهل الصلح والجزية ، وأخرجهم من القلعة .

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن قدوم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى بلاد الشام كان في سنة ١٧هـ / ٦٣٨م وأنه قد نزل في الجابية إحدى عمال دمشق حيث اجتمع بقيادة المسلمين فيها، وتدارس معهم أوضاع بلاد الشام ومشكلاتها ووضع المعالجات اللازمة لها ، وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على بعض الخطط المستقبلية وبخاصة ما يتصل بحروب التحرير والفتوحات (٨١).

✽ فتح مصر

بعد أن استقرت الأوضاع في بلاد الشام والجزيرة العربية بصورة تامة توجه عمرو بن العاص في حدود سنة ٢٠ هـ / ٦٤١م إلى مصر لتحريرها من التسلط البيزنطي على رأس جيش مؤلف من ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل ، وأن هذا الجيش كان بمثابة قوة استطلاع هو منها التعرف على مدى استعداد الروم

لمقاومة المسلمين على أن تأتيها بعد ذلك الإمدادات الضرورية لمساعدتها على تحقيق هدفها ، دخل عمرو بن العاص مصر بناء على قرار وتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وقد جاء هذا القرار بعد المداولات التي تمت بين الخليفة وعمرو بن العاص في الشام حينما اجتمع به الخليفة في الجابية ^(٨٢) ، فقد ذكر الطبري أن ابن إسحاق قال : " أن عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلها كتب الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر في جنده فخرج حتى فتح باب الیون في سنة عشرين " ^(٨٣)

وقد أكد ابن خياط نفس الرواية عن طريق غير طريق ابن إسحاق فذكر أن عمر كتب الى عمرو بن العاص أن سر الى مصر فسار ، وبعث عمر الزبير بن العوام مدداً .. " ^(٨٤)

وتفاوتت المصادر التاريخية في التفاصيل التي تقدمها عن الكيفية التي تم فيها تحرير مصر ، فقد ذكر البلاذري أن عمرو بن العاص سار من فلسطين الى مصر عن طريق الساحل البحري باتجاه العريش حيث توجه منها الى (القراما) ، وهي مدينة في موقع مشرف حصين على مرتفع يبعد ميلاً ونصف الميل عن البحر المتوسط وكان اسمها القديم بلور (بيلوسيوم) .

وكان في مدينة القراما قوم مستعدون للقتال فحاربهم عمر بن العاص وهزمهم وسيطر على معسكرهم .

✽ معركة عين شمس

كانت مدينة عين شمس من أشهر مدن مصر ، بيد أنه لم تكن لها أهمية حربية عند الفتح الإسلامي ، غير أنها كانت صالحة للقتال، فالمياه واصله

إليها ، ومن السهل تموين الجيش فيها ، وكانت ممتدة إلى المطرية ، ولذلك اهتم بها عمرو بن العاص .

بلغ عدد جيوش المسلمين في موقعه عين الشمس (١٥٠٠٠) مقاتل ، أما الروم فقد جمع القائد (تيودور) جنوده لطرده المسلمين من عين شمس ، وقد بلغ عددهم (٢٠,٠٠٠) عدا جند الحصون ، وعلى ذلك كانوا يفوقون عدد جنود المسلمين بكثرة عددهم ، وكان عمرو بن العاص يقصد بنزوله عين شمس محاربة الروم في العراق بعيداً عن الحصون ، ولما أيقن تيودور بأنه أصبح قادراً على الهجوم ، سار نحو عين شمس ومعه الفرسان والمشاة ، وكان على الفرسان (تيودسيوس) و (أنا ستاسيوس) و بث عمرو العيون فأخبروه بخطة العدو ومسيره ، فقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام ، قسم عسكر بعين شمس تحت قيادته ، وقسم بأم دنين (جهة الأزبكية) وقسم بالتلال الواقعة جهة القلعة الآن ، تحت قيادة خارجة بن حذافة ، وبذلك انحصر الجيش الروماني بين قوتين من جيش العرب ، وذلك للإطباق عليه عند صدور الأوامر ، وهذه الخطة لم يكن يعلمها الجيش الروماني ، وغاية ما عرفوه أن جيش المسلمين زاحف من عين شمس وأم دنين ، فافتتلا قتلاً شديداً منهما أن نتيجة هذه المعركة تقرر مصير مصر .

وبينما كانت رحى القتال دائرة بشدة هجمت الفرقة التي تحت قيادة خارجة جهة التلال ، وانقضت كالصاعقة على الجيش الروماني الذي وقع بين القوتين ، فاختل نظامه واضطرب ، واتجه نحو أم دنين ، فالتقى بجيش العرب هناك فالتجأ بعضهم إلى الحصن بطريق البر وفر البعض الآخر بقوارب إلى حصن بابلون ، لكن أكثرهم قتل واستولى المسلمون على أم دنين مرة أخرى ، وقتلت حاميتها عن آخرها عدا (٣٠٠) نجوا وتمكنوا من دخول حصن بابلون ، وأغلقوا الأبواب عليهم ، ولكنهم لما سمعوا بما آل إليه أمر جيشهم من القتال فروا من

الحصن في القوارب ، حتى وصلوا نقيوس ، ثم استولى المسلمون على ضفاف
النهر شمالي الحصن وجنوبه ، ونقلوا معسكرهم من عين شمس إلى الفسطاط
يقول البلاذري: (مضى قدماً إلى الفسطاط فنزل جنان الريان وقد خندق أهل
الفسطاط ، وكان اسم المدينة اليونانية فسموها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا: هذا
فسطاط القوم ومجمعهم ^(٨٥)) .

ولما شاع خبر انتصار المسلمين ، أخلى الجيش الروماني الفيوم ليلاً ،
وساروا إلى أيواط ، ومن هناك فروا إلى كريون بالقوارب من غير أن يخبروا
أهل أيواط بأنهم خلوا الفيوم للمسلمين ، ولما علم عمرو بذلك أرسل جيشاً فعبروا
النيل واحتل الفيوم وأيواط .

وكانت موقعة عين شمس في شهر تموز سنة ٦٤٠ م ، واستمرت حتى فتح
الغيوم خمسة عشر يوماً .

❀ فتح حصن بابليون

كتب القائد عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بالفتح ،
ويطلب منه المدد ، والحقيقة أن عمرو سار إلى مصر ، كان يعلم أن جيشه لم
يكن كافياً لفتحها ، وأنه إذا طلب المدد من الخليفة أوردته ، وعلى ذلك أمدته
بأربعة آلاف وصار يمدّه حتى بلغ عدد جيشه (١٢,٠٠٠) .

وكان قائد حامية حصن بابليون رجلاً يسمى الأعرج ، وأجمع مؤرخو العرب أن
المقوقس كان بالحصن وقت الحصار ، بدأ عمرو يحاصر حصن بابليون أو
قصر الشمع ^(٨٦) في أيلول سنة ٦٤٠ م ، وهو أقوى حصن بعد الإسكندرية ، بناه
الفرس وقت استيلائهم على مصر ، وكان أمام مدينة منف التي كانت مقراً
للمقوقس على شاطئ النيل .

لم يكن المسلمون مجهزين بالمعدات اللازمة لمهاجمة هذا الحصن المنيع، فأمدّه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأربعة آلاف رجل ، وكتب إليه " أني قد وجهت لك جماعة من فرسان العرب ، فيهم كل واحد منهم مقوم بمائة فلرس ، فإذا أتاك كتابي هذا فأخطب الناس ، وحصنهم على القتال ، ورغبهم في الصبر ، وأبرز للقتال عند زوال الشمس من يوم الجمعة فإنها ساعة إجابة " .

وعلى رأس كل ألف من الأربعة آلاف الذين أرسلهم عمر رجل ، وهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد، وقال له عمر : " أعلم أنه صار معك إثنا عشر ألفا ولا تغلب الإثنا عشر ألفا من قلة " .

وهنا نلاحظ اختلاف المؤرخين ، فبعضهم يقول : إن فتح حصن بابلليون كان قبل موقعة عين شمس ، وبعضهم يذكرها بعده ، كذلك هم مختلفون في تاريخ وصول المدد الذي كان فيه الزبير ، وهل وصل إلى حصن شمس كانت قبل حصار بابلليون ، وأن المدد الذي أرسله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع الأربعة الذين يقول عنهم إن الرجل منهم مقوم بمائة وصل إلى حصن بابلليون . فلما أتى كتاب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى عمرو بن العاص ، جمع المؤمنون وقرأ عليهم كتاب الخليفة ، فبرزوا للقتال ، وتسلق الزبير الحصن بواسطة سلم على حين غفلة من الروم ، فلم يشعروا إلا وقد دهمهم المسلمون ، فأخذوا بالفرار ، وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ، ففتحوه الحصن ، وقد حدثت مفاوضات للعلم قبل فتح الحصن ، ولكنها لم تنجح ، حيث رفض القائد المقوقس وجنده التسليم رفضا باتا ، أمروا بقطع الجسر الذي بين الروضة والحصن ، وكان من سفن متلاصقة بجانب بعضها ، واستمر المسلمون يحاصرون الحصن سبعة أشهر حتى فتحوه ، ويقال : إن الذين استشهدوا من المسلمين دفنوا في أصل الحصن ، ثم اضطر المقوقس وجند الروم أن يوافقوا

على شروط الصلح ، ورضوا بالجزية ، ثم رحل المقوقس إلى الإسكندرية تاركاً بابليون ، وأرسل إلى الإمبراطور بما تم أسفاً على اضطراره إلى عقد الصلح مع العرب ، وألتمس منه الموافقة على الصلح ، حتى يقي البلاد من شرور الحروب ، فأرسل إليه هرقل يوبخه على ما كان منه ، وقال في كتابه : (إنما أتاك من العرب إثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب وأختارهم علينا ، فإن عندك بمصر من الروم وبالإسكندرية ، ومن معك أكثر من مائة ألف ، معهم العدة والقوة ، والعرب حالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ، ورضيت أن تكون ومن معك من الروم في حال القبط أن لا تقايلهم أنت ومن معك من الروم ، حتى تموت أو تظفر عليهم .. الخ) .

فلما ورد كتاب الإمبراطور هرقل إلى المقوقس ، لم يرض أن يخرج مما دخل فيه من الصلح ، وقال لعمرو : أنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ، وقد تم الصلح فيما بيننا وأنا متم لك على نفسي ، والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه ، ثم طلب من عمرو بعض أمور ، منها : أنه إن مات يأمر بدفنه في كنيسة أبي خنث بالإسكندرية ، فأجابه عمرو إلى ما طلب .

لما تم الصلح أرسل عمرو بن العاص إلى الخليفة عمرو بن الخطاب (رضي الله عنه) يعلمه بالفتح ، فأجابه داعياً له وسأله أن يصف له مصر فكتب إليه :

ورد إلي كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر ، أعلم يا أمير المؤمنين ، أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها شهر ، يكتفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخط وسطها نهر مبارك الغدوات ، ميمون الروحان ، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر ، وله أوان بدر صلابة ويكثر عجابه وتعظم أمواجه فتفيض على الجانبين فلا

يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن المغائل أو ورق الأصائل ، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبه ، كأول ما بدأ في جريته ، وطمى في درته ، فعند ذلك تخرج ملة محضورة ، وذمة مخفورة ، يحرثون بطون الأرض ويبدرون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب لقيهم ما سعوا من كدهم فناله عنهم تعبير جهدهم ، فإذا أصدق الزرع وأشرق سقاه الندى وغذاه من تحت الثرى ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء إذ هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء فإذا هي ديباجة زرقاء فتبارك الله الخالق لما يشاء ، والذي يصلح هذه البلاد ويقر قاطنها فيها أن لا يقبل قول قسيسها في رئيسها ، ولا يستأوى خراج ثمة إلا في أوانها وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها ، فإذا تقرر الحال مع العمال هذه الأحوال تضاعف ارتفاع المال ، والله الموفق إلى حسن المآل .

وقد ذكر الطبري بشأن شروط الصلح : " لما ترك عمرو على القوم بعين شمس وكان الملك بين القبط والنوب ، ونزل معه الزبير عليها ، قال أهل مصر لملكهم : ما تريد إلى قوم قاتلوا كسرى وقيصر وغلّبهم على بلادهم ؟ صالح القوم اعتقد منهم ، ولا تعرض لهم ، ولا تعرضنا لهم ، وذلك في اليوم الرابع ، فأبى وناهدوهم فقاتلوهم ، وارتقى الزبير سورها ، فلما أحسوا فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة ، حتى خرج على عمرو من الباب معهم واعتقدوا بعدما أشرفوا على الهلكة ، فأجروا ما أخذوا عنوة فجرى ما صالح عليه فصاروا ذمة " .

أورد الطبري هذه المقدمة قبل إيراد شروط الصلح رواية عن سيف ، وإنا قبل أن نتذكر الشروط نلاحظ أن هذه المقدمة مضطربة ، فإن عين شمس لم يكن بها حصن ، ولم يرتق الزبير سورها ، إنما تسلق الزبير حصن بابلين كما تقدم ، وهذا نص العقد :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ولا يساكنهم النوب ، وإنتهت زيادة نهدم خمسين ألف ألف عليهم ما جنى لصوتهم ، فإن أبى أحدهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته إذا إنتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم ، وعليه قبل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم ، أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم ، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته ورسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذم المؤمنين ، وعلى النبوة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة ، شهد الزبير وعبد الله ومحمد أبناءه وكتب وردان وحضر " .

✽ فتح الإسكندرية

فرغ المسلمون من حصار بابلليون في أذار سنة ٦٤١هـ بعد أن استمر سبعة أشهر فبعد أن فتح عمرو بن العاص الحصن أجمع على المسير إلى الإسكندرية وأمر بفسطاطه أن يقوض .

ولا شك أن عمرو قصد من زحفه على الإسكندرية أن يسير إلى نقيوس ، وهي مدينة كان لها أهمية عظيمة لمناعتها من الوجهة الحربية ، وهي على فرع رشيد ، ولها شهرة تاريخية قديمة في زمن الفراعنة ، وقد أراد عمرو

بالمسير من جهة الفرع الغربي للنيل أو الصحراء أن لا يكون في طريق فرسانه أي عائق يمنعهم عن التقدم أو الارتداد ، لأن الفرع الشرقي متشعب بالترع في الدلتا .

وقد أسند القائد الروماني (تيودور) قيادة القوة التي كانت بنقيوس إلى دومنتيا قوى الذي كان لديه أسطول كبير من القوارب أعدها للدفاع عن البلد فلما اقترب المسلمون فر هذا القائد بقارب إلى الإسكندرية من شدة الخوف .

فلما رأت الحامية خيانة القائد ألقى الجند السلاح ، واندفعوا إلى القناة بحالة فزع شديد لعبورها والوصول إلى القوارب ، وكان كل جندي في ذلك الوقت لا يفكر إلا في النجاة بنفسه ، والهرب إلى بلده ، وفي هذه الأثناء وافاهم المسلمون ، وغرزوا السيف فيهم وقتلوه عن آخرهم ، ودخل المسلمون البلد بلا مقاومة .

وعندما جمع عمرو بن العاص قواته وتوجه إلى تحرير الإسكندرية آخر معاقل الروم في مصر ، وفي الطريق قابلته قوات الروم وحلفاؤهم من القبط عند منطقة تدعى الكريون ، وهي آخر سلسلة الحصون بين بابلين والإسكندرية، فاشتبك معهم في معركة عنيفة تمكنت فيها من إلحاق الهزيمة بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقد أدت هذه الهزيمة إلى تحطيم معنويات الروم وانسحابهم إلى الإسكندرية للتحصن بها ، غير أن جيش المسلمين واصل تقدمه نحو الإسكندرية وفرض حصارا شديدا عليها استمر ثلاثة أشهر حتى أرغم القوات المدافعة عن المدينة على الاستسلام وقبول شروط الصلح التي عرضها عليهم عمرو بن العاص ، وبذلك أصبحت جميع مصر ضمن أقاليم الدولة العربية الإسلامية ، وكان ذلك في حدود سنة ٢١هـ / ٦٤٢م^(٧٨) .

بعد أن حققت قوات المسلمين أهدافها في مصر واستقرت الأوضاع لها فيها توجهت غربا باتجاه برقة وطرابلس ، فتم لها تحريرها من الروم البيزنطي وعقد الصلح مع أهلها وذلك بحدود سنة ٢٢هـ / ٦٤٣م. وبذلك تم ترسيخ الوجود العربي الإسلامي في إفريقيا حيث ستواصل بعد ذلك حملات الفتح والتحرير .

وهكذا نلاحظ أن سياسة التحرير والفتح التي انطلقت قبل عشر سنوات أثر حروب الردة التي كانت تهدد وحدة الدولة العربية الإسلامية الناشئة ووجودها بالخطر ، قد حققت نجاحا باهرا ، تجاوز كثيرا ما كان يحلم به الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حينما أذن ببدء هذه السياسة، استطاعت الجيوش الإسلامية أن تهزم أكبر إمبراطوريتين في العالم وتمد سلطانها إلى العراق والشام ومصر وليبيا ، حين تمكنت من خلال ذلك من توحيد أبناء القبائل العربية ضمن إطار الأمة الواحدة ، وتأمين المجال الحيوي للدولة العربية الإسلامية الناشئة أن تنمو وتتطور على أرضية ملائمة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا .

إن العامل الإيجابي المحرك للأحداث الذي وحد أبناء القبائل العربية المتفرقة ، وأوجد لديهم الحافز المعنوي على الجهاد والاندفاع في حروب التحرير هو الإسلام فالقوة الدافعة في الدين الجديد وقوة الشعب العربي وتحفزه واجتماع كلمته كانت سر تفوقه (٨٨).

(٣) الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

كان عمر الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حين بويع بالخلافة في محرم من سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م ، بحدود السبعين عاماً .^(٩١)

وقد شرع الخليفة عثمان بن عفان بمباشرة سياسة الدولة مع إعلانه للمبادئ التي سيسير عليها ، وكانت السياسة الخارجية المتصلة بحروب التحرير والفتوحات على رأس اهتماماته لأن سلفيه ابا بكر وعمر كانا قد قطعاً شوطاً طويلاً في هذا المجال ، ومن ثم فقد تعين عليه مواصلة الطريق حتى نهايته ، وكان أبرز ما تحقق في عهده في ميادين التحرير والفتح ما يأتي :-

✽ الفتوحات في جبهة المشرق

تولى الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الخلافة في سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م ، حيث كان الوضع العربي عموماً آنذاك يتميز بالوحدة التامة فقد كان التوحيد والتجانس هي سمة مميزة للمجتمع العربي وكانت المعنويات العربية عالية جداً لا حدود لها كما كانت السيادة والعنفوان والشموخ العربي هما الطابعان المميزان للخلافة والقادة العرب ، حيث كان الحماس يثير في النفوس الهمم والعزائم من أجل تخفيف الرسالة العربية التي تشرف العرب بحملها للإنسانية جمعاء ، والتي كانت تهدف آنذاك الى تحرير الشعوب غير العربية الرزاحة تحت نير الوثنية والشرك والظلم والاستعباد .^(٩٢)

✽ استكمال فتح بلاد فارس

أما الموقف السياسي للإمبراطورية الساسانية فقد كان يتميز بالانكسار النفسي والمعنوي منذ أن حسمت معركة القادسية الموقف العسكري والسياسي لصالح

المسلمين ، حيث أعطت هذه المعركة مؤشرات واضحة لانتهاء الإمبراطورية الساسانية سوى الاسم والرمز المتمثل بالإمبراطور الفارسي المهزوم يزدجرد الثالث الذي هرب مولياً من إجراء انتصارات الجيش العربي الإسلامي الى كرمان، وسجستان ومرد ، وباعت محاولاته اليائسة كافة لتجميع قواته بالفشل الذريع الى أن قتل سنة ٣١هـ / ٦٥١م . (١١)

في سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م سار أمير الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي على رأس الجيش العربي وحرر (همدان) بعد قتال مع المدافعين عنها ، وكان على مقدمة جيشه القائد العربي جرير بن عبد الله البجلي الذي ولاه المغيرة عاملاً على (همدان) بعد أن تم تحريرها . (١٢)

ثم وجه المغيرة بن شعبة قائده البراء بن عازب لتحرير (قزوين) فلما وصل حصن (المجر) ضرب الحصار عليه ، وبعد قتال مع أهله تقدموا بطلب الصلح والأمان فأمنهم البراء وصالحهم على صلح وأمان (نهاوند) وتم تحرير أراضي أبهر وبعد تحرير أبهر تقدم القائد العربي البراء على رأس جيشه قاصداً (قزوين) وكان أهلها قدر راسلوا بقية الديلم لمساعدتهم على قتال المسلمين ، ولما وصل قزوين خرج أهلها لقتال الجيش العربي ، ولما نشب القتال بين الطرفين تخلى الديلم عن مساعدتهم لاهل قزوين ، فلما رأوا موقفهم تقدم أهل قزوين الى البراء بطلب الصلح فأجابهم البراء الى ذلك ، وبعد أن نظم البراء إدارة قزوين رتب فيها حامية عسكرية تتألف من خمسمائة مقاتل كانوا تحت قيادة طليحة بن خويلد الأسدي ، وأقطعهم أرضاً ليستقروا هناك . (١٣)

واصل القائد العربي البراء بن عازب حركات التحرير العربية في المشرق فتقدم على رأس الجيش العربي وحرر أرض الديلم ثم عقد اتفاقية معهم ، وبعد أن

حرر أرض الديلم سار على رأس جيشه وحرر (جبلان) و (البير) و (الطيلسان) و (زنجان) بعد أن خاض معارك ضارية مع أهل هذه المدن . (١٤)

ولما تولى سعد بن أبي وقاص أمارة الكوفة سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م ولى العلاء بن وهب بن عبد العامري عاملاً على همذان وفي أثناء إقامته هناك تمرد أهل همذان ونقضوا اتفاقيتهم مع المسلمين فقاتلهم العلاء فلما علموا أن لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا بطلب الصلح فصالحهم العلاء على أن يؤدوا إخراج أرضهم والجزية وعفا عنهم . (١٥)

وفي سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م سار أمير الكوفة سعد بن أبي وقاص على رأس الجيش العربي قاصداً (الري) وكان أهلها قد نقضوا اتفاقيتهم مع المسلمين وبعد أن أعاد نفوذ الدولة العربية الإسلامية هناك سار على رأس جيشه الى الديلم ، ويظهر أن الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عندما رأى أن أهل المشرق كانوا قد نقضوا اتفاقيتهم مع المسلمين كان قد عزم على إعادة نفوذ الدولة العربية هناك فأمر كل الأمراء المسؤولين عن إدارة الجزء الشرقي من الدولة العربية بالتوجه على رأس جيوشهم الى جبهة المشرق لقتال المتربين هناك .

وكذلك أنه أمر أمير البحرين عثمان بن أبي العاص بالتوجه الى تلك الجبهة فسار عثمان في سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م الى مدينة (سابور) فلما علم حاكمها تقدم بطلب الصلح الى عثمان فأجابه الى ذلك . (١٦)

وبعد أن تم تحرير مدينة سابور وجه عثمان قائده هرم بن حيان العيدي على رأس قوة الى قلعة (الشيوخ) ، وتم تحريرها بعد أن خاض الجيش العربي الإسلامي معركة ضارية مع أهلها (١٧) وتقدم القائد هرم وفتح قلعة (الرهبان) وهي أحد قلاع (كازرون) .

ولما علم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بتمرد أهل (إصطخر) على السلطة العربية الإسلامية وكانوا بقيادة الملك (شهر ك بن ماهك) وكان ذلك بأمر من ملك الفرس يزديجرد الثالث^(٩٨) أمر عثمان بن أبي العاص بالتوجه إلى إصطخر لإعادتها إلى نفوذ الدولة العربية وأمره بمقاتلة من أهل البصرة كانوا تحت قيادة عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد البجلي وعندما وصل الجيش العربي دارت معركة ضارية قرب مدينة (ريشهر) هزم فيها الفرس وقتل قائدهم شهر ك وتم فتح (إصطخر)^(٩٩) وعندما نقض أهل سابور معاهدة الصلح مع العرب في سنة ٢٦هـ / ٦٤٦م تقدم أمير البصرة عبد الله بن قيس الأشعري على رأس الجيش العربي وتم إعادتها إلى نفوذ الدولة العربية ، وكان أمير البحرين عثمان بن أبي العاص على مقدمة جيشه.^(١٠٠)

وفي سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م تقدم أمير البصرة عبد الله بن قيس الأشعري وأمير البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي على رأس الجيش العربي وحررا (أرجان) صلحاً ثم تقدما وحررا (شيراز) وتم الاتفاق مع أهلها على أن يؤدوا الخراج وبعد أن تم تحرير شيراز تقدما وحررا (سبنيز) وتقدم عثمان وحرر حصن (جنايا) بأمان أهلها .^(١٠١) وفي هذه السنة تقدم أمير البصرة وأمير البحرين وحررا (دار بجرد) صلحاً، وتصدى لأمير البحرين عثمان أهل (جهرم) فقاتلهم وحررا أرض جهرم ثم سار إلى (فسا) وحررها صلحاً .^(١٠٢)

ولما علم أمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، (٢٥ - ٢٩ هـ / ٦٤٥ - ٦٤٩م) أن أهل أذربيجان كانوا قد خرجوا على طاعة الدولة العربية ، توجه في سنة ٢٥هـ على رأس الجيش العربي قاصداً أذربيجان ، وكان على مقدمة جيشه القائد سلمان بن ربيعة الباهلي ولما وصل أذربيجان تقدم أهلها بطلب الصلح

فأجابهم الوليد إلى ذلك وصالحهم على (٨٠٠,٠٠٠) درهم تؤدي إلى الدولة سنوياً وهو الصلح نفسه الذي كانوا قد صالحوا عليه القائد العربي حذيفة بن اليمان عندما حررها سنة ٢٢هـ/٦٤٢م ، وولى الوليد الأشعث بن قيس عاملاً على أنذربيجان وفي أثناء إقامة الوليد بأذربيجان وجه قائده عبد الله بن شبيل بن عوف على رأس قوة قدرها الطبري بأربعة آلاف مقاتل لتحرير موقان، وجيلان ، والبير ، والطيلسان، وقد تم تحرير هذه المدن بعد أن خاض الجيش العربي معارك ضارية هناك (١٠٦) .

وفي سنة ٢٥هـ /٦٤٥م سار أمير الكوفة الوليد لتحرير أرض الديلم مما بلى قزوين ، ولما نقض أهل أربيجان معاهدة الصلح مع العرب ، أرسل عامل أنذربيجان الأشعث بن قيس كتاباً إلى أمير الكوفة الوليد بجيش عظيم من مقاتلة الكوفة فاستطاع الأشعث أن يعيد نفوذ الدولة العربية بأذربيجان بعد أن خاض الجيش العربي معارك ضارية مع أهلها، ثم صالحهم على صلح حذيفة بن اليمان ، ولكي يحول دون تكرار التمرد هناك أسكن الأشعث بأذربيجان حامية عسكرية عربية وأمرهم بدعوة أهل أنذربيجان إلى الدخول في الإسلام . (١٠٧)

وعندما ولى الخليفة عثمان عبد الله بن عامر كريز القرشي أميراً على البصرة وعمان والبحرين وأمره باستئناف حركات التحرير العربية في المشرق ، ابتدأ القائد العربي عبد الله بن عامر جهده بالتوجه على رأس جيشه لتحرير مدينة (إصطخر) المركز الإداري للدولة الفارسية وكان أهلها قد نقضوا اتفاقهم مع المسلمين ، فلما علم حاكمها (ماهك) تقدم بطلب الصلح فصالحه القائد عبد الله وولى عليها عبيد الله بن معمر التميمي ثم غادرها مواصلاً حركات التحرير في بقية مدن إقليم فارس ، غير أن أهل (إصطخر) سرعان ما أعلنوا تمردهم ومعارضتهم ،

وجاشت فارس عموماً وهاجمت القائد العربي في إصطخر عبيد الله بن معمر ،
ودارت معركة ضارية بين الفريقين عند باب المدينة استشهد فيها قائد الجيش العربي
عبيد الله ودخل الفرس إصطخر . (١٠٠)

وعندما وصل نبأ الحادث الى القائد العربي عبد الله ، أقسم لإن ظفر
بإصطخر ليقنتل منها مقتلة عظيمة وكان عبد الله منشغلاً في تحرير مدينة (جور) في
إقليم فارس أيضاً التي أعلن أهلها تمردهم وعصيانهم على الدولة العربية وكان عليها
القائد العربي هزم بن حيان العبدي ، وعندما وصل القائد عبد الله الى (جور)
تحصنوا منه ، وضرب حولها الحصار ، وكان الجيش العربي قد ضرب الحصار
عليها مرات عديدة سابقاً حيث كانت مدينة حصينة منيعة ، وقد استمر الجيش العربي
في محاصرتها حتى تمكن من تحريرها بعد أن اهتدت طلّاع الجيش الى معرفة أحد
الممرات والمخابئ الخفية التي كان أهلها يدخلون ويخرجون منها سراً ، ولما هاجم
الجيش العربي ذلك المدخل تمكن واستطاع الانتدفاع نحو المدينة وتحريرها بعد قتال
شديد ، وكان ذلك في سنة ٢٩هـ / ٦٤٩م ، وبعد أن تم تحريرها (جور) تقدّم القائد
عبد الله وحرر (السكرابان) و(فشجائن) وهما في دار بجرد وكان أهل هاتين
المدينتين قد نقضوا معاهداتهم مع العرب . (١٠١)

وبعد أن أعاد القائد العربي عبد الله هذه المدن الى نفوذ الدولة العربية قرر
التوجه الى مدينة (إصطخر) المتمردة على السيادة العربية في سنة ٢٩هـ / ٦٤٩م .
وكان على مقدمة جيش القائد عثمان بن أبي العاص وعلى ميمنته
أبو برزة بن عبد الله الأسلمي وعلى ميسرته معتقل بن يسار المزني ، وعلى الخيل
عمران بن الحصين الخزاعي ، وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهلي ، وكان القائد
عبد الله يتولى بنفسه قيادة الجيش فقاتلهم حتى أدخلهم إصطخر وضرب الحصار

عليها ، ثم نَقَب الجيش العربي سور المدينة فلم يشعر الفرس إلا والجيش العربي معهم في المدينة فدارت معارك ضارية انتهت بانتصار العرب وقتل ما يقارب أربعين ألفاً من الفرس ، وكان بينهم من أهل البيوتات الفارسية ووجوه الأسادة ، كانوا قد لجئوا إليها وتحصنوا بها . (١٠٧)

ولما تم تحرير إصطخر كتب القائد العربي عبد الله أخبار النصر إلى الخليفة عثمان بن عفان ، فكتب الخليفة يأمره بأن ينظم الإدارة وذلك بأن يولي هرم بن حسان اليشكري، وهرم بن حيان العبدي ، والخرت بن راشد ، والمنجاب بن راشد ، والترجمان الهجيمي على كور إقليم فارس وأن يولي الأحنف بن قيس على المروين، وحبيب بن قرّة اليربوعي على بلخ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة ، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس، وقيس بن هبيرة السلمي على نيسابور ، وهي كور بخرسان . (١٠٨)

تقدم القائد العربي عبد الله بن عامر على رأس الجيش العربي وذلك لمطالبة فلول الجيش الفارسي المتحصن في المدن التي خرجت على طاعة الدولة العربية فلما وصل إلى مدينة (دار بجرد) تمكن من تحريرها . (١٠٩)

وكان القائد عبد الله بن عامر يراقب عن كثب تطورات الأوضاع العسكرية، حيث أنه اتجه بجيشه من إقليم فارس إلى مدينة حلوان بإقليم الجبال بعد أن أعلنت تمرداً على السلطة العربية ، ونقض أهلها اتفاقية الصلح التي تم عقدها مع المسلمين وتمكن القائد عبد الله من إعادتها إلى نفوذ الدولة العربية بعد أن خاض معركة حامية مع أهلها الذين تقدموا بطلب الصلح فأجابهم القائد عبد الله إلى ذلك (١١٠) واصل القائد عبد الله بن عامر حركات التحرير العربية فتقدم في سنة ٢٩هـ - ٦٤٩م على رأس الجيش العربي قاصداً (أصفهان) وكان على مقدمة الجيش

عبد الله بن بديل الخزاعي ، فلما وصل تقدم أهلها بطلب الصلح فأجابهم القائد عبد الله الى ذلك ، على أن يؤدوا له الجزية كما يؤدي أهل فارس . (١١١)

وعندما نقض أهل (سنبل) معاهدة الصلح مع الدولة العربية سار إليها القائد عبد الله وأعادها الى طاعة الدولة العربية ثم سار الى (إيذج) وحررها بعد قتال شديد مع أهلها . (١١٢) وبعد أن اطمأن القائد عبد الله إلى سلامة الوضع العسكري في قاطع العمليات الأوسط قرر استئناف حركات التحرير العربية في إقليم فارس وذلك للقضاء على حركات التمرد التي قامت بها العناصر الفرسية المعارضة للسيادة العربية ، فتقدم على رأس الجيش العربي قاصدا مدينة (خوز) فتم تحريرها بعد خاض الجيش العربي معركة حامية مع أهلها ، وكان من ضمن جيشه في هذه المعركة عبد الله وعبيد الله ابنا الخليفة عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وبعد هذا الانتصار سار القائد عبد الله وحرر (أردشير خره) . (١١٣)

وبعد هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش العربي خطط القائد العربي عبد الله بن عامر لاستئناف صفحة جديدة من حركات التحرير العربية في جبهة المشرق الذي انتهز أهله فرصة اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب على أيدي فارسية مجوسية وغدوا بالحاميات العسكرية العربية ونقضوا معاهدات الصلح مع الدولة العربية فبعد ان أخذ الجيش العربي قسطا من الراحة وأعاد القائد العربي عبد الله تنظيمه ، أراد هذا القائد العظيم التقدير أن يبدأ مرحلة جديدة من مراحل حركات التحرير العربية خارج إقليم فارس والجزال ، فوجه القائد عبد الله عددا من القادة العرب على رأس قوات عربية الى مناطق مهمة لتحريرها من براثن الشرك " والمجوسية فبدأت عمليات عسكرية لاحقة ومهمة . (١١٤)

❁ فتح كرمان

وجه القائد عبد الله بن عامر قائده مجاشع بن مسعود المسلمي الى إقليم كرمان وكان أهله قد نقضوا اتفاقيتهم مع الدولة العربية فلما وصل الى (بيمند) ضرب الحصار عليها وكان أهلها متحصنين بها وبعد أن دارت معركة ضارية خارج المدينة تمكن القائد مجاشع من تحريرها صلحا بعد أن تقدم أهلها بطلب الصلح إليه ، بعد أن نظم إدارتها سار على جيشه وحرر (بروخره) وبعد أن تم تحريرها تقدم بجيشه الى (الشيرجان) فلما وصلها ضرب الحصار عليها، وفي أثناء الحصار خرج أهلها لقتال الجيش العربي ، فدارت معركة شديدة بين الطرفين انتهت بانتصار الجيش العربي ودخولهم المدينة ثم سار الى (جيرفت) وحررها بعد أن قاتل أهلها واتجه بعد ذلك الى مدينة (كرمان) مركز الإقليم (فدوخها) .

ولما علم القائد مجاشع أنه تجمع في (هرموز) خلق كثير من الأعاجم سار إليهم وقاثلهم وانتصر عليهم ، وبذلك استقر الموقف تماما لصالح العرب في هذا الإقليم هذا وقد استقر بعض المقاتلين العرب هناك وعمرؤا مدنه ، وامتنهوا الزراعة، واحترفوا الفنون . (١١٥)

ويلاحظ أن العرب قد ركزوا في تحركهم على كرمان على الطريق السذي يخرق وسط كرمان ، والذي يتوجه الى سجستان ، ومنها الى خراسان حيث حرروا المناطق المهمة في الطريق الذي يخرق وسط كرمان ، والذي يتوجه الى سجستان ، ومنها الى خراسان حيث حرروا المناطق المهمة في الطريق والمطلة عليه اعتبارا من مدينة بيمند غرب كرمان ومرورا بالسيرجان وجرفت ، وهرموز ، وإنهاء بمدينة الفهرج ، في شرق كرمان ، وعندما اجتاز القائد العربي عبد الله بن عامر كرمان استغل أهلها اندفاع الجيش العربي الى المشرق وحاولوا القيام بحركة تمرد

وغدروا بالحاميات العسكرية العربية الموجودة فيها غير أن العرب تمكنوا من القضاء على التمرد وإعادة الأمن والاستقرار ببربوع كرمان . (١١٦)

✽ فتح سجستان

وكان أهل سجستان قد نقضوا اتفاقيتهم مع الدولة العربية ، وأنه لما ولى عثمان (ع) الخلافة ولى عبد الله بن عمير الليثي عاملا على سجستان وأمره باستئناف حركات التحرير العربية هناك فتقدم على رأس جيشه وحرر عددا من المدن حتى وصل الى (كابل) بعد أن خاض الجيش العربي معارك ضارية هناك ، ولما وصل القائد العربي عبد الله بن عامر كرمان وجه في سنة ٣٠هـ / ٦٥٠م القائد العربي لإعادة سجستان الى طاعة الدولة العربية وكان على القائد الربيع اجتياز الصحراء الكبرى (المفازة) حيث وصل بقواته الى (الفهرج) التي توصل بين مفازة كرمان وجبرفت وتقع على الأطراف الجنوبية من المفازة من جهة كرمان ثم قطع الصحراء في أضيق نقطة منها ، وهي خمسة وسبعون فرسخا فأتى رستاق (زالق) من نواحي سجستان وبينهما خمسة فراسخ ، وهو حصن منيع ، وبعد قتال مع أهله تقدم دهقان زالق يطلب الصلح فأجابه الربيع الى ذلك .

وبتحرير زالق انفتح طريق الجيش العربي نحو سجستان حيث اتجه القائد الربيع بن زياد الى (كركوبة) فصالحه أهلها بدون قتال ثم تقدم الى رستاق (هيسون) فأقام له أهله النزل وتم الصلح معهم ، ثم تقدم قاصدا (روست) التي تبعد عن مدينة زرنج مركز سجستان الإداري مسافة ثلاثين ميلا فلم علم أهلها خرجوا لملاقاة الجيش العربي فدار بين الفريقين قتال شديد خارج المدينة إنتهى بهزيمة

أهل روست بعد أن قتل أعدادا كبيرة منه ودخل الجيش العربي المدينة محرزا لها (١١٧) .

ثم اتجه القائد الربيع الى ناحيتي (ناشروذ) و (شرواذ) فقاتل أهلها وظفر بهم وتم تحريرها ، وفي هذه الانتصارات العظيمة تقدم القائد الربيع على رأس الجيش العربي قاصدا مدينة (زرنج) مركز إقليم سجستان الإداري ، وهي من معقل سجستان الكبيرة ، ولما وصل ضرب الحصار عليها وبعد أن قاتله أهلها بعث المرزبان أبرويز حاكم المدينة الى القائد العربي الربيع يستأمنه فأمنه القائد الربيع وصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل الجيش العربي المدينة . (١١٨)

وبعد أن تم تحرير (زرنج) اتجه القائد الربيع لتحرير قرى ورساتيف عديدة من سجستان وأبرزها تلك التي تقع بوادي (سنادوذ) وبعد أن تم تحريرها رجع الى قاعدة انطلاقه في (زرنج) ثم حرر (زالق) و (ناشب) و (ناشروذ) . (١١٩)

ونظرا لما أبداه القائد العربي بن زياد الحارثي من الشجاعة والبطولة والإقدام في تلك الجبهة فقد ولى الأمير عبد الله بن عامر ، الربيع بن زياد عاملا على سجستان وبعد أن مكث الربيع في ولايته على سجستان سنتين ونصفا استخلف عاملا عليها وعاد الى البصرة . (١٢٠)

انتهاز مرزبان زرنج فرصة مغادرة الربيع سجستان فنقض معاهدة الصلح مع العرب وأخرج العامل العربي من المدينة فلما علم أمير البصرة عبد الله بن عامر ولى في سنة ٣٣هـ / ٦٥٣م عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب عاملا على سجستان وأمره بإعادتها الى طاعة الدولة العربية فلما وصل ، ضرب الحصار على المدينة فأخطر مرزبان زرنج الى طلب الصلح والأمان فصالحه القائد العربي عبد الرحمن على ألفي ألف درهم ، وألفي وصيف . (١٢١)

✽ فتح خراسان

كانت أول محاولة لتحريرها في عهد أمير البصرة عبد الله بن قيس الأشعري (١٧-٢٩هـ/٦٣٨-٦٤٩م) الذي وجه قائده عدیل بن ورقا الخزاعي الى هناك فتقدم على رأس الجيش العربي وإجتاز کرمان والصحراء ومضى حتى بلغ (الطبيين) وهما حصنان وكان آنذاك في اعتبار بابي خراسان وبعد أن خاض الجيش العربي قتالا مع أهلها جاء قوم من أهل خراسان الى الخليفة عمر بن الخطاب فصالحوه على ستين ألف درهم وكتب لهم كتابا ، ولذلك اكتفت القوات العربية بهذا الإنجاز العسكري والراجح أن هذا التوقف كان بإيعاز من الخليفة عمر بن الخطاب^(١١٨).

أما الخليفة عثمان بن عفان فإنه كان مقتنعا بضرورة تحرير خراسان لإدراكه أهمية موقعها ، ولأن أهلها كانوا قد نقضوا معاهدة الصلح مع العرب وغدروا بالحاميات العسكرية العربية هناك ، فلما تولى الخلافة ولي عمير بن عثمان بن سعد عاملا على خراسان وأمره باستئناف حركات التحرير العربية هناك ، فلما وصل عمير تقدم على رأس الجيش العربي وبعد أن خاض معارك ضاربة هناك تمكن من الوصول الى فرغانة وتحريرها .^(١٢٣)

ولما علم القائد عبد الله بن عامر أمير البصرة أن ملك الفرس يزدجرد الثالث، وكبار رجال دولته قد لجأوا الى خراسان ، كتب في ذلك الى الخليفة عثمان واستأذنه بالتوجه إلى هناك، فلما أذن له الخليفة خرج من البصرة بالتوجه الى هناك فلما أذن له الخليفة خرج من البصرة على رأس الجيش العربي قاصدا خراسان على مقدمة جيشه قيس بن الهيثم المسلمي وفي رواية الأحنف بن قيس .^(١٢٤)

وضم جيش القائد عبد الله بن عامر عددا من كبار القادة العرب وقد وجههم

القائد عبد الله الى عدة محاور لتحرير مدن خراسان كما وصل الى هناك. (١٢٥)

إن القائد عبد الله قرر أن يتقدم نحو خراسان من جهتين ، إحداهما في سجستان ، والأخرى من جهة كرمان ، وذلك من أجل تطويق خراسان ، وكان القائد الأحنف بن قيس التميمي قد تقدم الى قوهستان المتاخمة للحدود الجنوبية الغربية لخراسان ، وسأل عن أقرب مدينة الى الطبيين وهي باب خراسان فدل عليها، وفي أثناء تقدمه لقيه الهياطلة فهزمهم هزيمة منكرة وحرر قوهستان. (١٢٦)

أما القائد الأسود بن كلثوم العدوي فقد توجه الى (بيهق) حيث قاتل أهلها قتالا شديدا بعد أن تمكن من دخول المدينة مع طائفة من مقاتليه إلا أنه استشهد في أثناء المعركة التي دارت في المدينة فتولى القيادة من بعده أخوه أدهم بن كلثوم الذي قاتل الأعداء قتالا شديدا حتى انتصر عليهم وحرر (بيهق). (١٢٧)

أما القوات العربية الرئيسية في عمليات تحرير خراسان فقد كانت بقيادة عبد الله بن عامر الذي تقدم نحو خراسان من جهة الصحراء التي اجتازها من المناطق الشمالية من كرمان ليلتقي بالقوات العربية التي تقدمت نحو خراسان من جهة سجستان ، وكان هدف القائد عبد الله التقدم في أرض خراسان والوصول الى مدينة (نيسابور) التي تعد من مدن خراسان المهمة وكان على مقدمة جيشه القائد الأحنف بن قيس التميمي ولما تعرض الى مقدمة جيش أهل (هراة) دارت معركة ضارية انتصر فيها الأحنف ، ثم تقدم القائد عبد الله وضرب الحصار على (نيسابور) عدة شهور ، ولما شدد الحصار على المدينة رأى مرزبان نيسابور أن لا قبل له بالاستمرار في المقاومة فتقدم بطلب الصلح والأمان الى القائد عبد الله فأجابه النى ذلك وصالحة على ألف ألف درهم ودخل الجيش العربي المدينة ، وبعد أن نظم

القائد عبد الله الإدارة في نيسابور ولى قيس بن الهيثم المسلمي عاملا عليها ،
وتقدم لتحرير مدن وقرى نيسابور وكان ذلك في سنة ٣١هـ / ٦٥١ م . (١٢٨)

وبعد أن تم تحرير مدن وقرى نيسابور ، اتخذ القائد عبد الله من هذه المدينة
عددا من القادة لتحرير عدد من المدن في إقليم خراسان . (١٢٩)

ثم وجه القائد عبد الله بن عامر قائده حاتم بن النعمان الباهلي الى (مرو)
وهي المركز الإداري لخراسان ، ولما علم مرزبان المدينة تقدم الى القائد العربي
بطلب الصلح فصالحه حاتم . (١٣٠)

وبعد ذلك بدأ القائد عبد الله بن عامر بتوجيه قاداته الى مناطق مهمة من
خراسان ، وبعد أن تقدم على رأس جيشه استطاع أن يحرر رستاق (زام) من
نيسابور بعد أن قاتل أهلها ، وحرر باخرز وهو أحد رساتيق نيسابور أيضا ، ثم سار
وحرر (جوين) بعد قتال مع أهلها ، وتمكن من أسر أغلب سكانها ، وبذلك أتم
المسلمون تحرير أغلب أعمال نيسابور في الوقت الذي تقدم فيه القائد العربي
عبد الله بن عامر وحرر (بشت) و(إسبندورخ) (وزادة) و(خواف) (إسفرائين)
و(أرغيان) وجميعها من أعمال نيسابور . (١٣١)

ووجه القائد عبد الله بن عامر قائده عبد الله بن حازم السلمي لتحرير مناطق
تقع أقصى الشمال الغربي من خراسان فتمكن من تحرير (حمراندز) وهي من (نسا)
فلما علم حاكم نسا صالحه على خراج الأرض .

ولما تقدم القائد عبد الله بن حازم الى (سرخس) خرج أهلها لملاقاته فقاتلهم
قتالا شديدا ، ولما جاءه القائد عبد الله نجده له طلب مرزبانها زاوية الصلح فأجابته
القائد عبد الله الى ذلك ودخل الجيش العربي المدينة، وعلى أثر هذه الفتوحات
العظيمة جاء مرزبان (طوس) الى القائد عبد الله بن عامر فصالحه على المدينة

بستمائة ألف درهم .^(١٣٢) ثم سار القائد عبد الله الى (هراة) فقاتل أهلها ثم تقدم حاكمها إليه بالصلح عن هراة ويوشنج ، وباذغيش على ألف ألف درهم ثم أرسل مرزبان (مرو الشاهجمان) الى القائد عبد الله يسأل الصلح فوجه ابن عامر الى مرو القائد حاتم بن النعمان الباهلي فصالحه عنها على ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم.^(١٣٣) فتم بذلك تحرير جميع مدن خراسان .

أما مصير ملك الفرس يزجرد الثالث المهزوم فإنه كان قد قتل على يد أحد الأعاجم في خراسان بعد أن اختلف مع قاداته وكبار رجاله حول إصراره على مقاومة الجيش العربي ، وكان ذلك في سنة ٣١هـ - ٦٥١م .^(١٣٤)

✽ فتح طبرستان

تقدم أمير الكوفة سعيد بن العاص ، وبأمر من الخليفة عثمان بن عفان على رأس جيش كبير ضم القائد حذيفة بن اليمان وجماعة من الصحابة ، ومن أبنائهم ، حيث خرج من الكوفة سنة ٣٠هـ - / ٦٥٠م قاصدا طبرستان وأقاليم أخرى وكان أهل هذه الأقاليم قد نقضوا معاهدات الصلح مع الدولة العربية .

فلما وصل جرجان صالحه ملكها على مائتي ألف درهم ، ولما علم أهل (طميسة) بالأخبار تقدم الجيش العربي خرجوا لملاقاته ، فدارت بين الفريقين معركة ضارية هزم فيها أهل طميسة ودخلوا المدينة ، عندئذ تقدم القائد سعيد وضرب الحصار عليها ، ولما رأى المدافعين عن المدينة أن لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا بطلب الصلح فأجابهم سعيد الى ذلك^(١٣٥) .

وبعد أن استرجع القائد سعيد طبرستان تقدم على رأس جيشه وحرر الرويان ،
وديناوند ثم تقدم واسترجع موقات ، وجيلان بعد قتال شديد هناك ثم سار بعد ذلك
وحرر بلاد الديلم وأسكنها جماعة من مقاتلة الكوفة . (١٣٦)

✽ فتح طخارستان

وفي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م ، وجه عبد الله بن عامر القائد الأحنف بن قيس
على رأس الجيش العربي لتحرير طخارستان ، فلما وصل هناك ضرب الحصار
على المنطقة التي عرفت فيما بعد بـ (قصر الأحنف) وعندما شدد الحصار تقدم
أهلها بطلب الصلح ، فصالحهم الأحنف على ثلاثمائة ألف درهم وقال لهم (أصالحهم
على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم فرضوا) وكان الصلح على
جميع الرستاق . (١٣٧)

إلا أن أهل طبرستان نقضوا الصلح ، وجاءهم أهل الجوزجان ، والطارقبان ،
وأهل الصغانيان ، من وراء النهر وهم في الجانب الشرقي من نهر جيحون ، وكنلوا
قد جمعوا ثلاثين ألفا . (١٣٨)

وقد أعلن القائد العربي الأحنف حالة الاستنفار القصوى في الجيش العربي
الذي يبلغ تعدادة خمسة آلاف مقاتل ، فابتدأت المعركة منذ صلاة العصر ،
واستمرت المعركة بضراوة وعنف ليلا حتى ذهب عامة الليل ، وهز القائد الأحنف
رايته ، وحمل وحملوا فقصده ملك الصغانيان الأحنف فاهوى له بالرمح فانترزع
الأحنف الرمح من يده ، وقا تل الأحنف قتالا شديدا ، فقتل من الأعداء ثلاثة ممن
معهم الطبول ، ثم لاذوا بالفرار ، واتجه أغلبهم الى (رسكن) وهي على بعد اثني
عشر فرسخا من قصر الأحنف ، وكان مرزبان مرو الروز قد تربص بحمل ما

كانوا قد صالحوه عليه لينظر ما يكون من أمرهم فلما ظفر الأحنف أرسل رجلين الى المرزبان ، وأمرهما ، فلما ظفر الأحنف أرسل رجلين الى المرزبان ، وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا ، فعلم المرزبان أنهم لم يفعلوا ذلك به إلا وقد ظفروا ، فحمل ما كان عليه . (١٣٩)

✽ فتح أرمينية

إن تأمين حدود الدولة العربية الإسلامية الشمالية وإضعاف الإمبراطورية البيزنطية التي كانت لا تزال قوية وتواصل غارتها على الثغور الإسلامية ، كان يتطلب فتح بلاد أرمينية وإحاقها بأقاليم الدولة العربية الإسلامية .

وفي سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م أمر الخليفة عثمان بن عفان أمير الشام والجزيرة معاوية بن أبي سفيان أن يوجه قائده حبيب بن سلمة بن خالد الفهري على رأس جيش لتحرير أرمينية وكان حبيب يمتاز بمقدرة وكفاءة عسكرية عالية سار القائد حبيب على رأس جيشه ولما وصل الى (قاليقلا) التي كانت المركز الإداري للروم ضرب الحصار عليها ، فلما علم أهلها خرجوا لقتال الجيش العربي ، فدارت معركة ضارية انتهت بهزيمة أهل قاليقلا أنه لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا بطلب الصلح والأمان ، فصالحهم حبيب وأمنهم وتم تحرير قاليقلا . (١٤٠)

ولما علم حاكم الروم بانتصارات الجيش العربي جمع أعدادا كبيرة من الجند قدرها الطبري بثمانين ألف مقاتل من الخزر وملطية وسيواسي وقونية ، فلما بلغت هذه الأنباء الى القائد العربي حبيب كتب الموقف العسكري الى أمير الشام معاوية ، فلما وصل كتابه بعث إليه معاوية بألفي مقاتل أسكنهم القائد حبيب في (قاليقلا) وأقطعهم القطائع وجعلهم مرابطة لحمايتها ، ثم كتب معاوية كتابا الى الخليفة عثمان

مبيناً له الموقف العسكري في أرمينية فلما وصل كتاب معاوية الى الخليفة ، كتب الخليفة الى أمير الكوفة الوليد بن عقبة : " أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين مجموعة عظيمة ، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى بحدّته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي ، والسلام". (١١١)

ولما وصل كتاب الخليفة عثمان الى الوليد وجه قائده سلمان بن ربيعة الباهلي وكان قائداً عسكرياً ناجحاً على رأس قوة قدرها الطبري بثمانية آلاف مقاتل فاجتمع جيش العراق وجيش الشام بأرمينيا وحرّرا عدداً من الحصون هناك. (١١٢)

وكان الخليفة عثمان على اتصال دائم بحركات التحرر العربية بأرمينيا وأنه كان يشرف عليها بنفسه ، حيث أمر القائد سلمان بن ربيعة الباهلي أن يحرر أرمينيا الأولى وأمر القائد حبيب بن مسلمة الفهري أن يحرر بقية أرمينية ، وأراد الخليفة بعمله هذا أن يقسم جيش الأعداء على قسمين لكي تضعف مقاومتهم أمام الجيش العربي . (١١٣)

سار القائد العربي سلمان على رأس جيشه قاصداً (أران) فلما وصل (البيلقان) حرّرها صلحاً ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم على أن يدفعوا الجزية والخراج للدولة العربية . (١١٤)

ثم تقدّم لتحرير (برذعة) فلما علم أهلها بقدومه تحصنوا فيها ، فلما وصل إليها ضرب الحصار عليها وفي أثناء الحصار حرّر عدداً من قرى برذعة ولما رأى أهلها أنه لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدّموا بطلب الصلح ، فصالحهم القائد سلمان على رأس جيشه ، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها ، وتقدّم القائد سلمان

على رأس جيشه وحرر عددا من القرى والرساتيق في أران ثم واصل تقدمه وحرر (قبله) و (سكن) و (القمييران) و (خيزان) و (شروان) و (الشابيران) و (مسقط) ثم بعث الى ملوك الجبال ودعاهم فأقبل إليه عدد منهم ، ولما تقدموا بطلب الصلح أجابهم القائد سلمان الى ذلك . (١٤٥)

وبعد أن تم تحرير هذه المدن سار القائد العربي سلمان الباهلي قاصدا مدينة البلب ، وكان خاقان ملك الخزر (الترك) مقيما فيها ، فلما علم خاقان بقدومه غادرها فدخلها الجيش العربي بدون مقاومة . (١٤٦)

خرج القائد سلمان على رأس جيشه من مدينة الباب قاصدا خاقان الذي أقام في (بلنجر) المركز الإداري للخزر ، وكان عدد جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل ، فلما وصل الجيش العربي دارت معركة ضارية قرب نهر بلنجر انتهت باستشهاد القائد سلمان وأربعة آلاف من الجيش العربي الذي كان عدده عشرة آلاف مقاتل بعد أن قدموا صورا رائعة من البطولة في أثناء المعركة . (١٤٧)

وبعد استشهاد القائد سلمان ، أسند الخليفة عثمان مهمة تحرير أرمينيا إلى القائد حبيب بن مسلمة الفهري .

أما حركات القائد حبيب بن مسلمة الفهري بأرمينيا فإنه بعد أن حرر (قاليقلا) سار على رأس الجيش العربي وحرر (مربالا) صلحا على مثل صلح القلائد العربي عياض بن غنم ، الذي سبق أن حررها . (١٤٨)

وبعد أن تم تحرير مربالا أتاه بطريق خلاط كتاب القائد عياض بن غنم ، وكان عياض قد أمنه على نفسه وماله وبلاده على أن يقدم مقدارا من المال الى الدولة العربية فأجابه حبيب الى ذلك وصالحه على صلح عياض ، وبعد أن نزل

بخلاط سار على رأس جيشه وحرر (مكسي) صلحا ثم وجه عددا من القاده الى عدد من المدن والقرى وتم تحريرها صلحا . (١٩٩)

وفي أثناء تقدم القائد حبيب في أرمينية قدم عليه حاكم كورة (البسفرجان) وتقدم بطلب الصلح فصالحه على جميع بلاده ، ولما تقدم لتحرير (السيجان) خرج أهلها لقتاله فدارت معركة ضارية انتهت بانتصار الجيش العربي وتحرير السيجان، تقدم على رأس جيشه قاصدا (جزران) فلما علم حاكم جزران تقدم بطلب الصلح والأمان فأجابه القائد حبيب الى ذلك . (٢٠٠)

وبعد أن حرر القائد العربي حبيب بن مسلمة الفهري عددا من المدن صالحا تم تحرير أرمينية وكتب بذلك كتباً الى الخليفة عثمان مبينا فيه الموقف العسكري في تلك الجبهة ، وعزم الخليفة عثمان أن يوليه عاملا على أرمينيا إلا أنه عدل عن ذلك وولى حذيفة بن اليمان العبسي عاملا عليها ، ثم وجه القائد حبيب بن مسلمة الفهري الى جبهة الثغور في الشام والجزيرة ليتولى القيادة في تلك الجبهة . (٢٠١)

وبتحرير أرمينية حققت الدولة العربية الإسلامية تأمين حدودها في تلك الجبهة من جهة وإضعاف الدولة البيزنطية وذلك بحرمانها من واردات أرمينية التي كانت تحت سيطرتها وذلك تمهيدا للقضاء عليها . (٢٠٢)

✻ إنشاء القوة البحرية ومحاربة الروم في البحر

كان الروم البيزنطيون يسيطرون على البحر المتوسط إبان حركة الفتوح الإسلامية سيطرة تامة حتى عرف هذا البحر باسمهم (بحر الروم) .

وقد مكنتهم من هذه السيطرة مهاجمة سواحل الشام ومصر بصورة مستمرة

بعد أن تمكن المسلمون من التغلب عليهم وطردتهم من هذه البلاد . (٢٠٣)

وقد أدى عدم وجود قوة بحرية لدى المسلمين الى شل قدرة المسلمين على مطاردتهم والقضاء على دولتهم ، لذا فقد حاول معاوية بن أبي سفيان أن يفتح الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بالموافقة على إنشاء قوة بحرية لمقاتلة الروم في البحر ، إلا أن الخليفة رفض ذلك لتخوفه من نتائج مثل هذه التجربة التي لم يكن للعرب خبره مناسبة فيها ، لذا فقد اكتفى معاوية بتحصين الثغور البحرية وبناء القلاع والحصون الدفاعية فيها ، وأخذ يشجع الناس على الإقامة في هذه الثغور وتعلم فنون القتال البحري ذي الطبيعة الدفاعية . (١٠٤)

ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة ، كتب إليه أمير الشام معاوية يستأذنه بتحرير جزيرة (قبرص) إلا أن الخليفة لم يوافق على ما عزم عليه معاوية وكتب إليه يأمره أن يواصل سياسته القائمة على تحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة ، وتوزيع الأراضي على من ينزله هناك من العرب وفي بداية خلافة عثمان هاجم البيزنطيون قسما من ساحل الشام وتغلبوا عليه فتقدم أمير الشام على رأس الجيش العربي واستعاده منهم .

ثم وجه قائده سفيان بن مجيب الأزدي على رأس قوة لتحرير (طرابلس) فلما وصل بالقرب منها أنشأ حصنا أطلق عليه اسم (حصن سفيان) ثم ضرب الحصار على المدينة ولما اشتد الحصار على أهلها كتبوا الى قيصر الروم يسألونه أن يمدهم بقوة أو يرسل إليهم السفن لكي يهربوا فيها فلما وصل وجه إليهم عددا من السفن ركبوا فيها وهربوا ليلا ، فلما علم القائد العربي سفيان بذلك دخل المدينة وتم تحريرها بدون مقاومة . (١٠٥)

وعندما تكررت الاعتداءات البيزنطية على مدن ساحل الشام ومصر عزم أمير الشام معاوية على تأسيس أسطول حربي عربي لتحرير جزر قبرص ، كي

يبعد الخطر البيزنطي عن ساحل الشام من جهة ويتخذ من هذه الجزر قواعد عسكرية ومراسي للأسطول العربي من جهة أخرى .

فكتب الى الخليفة عثمان في سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م يستأذنه بتحرير جزيرة (قبرص) وقد اخبره بكتابه بقربها من ساحل الشام ، وسهولة تحريرها ، فلما وصل كتاب معاوية الى الخليفة استشار كبار الصحابة ، فأذن له بذلك . (١٥٦)

✽ فتح قبرص

أعد معاوية سفن الأسطول العربي بدار الصناعة ب(عكا) التي قدرها ابن أعثم بمائتين وعشرين سفينة ثم توجه من هناك في سنة ٢٨هـ / ٦٨٤م قاصداً قبرص ، وأن الخليفة عثمان الذي كان مهتماً بأمر حركات التحرير العربية كان قد امر أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يعد أسطولاً عربياً في مصر وأن يشترك في هذه الحملة .

وأن الأسطول العربي في مصر الذي كان بقيادة أمير مصر عبد الله بن سعد قد اشترك في الحملة العربية التي تقدمت لتحرير جزيرة (قبرص)، وقد اشترك في هذه الحملة عدد من الصحابة كان من بينهم أبو ذر الغفاري ، وشداد بن أوس وأبو الدرداء وعبادة بن الصامت .

ولما وصل الأسطول العربي الى جزيرة (قبرص) تقدم حاكمها بطلب الصلح فأجابه معاوية الى ذلك ، وصالحهم على مقدار من المال قدره الطبري بسبعة آلاف دينار يؤديه أهلها سنوياً ، على أن يقفوا على الحياد في أثناء القتال بين العرب والبيزنطيين وتعهدوا بالآلا يساعدوا البيزنطيين في اعتداءاتهم على الشام . (١٥٧)

وبعد أن تم تحرير جزيرة قبرص عاد الجيش العربي الى الشام ومصر مظفراً بعد أن حقق أول نصر عربي في القتال البحري ، واستطاع بعمله هذا أن يبعد الخطر البيزنطي المباشر عن ساحل الشام . (١٥٨)

إلا أن أهل قبرص كانوا قد خرجوا على بنود الاتفاقية مع العرب حيث أمدوا البيزنطيين في سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م بعدد من السفن في أثناء قتالهم مع العرب فلما علم معاوية بذلك قرر استعادتها الى طاعة الدولة العربية وجعلها ضمن ممتلكات الدولة العربية وذلك ليحول دون تكرار تمرد أهلها على السيادة العربية من جهة وعدم استغلال الجزيرة من قبل الأسطول البيزنطي للاعتداء على الشام من جهة أخرى ، فجهز حملة بحرية في سنة ٣٣هـ / ٦٥٣م وكان عدد سفن أسطوله خمسمائة سفينة ، ولما وصل هناك استطاع أن يحررها بعد أن خاض الجيش العربي معركة ضارية مع أهلها ، ثم أقر أهل قبرص على صلحهم السابق ، ولكي يعزز معاوية الموقف العربي في هذه الجزيرة بعث إليها حامية عسكرية عربية يقدر عددها بلإثني عشر ألف مقاتل وأمرهم بالإقامة هناك وصد أي عدوان بيزنطي على الجزيرة ، كما نقل إليها جماعة من أهل الشام تشد من أزر الحامية العربية ، وشيد لهم مدينة جديدة، ومساجد ليؤدوا فيها الشعائر الدينية ، فاستطاع معاوية بعمله هذا أن يقضي على حالة التمرد في هذه الجزيرة وتكرار مساعدتهم للبيزنطيين . (١٥٩)

بعد أن تم تحرير جزيرة قبرص قرر أمير الشام معاوية تحرير بقية الجزر التي تخضع للسيطرة البيزنطية والتي تقع في القسم الشرقي من البحر المتوسط وذلك لتأمين حدود الدولة العربية هناك ، فوجه القائد جناده بن أبي أمية الأزدي . على رأس أربعة آلاف مقاتل الى جزيرة (أرواد) التي تقع بالقرب من ساحل الشام بين جيلة وطرابلس، ولما وصل الأسطول العربي الجزيرة تمكن العرب

من تحريرها بعد قتال مع أهلها ، وصالحهم القائد العربي جنادة على مال وجزية
تؤدى سنوياً الى الدولة العربية . (١١٠)

✽ معركة ذات الصواري

على إثر الانتصارات العظيمة التي حققها الجيش العربي على البيزنطيين
في البر والبحر ، قرر ملك الروم قسطنطين الثاني أن يهاجم الأسطول العربي في
البحر المتوسط ويسترد السيادة البيزنطية على ذلك البحر ، فلما بلغت هذه الأنباء
الخليفة عثمان كتب الى أمير الشام معاوية يأمره أن يخرج بأسطوله على رأس
أهل الشام لملاقاته ، وكتب الى أمير مصر عبد الله بن سعد ابن أبي سرح يأمره
بأن يساعد الأسطول العربي في مصر الأسطول العربي في الشام . (١١١)

اجتمع الأسطول العربي في مصر مع الأسطول العربي في الشام بـ(عكا)
وقد بلغ تعداد سفنه خمسمائة سفينة ، وتولى قيادته أمير مصر عبد الله بن سعد ،
وكان قسطنطين الثاني قد أعد أسطولاً يتألف من ألف سفينة ، فردوه بآلات الحرب
فتقابل الأسطولان في سنة ٣٤هـ/٦٥٤م في معركة ذات الصواري وقد سميت
المعركة بمعركة ذات الصواري لكثرة صواري السفن التي جمعت في مكان واحد
في أثناء القتال .

ودارت معركة ضارية بدا فيها العرب حربهم مع الأعداء بالأسلوب نفسه في حربهم
في البر ذلك بالقتال في بالسهام والرماح والحراب ، إلا أنهم كانوا قد غيروا الخطة
العسكرية حيث ربطوا سفنهم بسفن البيزنطيين فانتهت المعركة بانتصار العرب
انتصاراً حاسماً وهزيمة أعدائهم بعد أن قتل العرب أعداداً كبيرة ودمرت معظم
سفنهم ، ولم ينجح منهم إلا الشرير ، أما ملكهم فقد انهزم جريحاً في أثناء المعركة

ولجأ الى جزيرة صقلية وقتل هناك من قبل أهلها الذين اعتبروه هو المسؤول عن هزيمة البيزنطيين في هذه المعركة . (١١٢)

وكتب أمير مصر وقائد المعركة عبد الله بن سعد وأمير الشام معاوية بإخبار النصو الى الخليفة عثمان (فسر عثمان بذلك) كما يقول ابن أعثم . (١١٣)

لقد كانت معركة ذات الصواري معركة حاسمة وفاصلة في تاريخ الصراع العربي البيزنطي البحري ، حيث استطاع العرب في هذه المعركة أن يحطموا السيادة البيزنطية في البحر المتوسط ، ثم بدا العرب بعدها يهاجمون الجزر التي تقع تحت السيطرة البيزنطية في البحر المتوسط . (١١٤)

❖ البدء بفتح صقلية

لما علم أمير الشام معاوية أن الأساطيل البيزنطية التي دحرت في المعارك البحرية العربية البيزنطية قد التجأت الى مياه صقلية وأن جزيرة صقلية أصبحت قاعدة للقوات البيزنطية البحرية .

وأن البيزنطيين كانوا قد عزموا على شن هجوم على الأساطيل العربية من هناك قرر أن يحرر جزيرة صقلية وكتب الى الخليفة عثمان يستأذنه بذلك . (١١٥)

ولما بلغت هذه الأنباء الى البيزنطيين بإفريقية بعثوا الى أهل جزيرة صقلية (بنان العرب كانوا قد جمعوا على حربكم فكونوا من ذلك على حذر) . (١١٦)

سار الأسطول العربي بقيادة معاوية بن حديج الكندي وكان يتألف من ثلاثمائة مركب ، وكان أمير الشام معاوية قد هيا كل أسباب النصر لهذه الحملة فقد ذكر ابن أعثم أنه عندما وصل الأسطول العربي الى جزيرة صقلية وعلم بها ملكها (أشرف من قصره ومعه جماعه من بطانته ، فنظر الى مراكب المسلمين قد

أقبلت وعليها الرايات والمطارف والأعلام ، وفيها الرجال بالسلاح الذي لم ير مثله ، والى مراكب كثيرة والى سلاح شاك لم يكن يظن أنه يكون عند العرب مثله . (١١٧)

ثم أرسل ملك صقلية الى القائد العربي معاوية يطلب منه أن يبعث له رجلاً يكلمه عن هدف الحملة فلما سأله الملك أجابه العربي (قصدناكم لندعوكم الى أن تدخلوا في الإسلام وتأمينوا على دياركم وأموالكم ، ونولي عليكم رجلاً منكم تقيمون الصلوات الخمس وتصومون شهر رمضان وتحجون البيت الحرام وتأخذ الصدقة من أغنيائكم فترد الى فقرائكم ، فإن أبيتم الدخول في ديننا فأقبلوا عهدنا وذمتنا وأدوا الجزية إلينا وقرروا في دياركم آمنين ، فإن أبيتم ما عرضناه عليكم فقد أنذرناكم وأعذرنا إليكم ، فاعلموا أن ما بيننا وبينكم إلا السيف ، فإن قتلنا كنا على بينة من ربنا إنا في الجنة وأنتم في النار) . (١١٨)

فقال ملك صقلية لترجمانه قل له عني : (إنكم قد اغتررتم بأنفسكم بغزوكم إيانا في مثل هذا البحر وظننتم أن صقلية إنما هي كمدائن الروم التي اقتحمتوها من قبل ، وليس الأمر كما تقولون ولا كما ظننتم ، إن صقلية أمتع من ذلك ، فلو أنكم أردتم أن ترجعوا الى بلادكم لم تقدرُوا على ذلك لأنكم لجبتم في هذا البحر حتى وصلتكم إلينا ولسنا نحب أن تعادوا هذه العادة علينا في قتلكم وكثرتنا وانا لنغزوا جميع أهل الأديان في ديارهم فنسبيهم ونذلهم ونأتي جزيرتنا هذه أسارى أذله صاغرين ، وأما ما عرضتموه علينا من اتباع دينكم فهذا ما لا يكون ولسنت أفارق ديني أبداً ، وأما ما سألتموه عن الجزية فقد يجب عليكم أن ترضوه مني بالمساكنة والمسائلة أن لا أغزو في بلادكم) (١١٩) ، ولما انتهى ملك صقلية من كلامه ، قال العربي للترجمان قل له عني : (إني أراك قد بغيت في كلامك ،

والبغي منقصة وشؤم ومصرعة وحنم ونحن نرجو أن يدال عليكم ببغيتكم ، ونحن قوم لا نرى القتل سبة ولا الموت عاراً ، والقتل إلينا أحب إلينا من الخمر إليكم(١٧٠).

وبعد أن فشلت المفاوضات بين الطرفين بدا أهل صقلية القتال حيث تقدم أحد قادتهم في أثناء المفاوضات طالباً المبارزة فتقدم أحد المقاتلة العرب وقتله أثناء المبارزة ثم دارت معركة حامية بين الطرفين استخدم فيها الجيش العربي المجانيق وبقية صنوف الأسلحة الأخرى وذلك لدى حصون صقلية الساحلية ، وبعد أن استمرت المعركة عدة أيام انتهت بانتصار العرب وهزيمة أعدائهم وكان ذلك في سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م . وبعد هذه المعركة تقدم الجيش العربي وحرر عدداً من مدن وقرى الجزيرة ولما بلغت هذه الأنباء قيصر الروم جهز ستمائة سفينة مدداً لملك صقلية ، فلما علم القائد العربي معاوية بذلك قرر الانسحاب الى الشام بعد أن برهن للبيزنطيين أن يد البحرية العربية قادره ان تصل إليهم وتنتصر عليهم في أي مكان وفي أي وقت تختاره ، ولما وصل الأسطول العربي الى الشام كتب أمير الشام معاوية الى الخليفة عثمان عن نتائج الحملة وأرسل إليه خمس الغنائم(١٧١).

❀ فتح جزيرة رود س

أراد أمير الشام معاوية أن يبعد الخطر البيزنطي عن حدود الدولة العربية الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية بآسيا الصغرى فكتب الى الخليفة عثمان (❀) يستأذنه بتحرير جزيرة (رودس) أهم جزر بحر إيجه وأعلاها مكانة في الدولة البيزنطية من حيث نشاطها البحري ، وحركة صناعة السفن فيها ، ولما وصل كتاب

معاوية الى الخليفة استشار كبار الصحابة فأشاروا إليه بتحريرها ، فكتب الخليفة الى معاوية (أني قد أذنت لك فيما سألت فاتق الله ولا تضيع الحزم) (١٧٢) .

أمر معاوية الذي كان قائداً لهذه الحملة ، المقاتلة العرب أن يتوجهوا الى صيدا حيث يرسو الأسطول العربي على أن يسيروا من هناك الى رودس .. ولما علم أهل رودس خرج أسطولهم لملاقاة الأسطول العربي فدارت معركة حامية ولما انسحبوا بأسطولهم الى الجزيرة لحق بهم الأسطول العربي، ودخل الجيش العربي ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار العرب وتحرير الجزيرة (١٧٣) وبعد هذا النصر كتب أمير الشام معاوية بإخباره الى الخليفة عثمان (رضي الله عنه) (فسر عثمان بذلك سروراً شديداً وقسم الخمس في المدينة) كما يقول ابن أعثم (١٧٤) .

وأن العرب لم يستقروا بالجزيرة بعد تحريرها مباشرة فقد ذكر ابن أعثم أنه عندما تولى معاوية الخلافة أمر ببناء مدينة في جزيرة رودس ومسجداً وفتحها بالمقاتلة وأمدهم بالأموال والسلاح وأمرهم بالإقامة بها والدفاع عنها وزراعتها (١٧٥)

❁ البدء بفتح بلاد المغرب العربي (إفريقية)

في الوقت الذي كان فيه الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عازماً على حماية وتأمين حدود الدولة العربية الإسلامية من الاعتداءات الفارسية في المشرق والاعتداءات البيزنطية من الشمال كان عازماً أيضاً على تأمينها في جبهة إفريقية ، حيث أن أمر في سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م أمير مصر عمرو بن العاص أن يوجه قائده عبد الله بن سعد بن أبي سرح على رأس قوة إلى أطراف إفريقية لتأمين حدود الدولة العربية هناك فلما وصل على رأس جيشه الى هناك أمدّه أمير مصر بالمقاتلة فغنم هو وجنده (١٧٦) .

وفي سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م عزل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) أمير مصر عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بدله ، فوجه عبد الله جيشا الى إفريقية لتأمين حدود الدولة العربية هناك (١٧٧) .

ثم كتب أمير مصر عبد الله الى الخليفة عثمان يعلمه أن البيزنطيين كانوا قد استعادوا طرابلس من العرب ويستأذنه بتوجيه جيش عربي الى إفريقية ، فلما ورد كتابه على الخليفة استشار كبار الصحابة ومن لهم معرفة بأحوال إفريقية فأجمعت آراؤهم على ضرورة تحرير إفريقية ، عندئذ جهز الخليفة جيشا كبيرا من أهل الحجاز مددا لجيش أمير مصر عبد الله وكان من بين مقاتليه عدد من أبناء الصحابة منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر الله بن الزبير ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم ، وأسند قيادة الجيش الى الحارث بن الحكم بن العاص على أن يكون تحت إمرة أمير مصر عبد الله عند وصوله هناك (١٧٨). وكان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد هيا كل أسباب النصر لهذا الجيش فقد ذكر ابن أعثم أنه جهزهم ما أمكنهم من الجهاز ، وأعانهم بألف بعير بالآلاتها ، وفتح بيوت السلاح فأعطاهم وقواهم (١٧٩) .

فلما اجتمع الجيش العربي بمصر خرج على رأسه أمير مصر عبد الله قاصدا إفريقية وكان ذلك في سنة ٢٧ هـ / ٦٦٨م ، ولما وصل الجيش العربي الى برقة التحقت به الحامية العربية هناك والتي كانت بقيادة القائد العربي عقبة بن نافع الفهري ، فأصبح عدد الجيش العربي حوالي عشرين ألف مقاتل (١٨٠) .

ثم توجه عبد الله في هذه السنة قاصدا طرابلس وتم تحريرها ، ثم تقدم القائد عبد الله على رأس الجيش العربي نحو (سبيطلة المركز الإداري للحاكم البيزنطي الذي كان تحت حكمه المنطقة الممتدة من طرابلس الى طنجة ، فلما علم رأس جيشه الذي قدرته المصادر بمائة وعشرين ألف مقاتل لملاقاة الجيش العربي ، فلما اقترب

الجيشان بعث إليه القائد العربي عبد الله يدعوهُ إلى الإسلام أو دفع الجزية إلا أن الحاكم البيزنطي كان قد رفض شروط القائد العربي وأصر على القتال ، فدارت معركة ضارية بين الطرفين عند (عقوبة) استمرت عدة أيام لم يستطع أي من الطرفين أن يحرز فيها نصراً حاسماً ولما انقطعت أخبار الجيش العربي عن الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وجه عبد الله بن الزبير بن العوام على رأس قوة مدداً للجيش العربي وليأتيه بأخبارهم ولما وصل جيش عبد الله غير الخطة العسكرية التي كان يقاثل فيها الجيش العربي الأعداء ، ورفع من معنوية المقاتلين العرب ، واستطاع بذلك الجيش العربي أن يحسم الموقف حيث قتل عبد الله بن الزبير الحاكم البيزنطي وهزم جيشه وتم تحرير (سبيطة) (١٨١) .

وبعد هذه المعركة الفاصلة أقام القائد العربي عبد الله بن سعد في سبيطة ووجه من هناك عدت حملات إلى المناطق المجاورة لقفصة ، فتمكنت من تحريرها وفي الوقت نفسه أرسل قوة لاحقت جيش الحاكم البيزنطي المهزوم إلى حصن (الأجم) حيث التجأوا إليه وتحصنوا به، وضربت الحصار عليهم ، ولما رأى هؤلاء بأن لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا إلى القائد عبد الله بن سعد بطلب الصلح فأجابهم إلى ذلك (١٨٢) .

وبعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها الجيش العربي على الجيش البيزنطي في إفريقية عاد القائد العربي عبد الله بن سعد إلى مصر بعد أن ولي عبد الله بن نافع بن عبد القيسي الفهري عاملاً هناك (١٨٣) .

لقد ساعدت الانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون والصلح الذي توصلوا إليه مع رؤساء هذه البلاد إلى تمهيد الطريق لتوحد جميع بلاد المغرب العربي مع دار الإسلام في خلال السنوات القليلة التالية .

الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية

(١) الفتوحات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ)

كان استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب سبباً في حدوث تحول هام في رئاسة الدولة العربية إذ أعلن معاوية بن أبي سفيان الخلافة وتأسيس الدولة الأموية التي تنسب إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، حيث بقيت الخلافة وراثية في ذريته حتى سقوط هذه الدولة ، التي بقيت الصفة العامة لها صفة دينية بحكم أن دستورها الإسلام ، ولم يبق معاوية في الحجاز مثل الخلفاء الراشدين ، بل أقام بالشام واتخذ " دمشق " عاصمة لخلافته .

ولكي يوطد معاوية دعائم خلافته ، جعل للأمصار ولاية أقوىاء ، فولى الكوفة المغيرة بن شعبة ، الذي اشتهر بجرأته في الفتوحات الفارسية والشمسية ، وأقام في البصرة عاملاً من قبيلة ثقيف اسمه زياد سنة ٤٥هـ .

ويبدو أن معاوية كان يعرف قدر زياد ، وأراد أن يتقوى به لاشتهاره بالرأي والدهاء ، فجعله أخاً له من ولد أبي سفيان مع أن زياد لم يكن يعرف له أب ويدعونه زياد ابن أبيه ، حيث قام معاوية فيما بعد بتوليته على العراق ، وولى معاوية مصر وما في غربها عمرو بن العاص ، أما الحجاز فجعل ولايتها لأفراد من بني أمية أمثال مروان بن الحكم (١٨٤) .

❀ استكمال الفتوحات في جبهة الروم

امتدت الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لم يصل بها الى حدود ثابتة ، وعلى هذا كان لا بد من معارك أخرى بين بني أمية وجيرانهم في أكثر الميادين التي انتهى عندها الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين (١٨٥) ولما وطد معاوية دعائم ملكه اتجه بالعرب شطر الفتوحات التي كانت قد توقفت بسبب الفتنة ، فأبقى معاوية على لقب (أمير المؤمنين) الذي كان عمر قد أوجده بمناسبة حركة الفتوح ، ليعبر دون أي لقب آخر عن لقب الخلافة في زمنه ومن ناحية أخرى كان العرب أنفسهم تواقين الى انتهاء الفتنة ليعودوا الى الجهاد الذي كان يعني وقتذاك الدفاع عن الإسلام ، ومحاربة أعدائه (١٨٦) .

شهد عهد معاوية قيام المسلمين بالتوجه نحو فتح بلاد آسية الصغرى الواسعة ، أو ما يعرف للعرب " بالروم " ، وهذه التسمية بالروم تعني جيلاً من الناس ، أو أنها كلمة فارسية أو تركية ، وأن قصد العرب بها الدولة الكبرى الأخرى ، التي كانت تسيطر قبل الإسلام مع العجم ، وقد ذكرها القرآن الكريم ، ومهما يكن فإن الروم كانت هي وراثه الرومان في الشرق بعد أن قضى على دولتهم المتبربرون في أوروبا ، وقد كانت تعرف للعرب أيضاً باسم (بوزنطيا) نسبة الى بوزنطية ، وهي البلاد اليونانية القديمة التي اتخذها الإمبراطور قسطنطين الأكبر ، عاصمة له في سنة ٣٣٠م ، عند تأسيسه لهذه الدولة في الشرق ، ولو أنه غلب على هذه المدينة اسمه : القسطنطينية (١٨٧) .

ولم تكن الروم دولة رومانية إلا اسماً ، ذلك لأن آسيا الصغرى منذ زمن بعيد كانت مجالاً لسكنى أجيال اليونان ، الذين ظهرت لهم مستعمرات عديدة أقدمها يرجع الى عصر هومر ، وقد زادت هجرة اليونان إليها تحت ضغط البرابرة في أوروبا ، بحيث أصبحوا قبل الإسلام يكونون أغلبية سكانها يتكلمون

اليونانية الدارجة وليست اللاتينية ، وهم الذين عرفوا للعرب (بالروم) أو حتى (ببني الأصفر) لكثرة الشقر فيهم ، وكذلك وجد بينهم خليط من الحِيثين والميتانيين والأرمن ، كانت تسكن المنطقة الجبلية الفاصلة لحدود الروم الشرقية تمتد حتى البحر الأسود ، وتعرف لسكان الشام باسم (الجراجمة) أو الجرامفة ، نسبة الى بلد تسمى الجرجومة ، قرب أنطاكية أو حتى باسم الرمدة ، أي العصاة.

إن المسلمين في عصر الخلفاء الأوائل استولوا على أجزاء كثيرة من أملاك الروم في البحر الأبيض وأرجعوه الى بلادهم في آسيا الصغرى ، ولعل الروم لم يستغلوا انشغال المسلمين بفتنة الخليفة عثمان ، بسبب الضربات القاضية التي كانوا قد تلقوها منهم ، وبسبب أن حدود بلادهم الغربية كانت تحت ضغط هجرات العناصر السلاقية من العرب والكروان ، ولكنهم خلال هذه الفتنة استولوا على بعض الأجزاء المجاورة لهم من أرمينية وهو الصقع الكبير الذي كان قد فتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقد سعى المسلمون من جانبهم الى استمالة بعض العناصر المخلصة لهم ، وأرسلوا بعض الأمراء من الأرمن الأسرى في دمشق ليحكموها لهم ، ولا ريب أن الفتنة جعلت أهل أرمينية أنفسهم يستقلون بأجزاء كثيرة منها ، خصوصاً وأن أغلب مناطقها كان في معاهدات أمان مع المسلمين ، وفوق ذلك كان الروم يثيرون ضد المسلمين عناصر الجراجمة الجبلية الساكنة على حدود الشام ، مع أن المسلمين كانوا قد صالحوهم حينما فتحوا الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين على شريطة ألا يطلب منهم الجزية ، فكان نتيجة هذا التحريض أن قام الجراجمة بالسلب والنهب في أراضي شمال الشام (١٨٨) .

ومن المحقق أن معاوية أحس بنوايا الروم ، وإن كان قد اضطر أثناء الفتنة الى عقد هدنة مع الإمبراطور قنسطانز الثاني ، حتى لا ينتهز الروم

الفرصة فيهجمون على الشام التي كان أميراً عليها منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكذلك عقد صلح في أول خلافته يعتبر امتداداً للصلح الأول في سنة ٤٢هـ / ٦٦٢م ، كما صالح الجراجمة ليتفرغ الى المشكلات العاجلة التي نشأت من إعلانه الخلافة ، ولكن ما أن انتهى من مشاغله ، حتى شنَّ حرباً عاتية على الروم في بلادهم ذاتها ، بحيث أنه شغلهم بالدفاع عن أرضهم طول مدة حكمه ، أن المسلمين قد اشتبكوا مع الروم منذ فتح الشام ، ولم تكن من العمق والدوام مثلاً حدث في عهد معاوية ، فقد كان هدفها هذه المرة تحطيم حصون الروم ، والاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينية .

وقد اشتهرت حرب المسلمين مع الروم باسم (حرب الثغور) أي الحدود ، وهي لفظة مفردتها (الثغر) ، تعني كل موضع يكون في أرض العدو في بطن واد أو فرجة جبل ، قرب أرض المسلمين ، فقد كانت حدود الروم تتكون من سلاسل جبلية شاهقة ، منها جبل اللكام الهائل ، الممتد على طول الثغور من البحر الأبيض حتى بحر قزوين ، وتتميز بطرقها الكثيرة التي تعرف (بالدروب) ومفردتها (الدرب) وبمسالك أنهارها مثل: سبحان ، وجيحان ، وقويق والبرادان ، والارند (١٨٩) .

وهذا الأخير سماه العرب العاصي لأنه يخرج من بلاد الإسلام ليدخل في أرض العدو ، وتميز من هذه الثغور جناحان : أحدهما من ناحية الشام عرف : بثغور الشام ، والآخر من ناحية الجزيرة عرف : بثغور الجزيرة ، وهي حصون عديدة في الجبال ، أو مسالحي أي مواضع للمراقبة ، أو حتى مدن حصينة على ملتقى الطرق ، مثل أنطاكية ، وطرشوس ، وبياس ، ومرعش .

ولما كانت منطقة الثغور خالية من الناس إلا من الجراجمة النصاري لان الروم نقلوا أهلها منذ فتح الشام ، حتى أنها سميت بالضواحي لقلة سكانها ، فإن المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عملوا على إنزال القبائل العربية بها ،

فأنزلت قيس وأسد من الحجاز في ثغور الجزيرة بين مضر وربيعة ، ونقلت جماعات من أهل الجزيرة وحمص وبعثك ومن الكوفة والبصرة إلى نواحي إنطاكية التي أسكنها معاوية أيضاً عناصر هندية من السند تعرف (بالزط) كانت قد استقرت على الخليج العربي واعتنقوا الإسلام ولقد سمى المسلمين سكان الثغور (بالمرابطة) لملازمتهم ثغر العدو للجهاد^(١٩٠).

إن المسلمين وضعوا نظاماً لحرب الثغور : فكانت تخرج بانتظام حملات سنوية على بلاد الروم منذ سنة ٤٣هـ / ٦٦٣م في الشتاء والصيف ، عرفت بالشواتي جمع شاتية أو مشتى ، والصوائف جمع صائفة ، حيث أن حملات المشتى غالباً ما كانت تتكرر في السنة الواحدة ، فكانت هذه الحملات يقودها ولاية الشواتي والصوائف ، أمثال عبد الرحمن بن خالد ، ويبدو أن معظم الهجوم كان من ثغر الشام أما ثغر الجزيرة فمظهره الحراسة .

ومن ناحية أخرى كان للروم نظام للدفاع عن حدودهم خصوصاً وأن بلادهم منذ عهد جستينان (٥٢٧ - ٥٦٥م) كانت مقسمة إلى أقسام حربية وهي تقابل المناطق الحربية في الشام ، فبثوا في هذه الأقسام ، وبخاصة المجاورة منها لأراضي المسلمين الجيوش العديدة التي تقدر بالآلاف ، وكانت تقيم عادة في حصون منيعة في الجبال أو على الساحل .

كانت القسطنطينية عاصمة الروم منيعة ، فهي تطل على بحر (الخليج) (ممرمة) ، كما كانت تحيط به من كل الجهات حتى من ناحية البحر ، عدة أسوار منيعة ، أقيم عليها أبراج عديدة ، بناها الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأكبر ، وكان من الممكن غلق الخليج ، ومنع المراكب المعادية من دخوله ، إذا أُلقيت السلسلة بين لسان الأرض المعروف بالقرن الذهبي وبين الساحل الآسيوي^(١٩١) .

ولقد اغتتم المسلمون اضطراب شؤون الروم الداخلية للهجوم على القسطنطينية ، فقد قتل الإمبراطور قنسطانر الثاني في سنة ٤٨هـ / ٦٦٨م ، وثار

صابور أحد حكام المناطق المجاورة لأرمينية ، وأرسل رسولاً الى معاوية بغية التعاون معه .

ومع أن صابور مالبث أن توفي ، وأن ابن الإمبراطور المقتول قسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٨م) بعث مندوباً للصلح ، فإن معاوية صمم على مهاجمة عاصمة الروم فسير جيشاً كبيراً معه بعض أبناء الصحابة ، منهم ابن العباس وابن الزبير ، والصحابي أبو أيوب الأنصاري ، وجعل قيادته الى ابنه يزيد بن معاوية ، فتقدم هذا الجيش في آسيا الصغرى ، وخضعت له كل أهل البلاد سواء من سكان الجبال أو السهول ، وبعد عدة معارك وصل الى القسطنطينية ، وضرب حولها الحصار .

وقد زاد نشاط المسلمين في البحر زمن خلافة معاوية ، فقاموا بترتيب الروابط والحفظة على طول الساحل ، وإعداد المراكب العديدة ، التي كانت تبني من خشب غابات لبنان وأن خطة فتح القسطنطينية كانت تقضي بتعاون الأسطول مع الجيش ، فقد أرسل معاوية ثلاثمائة مركب ثقيلة عليها أسلحة الحصار من المنجنقات ، تحمل الواحدة ألف رجل وخمسمائة مركب خفيفة تحمل الواحدة مائة ، ولقد أخضع هذا الأسطول في طريقة سكان السواحل ، ووصل الى القسطنطينية ، واستمر محاصراً لها سبع سنوات (١٩٢) .

كذلك فتح المسلمون الجزر التي كان يسيطر عليها الروم في البحر الأبيض ، مما هيا لمراكبهم السيطرة على أجزاء كثيرة من سواحل آسيا الصغرى الى القسطنطينية ، وقد فتح القائد جناده بن أبي أمية جزيرة رودس في سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م ، التي تقع قرب ساحل آسيا الصغرى ، وكان الروم يغيرون منها على مراكب العرب ويأخذونها ، ويهاجمون سواحلهم كما حدث بنزولهم على البرلس بليدة قرب البحر في مصر - في نفس هذه السنة ، وحينما فتحت رودس أنزل معاوية فيها عدداً من المسلمين ، وعين لهم العطاء ، وأصبحت

قاعدة هامة للمسلمين مثل قبرص ، بحيث أخافت العدو وفتح جنادة أيضا جزيرتين أخريين في سنة ٥٥٠هـ/٦٧٤م ، إحداهما أرودا قرب القسطنطينية - التي أقام فيها حامية والأخرى إقريطش (كريت)، وهي جزيرة كبيرة مقابلة للعربية .

وقد أدى اختراع المهندس اليوناني كالينوكوس، بما يعرف بالنار الإفريقية أو اليونانية ، وهي عبارة عن مادة أساسها النفط ، تسير على الماء دون أن تنطفئ ، بل تزيد اشتعالا ، حتى تصل الى المراكب فتحرقها ، ولقد استفاد الروم من هذا الاختراع في مقاومة المسلمين لحصار القسطنطينية مما أثر سلبا على حصار المسلمين للقسطنطينية الأول (١٩٣) .

❀ استكمال فتح إفريقية

وفي عهد معاوية توجه المسلمون مرة أخرى الى فتح إفريقية ، وكان يسكن هذه البلاد جبل من الناس عرف للمسلمين (بالبربر) وبهم سميت البلاد وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار الرومية ما لا يحد من قوة وعدد وملوك ، وأمرأؤها لا يرامون بذل ، ولا ينالهم الروم في ضواحيهم تلك بمسخطة الإساءة .

ويصفهم ابن خلدون بأنهم كانوا في دور البداوة عند الفتح العربي وكانوا لا تجمعهم أمة بل يعيشون في حياة قبلية ، وكانت الوثنية ديانتهم كما كانوا يؤمنون بالسحر والكهانة وقد دخلت إليهم اليهودية والنصرانية مع الغزاة عن طريق مصر لكن هاتين الديانتين كانتا قليلتي الانتشار (١٩٤) .

وكان وقوع بلاد المغرب على ساحل البحر الأبيض مما جعلها مطمع الأمم المسيطرة فيه ، فتوالى على احتلالها الفينيقيون ثم الرومان ، وفي بداية القرن الخامس الميلادي جاءت غزوات طارئة من عناصر الشمال المعروفة

بالوندال ، الذين استولوا عليها من الرومان ، كذلك كان القوط ، ويسميهـم المسلمون بالفرنجة ، وقد قبضوا على دولة الرومان في إيطاليا ونزلوا في إسبانيا ، واحتلوا بعض أجزاء من شمال إفريقية ، وبخاصة سبته ومرساها الحصين ، ولما ورثت بيزنطة إمبراطورية الرومان في الشرق ، نجد أن إمبراطورية جستينا (٥٢٧-٥٦٥م) أرسل قائده بلزار يوس في سنة ٥٣٣ م ، الذي استولى على الجزء الأكبر من بلاد البربر فامتدت سيطرة بيزنطة حتى برقة ، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على منطقة سبته ، التي بقيت تبعث بطاعتها إلى القوط من وراء البحر في إسبانيا (١٩٥) .

وكان البيزنطيون يحكمون البربر عن طريق حاميات تعيش في مدن محصنة أو قصور على الساحل ، أهمها قرطاجنة المدينة القديمة الحصينة على ساحل البحر ، التي أصبحت مستقر سلطانهم ومقر الحاكم ، واستقل بحكم المغرب (جرجير) الذي كان يعرف للمسلمين بالملك الأكبر ، فكان جرجير يحكم منطقة واسعة في بلاد المغرب ، امتدت من العصر الأول باسم (إفريقية) ، ولكن بسبب فتوح المسلمين في بلاد البحر الأبيض في عهدي الخليفة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، ويظهر أنه وجد اتفاق بينه وبين بيزنطة فكان يحمل بعض المال إليها ، أما بقية بلاد المغرب فلم تخضع في أي وقت للبيزنطيين أو لنفوذهم مثل : قبائل البربر الساكنة في الجبال بأقصى المغرب ، وفي الصحارى الواسعة وراء السواحل ، وفي بلاد السويس التي تجاوز المحيط ، فكلن البربر يتمتعون في هذه الأماكن بحريتهم .

وبعد أن استولى معاوية على مصر ، كان ولاته يجرون منها الحملات على بلاد البربر ، ولم يكن هناك نظام للشغور كما في أسيا الصغرى ، وإنما كانت ترسل الحملات من القسطنطينية ، فلا تلبث أن تعود إليها بعد انتهائها ، كذلك كان عقبة بن نافع ، يقيم بصفة دائمة في نواحي برقة في الشمال وزويله في

الجنوب ، منذ فتحهما على يد عمرو ، وكان يعمل على أن يجذب البربر لدخول الإسلام (١١١) .

وقد تولى القائد عقبة بن نافع قيادة جيش المسلمين بمهارة فائقة فلأنزل بأعدائه خسائر فادحة ، ففتحوا ناحية (طرابلس) فقاتلهم عقبة حتى هزمهم .

وفي سنة ٤٢ هـ افتتح عقبة (غدامس) ، وفي سنة ٤٣ هـ افتتح كورا من كور السودان ، وافتتح (ودان) ثانية وهي من (برقة) وذلك سنة ٤٦ هـ ، فقد خرج عقبة في هذه السنة حتى نزل (مغداش) من (سرت) ، وكانت (ودان) نقضت عهدها الذي عاهدت عليه يسر بن أبي أرطاه سنة ٢٣ هـ ، فترك عقبة جيشه بـ (مغداش) في أرض سرت واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي وسار إليها في أربعمئة فارس ، فلما وصلها أبى أهلها الا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلدا بلدا (١١٧) .

ولما استتب الأمر لعقبة في بلاد (ودان) ، سأل عقبة أهلها : (هل من ورائكم من أحد ؟) فقيل له (جرمة) فسار إليها ثمانى ليال من (ودان) ، فلما دنسا منها دعا أهلها الى الإسلام ، فأجابوا ، ومضى عقبة من فوره لإنجاز فتح بلاد (فزان) حتى أتى على آخرها ، ونشر الإسلام في ربوعها ، وهذه أول مرة دخل فيها المسلمون بلاد فزان فاتحين (١١٨) .

وسأل عقبة أهل (فزان) هل من ورائكم أحد ؟ .

فقالوا أهل (خاور) ، وهو قصر عظيم على رأس المغزة في وعورة على ظهر جبل ، وهو قصبة (كاوار) ، فسار إليه خمس عشرة ليلة ، فلما وصل إليه دعا أهلها الى الإسلام فأبوا وطلب منهم الجزية فامتنعوا بحصنهم ، فحاربهم وأقام على حصارهم شهرا دون جدوى ، وتقدم بجيشه جنوبا لفتح بقية بلاد (كاوار) ففتحها حتى أتى على آخرها .

ورجع عقبة الى (خاور) من غير طريقه التي كان أقبل منها، فقد كانت عودة عقبة المفاجئة بجيشه الى (خاور) في وقت لم يتوقعه أهلها وانصرف عقبة بعد فتح (خاور) حتى نزل بموضع (زويله) .

لقد أقدم عقبة على التغلغل في الصحراء بقوات قليلة خفيفة ، لأن الحركة في الصحراء صعبة جداً بقوات كبيرة لقلة المياه فيها ، ولأنه قدر أنه لن يصادف في تغلغله قوات ضاربة كبيرة العدد، لأن قوات الروم النظامية لن تستطيع القتال في مثل هذا الميدان ، وإنما ميدانها المناطق الساحلية التي تتوفر فيها المياه والقضايا الإدارية الأخرى ، فليس أمام عقبة غير قوات سكان الصحراء إلا الأصليين ، وهؤلاء قليلون يمكن التغلب عليهم بقوات خفيفة قليلة كما فعل عقبة (١٩٩) .

ذلك ما حدا به على الأقدام لفتح تلك المناطق الصحراوية بقوات خفيفة منتخبة، وفعلاً أنجز واجبه وحقق هدفه في الفتح الصحراوي بسهولة ويسر ، وسار عقبة بجيشه الى المغرب وجانب الطريق الأعظم ، وأخذ الى أرض (هواره) فافتتح كل قصر بها ومضى الى (صفر) فافتتح قلاعها وقصورها ثم بعث خيلاً الى (غدامس) فاستعاد فتحها ثانية ، وتوجه الى (ققصه) فافتتحها ثم افتتح (قسطيلية) ثم انصرف الى (القيروان) (٢٠٠) .

لقد طهر عقبة بهذا الفتح كل المقاومات المعادية بين (برقة) و(القيروان) فأصبحت هذه المنطقة خالصة للمسلمين حرية أن تكون قاعدة رصينة تنطلق منها القوات الإسلامية لفتح إفريقيا حتى المحيط الأطلسي ..

وصل عقبة الى (القيروان) الذي كان في مدينة (قمونية) والذي كان معاوية بن حديج قد بناه من قبل ، فقد كان مكان (القيروان) وهو ناحية في الوسط الشرقي لإفريقية ليست ضاربة في الشمال فتكون جبليّة ولا ضاربة في الجنوب فتكون رملية ، لقد كان المسلمون منذ أيام عبد الله بن سعد بن أبي سرح

يوثرون (قمونية) لانها بسيط من الأرض كثير المراعي ، خصب التربة ، كثيرة المياه ، لكن مكان (قمونية) ليس صالحاً من الناحية العسكرية ، ليكون قاعدة أمنية لقوات المسلمين لأن بعض غير المسلمين يسكنون (قمونية) مع المسلمين ، وما اضطر ذلك على المسلمين وهم في جهاد دائب لفتح أفريقية ونشر الإسلام في ربوعها (٢٠١) .

ومن معاني القيروان : معظم العسكر ، والقافلة من الجماعة ، وموضع اجتماع الناس والجيش ، ومحط أثقال الجيش وقيل : هي الجيش نفسه ، وليس هناك ما يؤيد القول : بأن القيروان كان علماً على مدينة قديمة بإفريقية ، احتطت القيروان مكانها ، فلم يبق الا القول : بأن عقبة وأصحابه أرادوا به محطاً لقوافلهم ومرأحاً لعسكرهم .

وقد عهد معاوية الى عقبة بن نافع القيام بإنشاء مدينة القيروان كقاعدة متقدمة للمسلمين في إفريقية ، وأنجز بناءها سنة ٥٥ هـ ، وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم فأصبحت المدينة عسكر للمسلمين وأهلهم ، فانتشر الإسلام فيها ، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ، وصارت القيروان مدينة كبيرة وعاصمة الإسلام في المغرب ، وأصبحت القيروان القاعدة الأمنية للمسلمين في شمال إفريقية .

وفي سنة ٥٥ هـ ، استعمل معاوية بن أبي سفيان مسلمة ابن مخلد الأنصاري الخزرجي على مصر وأفريقية وعزل عقبة بن نافع عن إفريقية ، فاستعمل مسلمة على إفريقية ، أبو المهاجر دينار ، وقد عقد مسلمة بن مخلد لأبي المهاجر على الجيش الذي خرج معه الى (إفريقية) وبعد إنجاز أبي المهاجر تدابير الغدارية وإعداده خطط الفتح ، سار بجيشه الى (قرطاجنه) عاصمة الروم في شمال (إفريقية) ، لأن الروم لا زالوا قوة في ساحل المغرب من (بنزرت) الى (طنجة) ، وأن هذا الساحل الخصب هو مرتعهم ومواطنهم ، فلا بد من فتح تلك

المناطق ليتخلص المسلمون نهائياً من مستعمري (إفريقية) القدامى وليحولوا بينهم وبين إشاعة التآمر والدس على الفتح الإسلامي (٢٠٢) .

وسار أبو المهاجر الى (قرطاجنة)، فاستغلقت وتحصنت بالأسوار العالية، فشدد أبو المهاجر عليهم الحصار، ولما علموا بأن المسلمين لن يبرحوا حتى يحققوا هدفهم بفتح جزيرة (شريك) التي كان الروم يتخذونها دوماً قيادة لحشد جيوشهم فيها قبل مهاجمة المسلمين ، وذلك لكي يتخذها أبو المهاجر قاعدة أمامية لجنوده يركز في عملياته العسكرية عليها ، وبهذا أثبت أبو المهاجر عملياً بأنه ينظر بعيداً من الناحية العسكرية ، فيفضل المواقع الإستراتيجية التي تفيده في الفتح على المال الذي كان بإمكانه أن يفرضه على أهل (قرطاجنة) مقابل إقراره الصلح بين الطرفين (٢٠٣) .

وكان هدف أبي المهاجر فتح جزيرة (شريك) أن يراقب الروم ويصدّهم إذا هموا بالمسير الى المسلمين ، لأن بإمكان قوة الروم المرابطة في تلك المنطقة أن تهدد بسهولة ويسر خطوط مواصلات أبي المهاجر في حالة تغلغل قواته غرباً وجنوباً وسار أبو المهاجر مع الساحل باتجاه الغرب لا يعترض طريقه أحد حتى وصل (ميله) في الجنوب الشرقي لـ (بجاية) ويبعد عنها بحوالي خمسين ميلاً ، فوجدها ، مستعدة للقتال ، وكان فيها طائفة من البربر والروم قد تحصنوا فيها ، فنازلها أبو المهاجر وفتحها واستقر فيها ، كانت (ميله) تتوسط المغربين الأدنى والأوسط ، حتى أحسن مكان يراقب أبو المهاجر منه أمور البربر والروم ، فجعل أبو المهاجر (ميله) مقرة وأقام فيها سنتين ، وكان خلال هذه المدة يتصل بالبربر وينشر فيهم الدين، ويربهم حقيقة المسلمين (٢٠٤) .

وكانت الزعامه في المغربين الأوسط والأقصى لقبيلة (أوربه) لكثرة عددها وغنائمها ومناعة مواقعها ، وكان رئيسها كسيلة ابن لمزم الأوروبي ، وكان البربر يجلونه وكان نصرانياً متمسكاً بدينه، ورأى كسيلة أبا المهاجر في

(ميله) فعلم أنه لا بد أن يسير لإقناع المغرب الأوسط والأقصى ، فذهب في المغربين الأوسط والأقصى يدعو البربر لمكافحة العرب والاستعداد لحربهم ، واستطاع كسيلة أن يجمع جيشا من البربر والروم ، فمضى أبو المهاجر بجمعه ، فسار إليه ، وكان كسيلة قد عسكر ب(تلمسان) ، فقصده أبو المهاجر والتقى الجيشان هناك ، فدارت معركة حامية بينهما ، فانتصر المسلمون وأسر كسيلة ، فحمل الى أبي المهاجر فأحسن إليه أبو المهاجر ، وتمكن أبو المهاجر ، وانتهى الى العيون المعروفة بعيون أبي المهاجر ، فهو أول قائد للمسلمين وطئت خيلهم المغرب الأوسط فصالح أبو المهاجر بربر (إفريقية) وفيهم كسيلة الأوزي ، ثم رجع الى القيروان وأقام بها (٢٠٥) .

✽ الغارات العربية على صقلية

كانت الغارات العربية على صقلية مرتبطة بنمو البحرية الإسلامية وبالصراع بين العرب والروم في شرق البحر المتوسط والبحرية الإسلامية بدأت في الظهور منذ أن انتصر العرب على البيزنطيين في معركة ذات الصواري الفاصلة سنة ٣١هـ/٦٥١م التي دعمت السيادة العربية على السواحل الشرقية للبحر المتوسط (٢٠٦) .

وأول من غزا صقلية من العرب معاوية بن خديج مرسلا من قبل معاوية ابن أبي سفيان أيام إمارته على الشام في خلافة عثمان بن عفان ، هذه الغزوة الأولى اختلف فيها المؤرخون العرب القدامى منهم والمحدثون ، في تاريخ وقوعها والقائد الذي قادها والجهة التي أُلِّعت منها سفن المسلمين ، وخلط بعضهم بينهما وبين الغزوة الأخرى لصقلية التي خرجت من إفريقية بقيادة عبد الله بن قيس مبعوثا من قبل والي إفريقية معاوية بن خديج في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٢٠٧) .

اختلفت أسباب الغارات العربية البحرية على صقلية في العصر الأموي، وكان الحماس الديني الذي لم تفتّر حدته إذ ذاك أثره في ذلك، ثم أن بعض الغارات التي كان غرضها الفتح المنظم لم تتجح لظروف خارجة عن الإرادة، كغزو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وولده عبد الرحمن، وغالبية الغارات التي انطلقت الى صقلية كان سببها موقع جزيرة صقلية الإستراتيجي واتخاذ البيزنطيين إياها مركز الهجمات أساطيلهم على الشواطئ العربية، هذه الغارات التي أخرت استكمال فتح المغرب، وأنها كانت غارات سريعة، تغزو وترجع الى المكان الذي أغارت منه (٢٠٨).

توقفت الفتوحات العربية الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان، ولم تحدث غارة على صقلية حتى سنة ٤٦هـ عندما قاد عبد الله بن قيس بن مخلد الغزالي غارة بحرية الى الجزيرة مبعوثاً من قبل والي إفريقية معاوية بن خديج في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وكانت هذه الغزوة قد أفلحت من إفريقية ورجعت إليها (٢٠٩).

ومن العوامل التي حدثت بالعرب الى إرسال هذه الغزوة أنهم أدركوا أهمية صقلية، وعرفوا أنها قاعدة للنفوذ البيزنطي، وأن وجودها تهديد للنفوذ العربي في إفريقية، وأن غزوها حماية لفتوحهم (٢١٠).

ومن هذا نرى أن معاوية لم يكتف بإرسال السرايا من مصر لإغارة في إفريقية ولكنه أقام فيها قاعدة متقدمة مما مهد الى فتح المغرب كله في عهد خلفه.

(٢) الفتوحات في عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)

كان معاوية يمهد لتوريث ابنه الخلافة من بعده وبذلك استحدث تقاليد جديدة ، فقد اختار المسلمون أبا بكر بعد موت الرسول (ﷺ) وهو من غير أسرة الرسول (ﷺ) ليكون خليفة للمسلمين من بعده وأن وضعوا قيداً أن تكون الخلافة في قريش ، ثم كان لظروف الفتوح الأولى أن مرت مسألة الخلافة بدون ضجيج ، فنولها عمر بن الخطاب بعهد من أبي بكر ، وعند قتل عمر بن الخطاب كره أن يستخلف ابنه عبد الله ، وعين أهل الشورى وعددهم ستة ، ليختاروا للمسلمين واحداً منهم ، فاختاروا عثمان ، فلما قتل عثمان ، قبل علي الخلافة من عرب الأمصار ، وكبار أهل المدينة لما عرضوها عليه وعلى العكس كان المبدأ الوراثي في الحكم معروفاً عند البيزنطيين والفرس ، فكان ملوكهم يعينون أولياء عهودهم من بين أبنائهم (٢١١) .

ويبدو أن معاوية قد قصد من وراء توريث يزيد الخلافة القضاء على افتراق كلمة الأمة الإسلامية ووقوع الفتنة مثلما حدث بعد عثمان ، ولعله أراد أيضاً أن يوجد حلاً للمسألة التي تركها الرسول (ﷺ) دون حل وهي إيجاد سلطة دائمة للإسلام (٢١٢) .

وفي أوائل عهد يزيد أعيدت القيادة لعقبة بن نافع وظل أبو المهاجر تابعاً له ، وقد استطاع القائدان العظيمان أن يسيرا في فتوحاتهما حتى وصلا الى المحيط الأطلسي ويروي أن عقبة صعد هناك وهتف : يارب ، لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك ، ولو كنت أعلم بعده أرضاً وناساً لخضت به إليهم (٢١٣) . على أن هذه الفتوح لم تكن نهاية المطاف ، فقد كره البربر عودة عقبة للقيادة ، وكان كسيلة يضغن على عقبة ، وكان عقبة يستصغر شأن كسيلة بعدما أحرز من انتصارات ، وحدث أن عقبة كان عائداً من إحدى غزواته المظفرة ، فلما وصل الى بلده (طينة) حلف ضده الى القيروان وسار في ثلاثمائة من رفاقه

يريده بلدة اسمها (نهوذة) وعرف الفرنجة بذلك فراسلوا كسيلة به ، وأمدوا البربر بالسلاح والأموال ففاجأ هؤلاء عقبة وأصحابه ، ودارت معركة غير متكافئة من ناحية العدد والاستعداد ، وقد إستشهد فيها عقبة بن نافع وأبو المهاجر وأكثر أصحابها ، وأسر من بقى ، وارند كسيلة عن الإسلام وتبعه أغلب البربر ، ودفن عقبة في مكان لا يزال يحمل اسمه (سيدي عقبة) وبنى على خريمة مسجد هو أقدم أثر لفن العمارة الإسلامية في إفريقيا^(٢١٤). وكان زهير بن قيس خليفة عقبة بن نافع في القيروان ولما استشهد عقبة بن نافع سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م قصد (كسيلة بن لمزم) القيروان في جمع كثير من الروم والبربر فعزم زهير على القتال فخالفه حنش الصنعاني وعاد الى مصر فتبعه أكثر الناس فاضطر زهير الى العودة معهم ، فسار الى برقة وأقام بها^(٢١٥).

وقد زحف كسيلة الى القيروان سنة ٦٤هـ ، وانتزعها من يد المسلمين ، إذ لم يكن بمقدور العرب المسلمين وهو قليلون مقاومة كسيلة بعد ان اجتمع عليه الروم والبربر ، بعد أن ارتفعت معنوياتهم نتيجة لانتصارهم على عقبة بن نافع في (نهوذة) واستشهاده واستشهاد زهاء ثلاثمائة رجل من أصحابه معه، خاصة وأن الرجال الذين كانوا مع زهير في القيروان ، لم يكونوا من المحاربين الممتازين ، إذ ليس هناك قائد يمكن أن يستغني عن خمسة آلاف أو ستة آلاف ويبعثهم في الخلف وهم من محاربي الدرجة الأولى ، بل أن القادة يتركون في الخلف وراءهم محاربي من الدرجة الثانية من كبار السن أو من غير الشجعان .. الخ ، ومثل هذا الجيش لا يستطيع صد جيش كسيلة يتمتع بمعنويات عالية فائقة ، لذلك انسحب زهير من القيروان الى (برقه)، وكان قراره هذا صحيحا من الناحية العسكرية ، إلا أن اشتباكه مع العدو وهو لا يملك القوة الكافية لإحراز النصر ، يؤدي الى كارثة عسكرية تحل بجيشه دون مبرر ولا جدوى^(٢١٦) .

(٣) الفتوحات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٥٦-٨٦هـ)

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦هـ ، وبعد أن تغلب على أعدائه قضى على الفتنة عاد الى حركة الفتوح ، التي استمرت بعده وامتدت امتداداً هائلاً لم يكن يفكر فيه الخلفاء الأوائل ، ولم تستطع الدولة العباسية التي جاءت بعد الأمويين أن تحتفظ بكل ما فتح في عهدهم (٢١٧) .

✻ عودة الفتوحات على جبهة الروم

لقد حاول الروم الاستفادة من وقوع الفتنة الثانية ، كما فعلوا في الفتنة الأولى ، ففي غضونهما هاجموا حصون الثغور وبخاصة ملطية، التي كان معاوية استولى عليها، وجعلها طريق الطوائف العربية فهدموها ، وأنزلوا بها عساكرهم، كما أنهم قاموا ببعض الهجمات على مدن ساحل الشام بقصد تخريبها مثل عسقلان وقيسارية وصور وعكا ، ولعلمهم كانوا ينوون الهجوم على الشام ، لولا أنهم شغلوا بمجيء البلغار وهم الصقالية الذين بدعوا يوطدون أقدامهم حول الدانوب منذ سنة ٦٠هـ/٦٧٩م ويشاركون الروم في منطقة البلقان وكانوا كفاراً وأسلم بعضهم (٢١٨) .

كذلك كان الروم يثيرون ضد المسلمين عناصر الجراجمة الجبلية الساكنة على حدود سوريا، كما فعلوا في الفتنة الأولى ، مع أن معاوية كان قد صالحهم، ولكن بتشجيع الروم انتشروا الى جبال لبنان في أواخر عهده ، فكانوا دائمي الفتنة بتحريض الروم (٢١٩) .

وثم أمر آخر هو ان الروم انتهزوا هذه الفتنة وعملوا على ضم أرمينية إليهم وهي التي كان المسلمون قد استرجعوها بعد الفتنة الأولى بمساعدة عناصر موالية لهم فيها ، ويقول البلاذري أن أجزاء من أرمينية التي كانت تخضع للمسلمين قد استقلت نتيجة للفتنة أيام ابن الزبير ، وقد أرسل الروم إليها جيشاً

ودخلها ، فلم نعد نسمع عن ولاة عليها من قبل المسلمين منذ معاوية ، كذلك كانت عناصر الأكراد الرعوية بجوار الجزيرة قد اشتد أمرها بالفتنة مما جعل الموقف يتحرج بالنسبة للمسلمين (٢٢٠) .

وقد كان الخلفاء الأمويون يحسون بنوايا الروم وتهديدهم ، إلا أنهم في أثناء الفتنة لم يكن يستطيعون شيئا في أواخر خلافته وقد شعر بما سيكون عليه موقف المسلمين من تعيينه ليزيد ، فقد اشترى السلام من إمبراطور الروم قسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م) في سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م فعمل يزيد على تنظيم الدفاع عن ثغور الشام الشمالية ، وجعل لها جندا مستقلا عن بقية أجناد سوريا ، عرف بجند قنسرين (٢٢١) .

كذلك بعث عبد الملك في أول خلافته بالهدايا الى ملك الروم جستنيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥م) ، الذي نزل المصيصة في سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م وهي ثغور بين بلاد الروم والشام ، يقصد دخول الشام ، فشغله وهادنه ، بحيث امتنع عن غزو الشام ، وصالح كذلك الجراجمة كما فعل معاوية من قبل ، وفي سنة ٨٠هـ / ٦٨٩م ، جدد عبد الملك الهدنة مع الإمبراطور جستنيان الثاني ، لكن هذه الهدنة لم تدم طويلا ، حيث أن عبد الملك نقض الهدنة وعاد الى حرب الروم فقد استأذن محمد بن مروان أخوه عبد الملك ، والذي كان قائد حملته على العراق في غزو الروم ، فأذن له وولاه على الجزيرة وأرمينية ، وبذلك جعل عبد الملك للجزيرة قيادة مستقلة ، مع أنها كانت حتى أيام المروانيين جندا واحدا مع قنسرين فمضى محمد بن مروان من ناحية أرمينية سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م ودخلها بمساعدة عناصر فيها موالية للمسلمين ، فقدم زعماء الأرمن خضوعهم ، كذلك تمكن المسلمون بقيادة عثمان بن الوليد من هزيمة جيش كبير للروم عدده ستون ألفا ، وأرسل لأرمينية ، ومع ذلك بقيت أرمينية خاضعة للروم طوال حكم عبد الملك ، خصوصا وأن المسلمين كانوا قد شغلوا بحرب الخوارج ، بحيث أن

الإمبراطور ليون (٦٨٥-٦٩٨م) تمكن من استمالة سمباد ، أحد زعماء الأرمن ، ومن ناحية أخرى كان لاضطراب أمور الروم بتنازعهم على العرش أثره في تمكن المسلمين من بسط حمايتهم على بعض أرمينية (٢٢٢) .

وفي نفس الوقت عادت حملات السواقي والطوائف السنوية من ثغر الشام ، بعد أن كانت قد توقفت منذ وفاة معاوية واشتداد الفتن ، وكان عبد الملك يرسل مع هذه الحملات أبناءه وأفراد أسرته ، كما كان يفعل معاوية من قبل ، وكان هدف هذه الحملات هو فتح حصون جديدة، ولعل من أهم الحصون التي فتحها المسلمون في عهد عبد الملك هو حصن المصيصة بقيادة ابنه عبد الله ، وهو حصن على شاطئ جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم ، ولم يكن المسلمون قد سكنوه من قبل ، فأُنزل فيه عساكره وجعله منطقة الحدود بدل أنطاكية ، وكان عبد الملك ينفق مبالغ طائلة على صيانة حصون الثغور ، فبنى حول المصيصة الحوايط الضخمة والأسوار المزدوجة والخنادق والجامع ، كذلك أوجد عبد الملك المسالح، وهي مواضع المراقبة ، لحفظ أعقاب الطوائف خوفاً من الجراجمة، فسمي من بقي فيها من العساكر (بالرودايف) (٢٢٣) .

هذا النشاط الحربي الإسلامي لم يكن هدفه كما يبدو التمهيد لفتح القسطنطينية ، كما حدث في زمن معاوية ، وإنما كان لإضعاف الروم وتخفيف قبضتهم في أرمينية ، خصوصاً وأن الدولة العربية لم تكن تستطيع في عهد عبد الملك أن تفعل أكثر من ذلك ، وقد عانت كثيراً من جراء الفتنة ، وإن كان خلفاؤه من بعده سيقومون بنشاط أكبر ضد الروم ، ويعودون إلى حصار القسطنطينية (٢٢٤) .

❁ استكمال فتح إفريقية

ولما استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة بعد قضائه على الفتن الداخلية كان زهيراً مرابطاً في (برقة) منذ استشهاد عقبة بن نافع فذكر عند عبد الملك من بالقيروان من المسلمين وأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش الى إفريقية لاستفادهم من يد (كسيلة) وأن يعز الإسلام بها كما كان في أيام عقبة بن نافع فقال لهم عبد الملك (من للأمر مثل عقبة ؟) فاتفق رأيهم ورأي المسلمين على زهير ، وكان من أشرف المجاهدين ، فوجه إليه عبد الملك ، وأمره بالخروج فمن معه من المسلمين لفتح إفريقية ، فسر ذلك زهيراً وسارع الى الجهاد (٢٢٥) .

ولكن زهيراً كتب الى عبد الملك يعلمه بكثرة الروم والبربر ، وبقله من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبد الملك الى إشراف المسلمين ليحشدوا إليه المسلمين من الشام ، فسارع المسلمون الى الجهاد فأمرهم أن يلحقوا بزهير ، فلما وصلوا إليه خرج بهم الى (إفريقية) ، فلما دنا من (القيروان) نزل بقريفة يقال لها (قلشانه) وذلك في سنة ٦٩ هـ ، فبلغ ذلك كسيلة ، وكان معه جيش كثير من الروم والبربر ، فدعا كبارهم وشاورهم وقال لهم : أرى أن ننزل بـ(قمس) لنلا يركبنا من القيروان فنهلك ، ولأن بالقيروان جيش كثير من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نخدر بهم ، ونخاف أن قاتلنا زهيراً أن يثبت هؤلاء وراعنا ، فإذا ظفروا بنا تعلقنا بالجال ونجونا ، فإن ظفروا بهم تبعناهم الى (طرابلس) وقطعنا أثرهم من إفريقية ، فأجابوه الى ذلك ورحل الى (بمس) فبلغ ذلك زهيراً ، فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح وإستراح (٢٢٦) .

وفي اليوم الرابع سار زهير في آلاف من المسلمين وجمع له كسيلة قبيلة القبرانس وسائر البربر ولقيه في(بمس) من نواحي القيروان ، فالتحم الفريقان حتى انهزم كسيلة وقتل ومضى المسلمون بمطاردة الروم والبربر ، فلحقوا كثيراً منهم وقتلوه ، وجدوا في طلبهم الى وادي(ملوية) ووادي(طنجة) بالمغرب ، وفتح

(شَقْبَنَارِيَّة) وقلاعاً أخرى، وفتح مدينة (تونس) وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم ، وقتل رجال البربر والروم وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم ، فلجأوا الى الحصون والقلاع ، واضمحل شأن الروم فلم يعد لهم شأن يذكر .
وخاف البربر من زهير والمسلمين خوفاً شديداً ، وكسرت شوكة (أوربه) من بينهم ، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة (دليلي) وكانت فيما بين (فاس) و (ومكناسه) بجانب جبل (زرهون) ولم يكن لهم بعد هذه الواقعة ذكر (٢٢٧) .

لقد كانت معركة (دعمس) معركة حاسمة فقد قضى زهير على مقاومة البرانس ، فكان هذا القضاء عظيم الأثر في مستقبل الفتوح ، وأن البرانس من البربر حملوا لواء المقاومة يمدهم الروم بالعون ، فبانت ضربة زهير قاضية على رأس المقاومة وخاتمة لآمال الروم في الاستعانة بأهل البلاد على المسلمين وقد ترك زهير القيروان آمنة ، لخلو البلاد من عدو ذي شوكة ، ورحل مع عدد من المسلمين الى مصر ، فبلغ الروم خروجه من (إفريقية) الى برقة فأمكنهم ما يريدون فخرجوا إليها في مراكب كثيرة من القسطنطينية وجزيرة صقلية ، فأغاروا على برقة ، ووافق ذلك قدوم جيش زهير ، فأمر الجيش بالمسير الى الساحل من أجل إنقاذ المسلمين فالتحم القتال ، واستشهد زهير بن قيس وأشواف من كانوا معه من المسلمين ، وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية (٢٢٨) .

ومع سوء أحوال الخلافة الأموية الداخلية ، أرسل عبد الملك قائد آخر كفاء اسمه حسان بن النعمان الغساني في جيش عدده أربعون ألفاً الى إفريقية للانتقام من الروم ، فسار هذا الجيش الى قرطاجنة ، وكان يومئذ بها جموع من الروم ، ولم يكن المسلمون قط حاربوهم ، بل كانوا يحاصرونها ويفرضون على أهلها مالا أو بلادا مجاورة لجزيرة شريك ، ويتركونها الى أهداف أخرى فلما وصل حسان الى قرطاجنة رأى بها من الروم والبربر جيش كبير ، فقاتلهم

وحاصرهم ، فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب ، فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الأندلس ، ففتحتها حسان عنوة، كذلك سار حسان على بقية الروم وهزمهم في معاقلهم المتفرقة على الساحل ، حتى طردهم من كل إفريقية وعاد بعد ذلك الى القيروان لأن الجراح كانت قد كثرت في أصحابه (٢٢٩) .

وكان هذا مشجعا لحسان على أن يعود الى حرب بربر جبل أوراس الأشداء ، وكان على رأسهم بعد كسيلة امرأة قوية من قبيلة جراوة البترية ، عرفت بالكهانة لانها كانت تخبرهم بشيء من الغيب ، وكانت تلقب (بملكة البربر) ويذكر ابن الأثير : إن الكاهنة هي التي خرجت لقتال حسان غضبا لقتل كسيلة ، فلما زحف حسان إليها غررت به ، واستطاعت ان تهزمه في وادي تبني في أقصى إفريقية ، وبقيت الكاهنة تحكم المغرب كله بما فيه إفريقية ، وذلك بمساعدة اولادها (٢٣٠) .

وقد ظل حسان في برقة ، الى أن انتهت فتنة ابن الزبير ، وأرسل الخليفة إليه المادة والقوة ليرحل لمحاربة الروم والبربر، وفي تلك الأثناء كان الروم الذين طردوا من حصن قرطاجنة قد عادوا إليها ، لأن سقوطها أحدث أثرا في بلاد الروم ، فما أن وافى عهد الإمبراطور ليون ، الذي كان يحارب المسلمين في أرمينية ، حتى أرسل إليها أسطولا استولى عليها في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م ، واشترك في هذه الحملة الفرنجة من القوط ، ويبدو أن حسانا حاصرها هذه المرة من البر والبحر ، غير أن عبد الملك أوعز إليه باتخاذ دار صناعة لإنشاء الآلات البحرية ، فتمكن حسان من الاستيلاء عليها وكان هذا نهاية الاحتلال البيزنطي في إفريقية (٢٣١) .

ولكن مقاومة البربر استمرت بزعامة الكاهنة التي أحست بخطورة حسان هذه المرة ، فكانت تحرق وتدمر القلاع لتعوق تقدمه ، وتقطع أشجار الزيتون مصدر ثروة البلاد ، فصمم حسان على قطع دابر مقاومتها خصوصا وقد انضم إليه البربر المسلمون والنصارى الذين سثموا سياسة الكاهنة المدمرة ويبدو أن حسانا لم يتمكن من قتلها الا في سنة ٨٣هـ / ٧٠٢ م .

ولقد تكهنت الكاهنة بموتها وبالقضاء على مقاومة البربر وخضوعهم للمسلمين ، وبذلك قضى المسلمون على آخر حركة قام بها أهالي البلاد لردهم ، إذ كانت الكاهنة هي الحصن الأخير الذي احتذى وراءه أهل البلاد ، فلما سقطت انتهت كل المقاومة ، ولم يبق أمام المسلمين غير مقاومات طفيفة من بعض قبائل البربر (٢٣٢) .

وتولى موسى بن نصير في عام (٧٠٥م) قيادة المسلمين في إفريقية خلفا لحسان بن النعمان ، وراح يثبت دعائم النصر الذي حققه سلفه ، وسار أولا عبر السهل الساحلي ، فوصل الى طنجة ، وفتحها ، وإن كان قد فشل في فتح (سببة) وعاد فعرض الاستقرار والهدوء على ساحل المحيط الأطلسي فيما نسميه الآن بمراكش، وعاد عبر المناطق الممتدة الى الجنوب من جبال الاطلس، فأكمل فتح البلاد كلها ، وكان الدين الإسلامي يسير جنبا الى جنب مع السياسة ففي هذه البلاد، وقد تحول البربر أخيرا الى الإسلام (٢٣٣) .

❀ حركة الفتوحات والتعريب

كان الخليفة عبد الملك يعمل على تقوية الحكم العربي بعد أن فسد كل شيء بسبب الفتن ، فعمل على تحويل كل شيء في جهاز الدولة الى العربية ، وهو ما عرف (بالتعريب) ، وقد كانت خطوة عبد الملك في هذا الصدد هامة ، إذ أن أجزاء كثيرة من الإمبراطورية العربية لا زالت الى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لجهوده (٢٣٤) .

فنحن نعرف أن الخليفة عمر بن الخطاب ترك إدارة البلاد المفتوحة أجنبية كما هي ، مع تعديل بسيط فأبقى على الدواوين (جمع ديوان) ، وهي كلمة بنذر فارسية يقصد بها الكتاب أو أماكن عملهم أو السجلات لإحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق ، فكانت هذه الدواوين تحرر بلغة أهلها : فديوان الشام بالرومية (اليونانية) وديوان العراق وفارس (بالفارسية) ، وديوان مصر (بالقبطية) ، ولا يعني هذا أن الدواوين لم تكتب إطلاقاً بالعربية ، فقد كان ديوان العساكر الإسلامية بالمدينة يحرق بالعربية منذ زمن عمر ، وإنما كان ديوان المال والجباية هما اللذان يكتبان بلغة أهل البلاد المفتوحة (٢٣٥).

ولكن عبد الملك بعد أن استتب له الأمر أمر أن تكون اللغة العربية وحدها هي لغة الدواوين جميعها ، بقصد إيجاد الانسجام في إدارة الإمبراطورية الإسلامية ففي عهده نقل ديوان الشام من اليونانية للعربية ، كما أن الحاج نقل الديوان بالعراق من الفارسية للعربية ، أما ديوان مصر فتأخر نقله إلى أوائل عهد الوليد ، أن سبب سرعة نقل ديواني الشام والعراق دون ديوان مصر ، هو أن البلدين الأولين كانا عربيين منذ القدم (٢٣٦) .

ويرى أن ابن خلدون أن سبب تعريب عبد الملك للدواوين هو أن المسلمين في زمنه كانوا قد انطلقوا من طور البداوة ، وأقبلوا على تعلم القراءة والكتابة (٢٣٧) . ويرى أيضا أن الذي ساعد على اتخاذ خطوة التعريب ، هو أن اللغة العربية أصبحت في متناول كثير من الكتاب في البلاد المفتوحة ، وهم الذين كانوا يملأون الدواوين ، وبخاصة الموالي الذين أسلموا ، فمنذ زمن علي ظهر بعض الموالي المهرة الذين كانوا يبحثون في قواعد اللغة العربية مثل أبي الأسود الدؤلي (٦٨٦م) الذي عاش إلى زمن الأمويين (٢٣٨) .

وقد كان من نتائج تعريب الإدارة في الإمبراطورية الإسلامية أن أقبل كتابها من غير العرب على تعلم العربية ، لكي يستمروا في عملهم بالدواوين ،

ولكن الخليفة حينما نقل ديوان الشام الى العربية ، اضطر الى عزل مكتبته من الروم وأنه نقل ذلك لوفرة وجود كتاب من أهل الذمة يعرفون اللغة العربية ، أما في العراق ، فقد أرغم الحجاج كتاب دواوينه على الكتابة بالعربية دون الفارسية^(٢٣٩) وعلى العكس تأخر نقل ديوان مصر وأن تحويل ديوان مصر من دون الدواوين الأخرى لقي معارضة من قبل المصريين ، حتى أنه استعان بشخص من الشام^(٢٤٠) .

وعلى ذلك أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في جميع أجزاء الإمبراطورية الإسلامية ، مما مهد لتعريب السنة شعوبها ، بحيث غلب الخط العربي على خطوطها ، كما انعدمت امامه بعضها ، مثل : الأرامية والسريانية ، والقبطية ، كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الدين في منطقة واسعة من البحر الأبيض ، ولم يقتصر الأمر على من تحول الى الإسلام ، بل تعداهم الى غيرهم من سكانها من المسيحيين .

وقد تبع خطوة تعريب الدواوين خطوة أخرى هامة ترمي الى تقوية الحكم الإسلامي ، بضبط ميزانيته وانتصاراته ، ففي ذلك الوقت كانت العملة المتداولة في أجزاء الدولة الإسلامية هي العملة البيزنطية أو الفارسية أو ما عرف بالرومية والكسرية ، ذلك لان العرب في أول عهدهم لم يكونوا يعرفون النقود الا في يد تجار قريش ، الذين كانوا يحملونها الى مكة من بلاد الروم والفرس ، فكانت هذه العملة تحمل نقوشاً فيها تماثيل (أي صور) مثل تمثال الملك أو أحد أبنائه أو حصن أو حيوان^(٢٤١) .

ولكي يجعل الخليفة عمر لهذه العملة الأجنبية صبغة شرعية قرر أن تضاف بالعربية في نقوشها عقيدة الإسلام وكلمة (جائز) للدلالة على أنها عملة جيدة حسب العيار الذي أقره الرسول (ﷺ) والخليفة أبو بكر من قبل ، وبعد الخليفة عمر ظهرت عدة محاولات لسك عملة إسلامية حرفة ، إلا انها كانت

محاولات غير مثمرة ، إذ اعتبرت رديئة لا تنافس عملة الروم أو أو العجم فمثلاً سك معاوية درهماً باسمه ، كذلك ضرب مصعب بن الزبير في العراق الدنانير والدراهم في سنة ٦٨٩/٧٠ بأمر أخيه عبد الله (٢٤٢) .

ولكن عبد الملك هو أول من جعل الدولة العربية تشرف بنفسها على ضرب العملة ونقشها ، ونهى عن أن يضربها غيرهم ، وذلك منذ سنة ٧٥هـ/٦٩٤م ، ثم ضربها الحجاج بالعراق في سنة ٧٦هـ/٦٩٥م وقام بعد ذلك كل أمير بسكها في عمله ، على أساس تفويض من الخليفة ، إن سبب اتخذ عبد الملك هذه الخطوة يرجع الى تهديد قيصر الروم له ، بات ينقش على الدنانير التي يتداولها أهالي دار الإسلام ما يكره عن النبي، وكذلك أن ضرب عبد الملك للعملة يرجع الى أسباب اقتصادية وسياسية ، إذ أصبحت من لوازم السيادة الإسلامية ، كما انتفع الناس بإشراف الدولة عليها ، فتميز المغشوش من العملة الخالصة (٢٤٣) .

وقد عرفت هذه العملة الرسمية باسم (السكة الإسلامية) وكلمة السكة تعني(خاتم الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب عليه بالمطرقة) وأصبح يطلق عليها وعلى الدار التي تصنع فيها اسم (دار السكة) أو (بيت الضرب) فكان يشرف عليها موظف خاص إسمه (صاحب بيت الضرب) يكون تحت يده الصناعون والطباعون ، وكان الخليفة بنفسه هو الذي يحدد لها (المقدار) أي الوزن كما فعل الخليفة عمر من قبل ، لتكون العملة في التداول على أساس العيار الشرعي ، إذ أن العملة وقتئذ كانت توزن ولا تعد (٢٤٤) .

ولم تتغير وحدة العملة بتعريبها فيعني الدينار الذهبي والدرهم الفضي ، والقطع من الدرهم مثل الدانق والمثقال ، ولكن تغير نقش العملة وأصبح كلمات من غير صور ، لأن الشرع الإسلامي نهى عن الصور ، فكانت الدنانير

والدراهم على شكلين مدورين ، والكتابة عليهما في دوائر متوازية ، فيكتب على أحد الوجهين أسماء الله تعالى وصلاة على النبي ، وفي الوجه الآخر التاريخ واسم الخليفة ، كذلك نقش الحجاج بالعراق اسمه على الدراهم فعرفت بالعملة الحجاجية ، وسميت مكروهة ، وكره أهل العراق لها (٢٤٥) .

ونعرف بعض أسماء من عملة العصر الأموي ، مثل الدنانير الدمشقية التي سكها عبد الملك ، والدينار الأبيض أي النقي الذي سكه الحجاج ، وقد بقي في مصر حتى مجيء الفاطميين إليها ، وكانت أجود عملة لبني أمية ما سكه عمالهم بالعراق ، حتى عرفت بأسمائهم ، مثل الهيريرية ، والخالدية ، واليوسفية ، كذلك استمرت في التداول بعض العملات القديمة الأعجمية ، مثل البغلية والطيرية (٢٤٦) .

فتح بلاد ما وراء النهر

لقد مد المسلمون فتوحاتهم الى ما وراء النهر الواقع شمال حدود خراسان المعروف : بحيون ، وقديما أموداريا ، أي الى البلاد التي سموها : ما وراء النهر ، ولكنها وأن كان النهر يقع الى جنوبها ، وبلاد خوارزم الى غربها ، إلا أن حدودها في الشرق والشمال لم تكن واضحة ، ففي الشرق قد تدخل فيها بعض بلاد الصين وفي الشمال كانت تمتد الى النهر المشهور في حدود بلاد الترك باسم : سيمون وقديما سير داريا (٢٤٧) .

وقد كان يسكن هذه البلاد خليط من الشعوب الآسيوية أغلبهم من الفرس ، الذين انتشروا في جميع أجزائها ، وكانوا يحكمونها عن طريق المرازبة ، وواحدًا مرزبان أي صاحب الثغر وهو المرز ، إذ كانت للفرس منطقة ثغور ، وقد كان نظامهم لا يمد بعضهم بعضا أثناء الحرب إلا بإذن من الملك ، ولكونها بلاد صلة لوقوعها في وسط آسيا ، فإنها كانت معبرا للشعوب الآسيوية منذ قديم الزمان مثل الشعب المغولي الذي عرف للعرب بالهياطلة (٢٤٨) ولالأدريين

باليونان ، وللصينيين بالهيوونغ نو ، فهؤلاء خالطوا أهل بلاد ما وراء النهر وحكموهم أثناء تحركاتهم من الشرق الى الغرب حوالي القرن الخامس الميلادي ، بحيث أن هيطل أصبح أيضاً اسماً لبلاد ما وراء النهر ، كذلك الترك وهم عنصر مغولي آخر ، كانوا يحيطون ببلاد ما وراء النهر من الشمال على الخصوص ، وتمكنوا من حكم بعض أجزائها قبل الفتح العربي ، كما طمع الصينيون فيها وسعوا الى السيطرة عليها (٢٤٩) .

وكانت تكونت في بلاد ما وراء النهر ممالك مستقلة غير واضحة التاريخ أو الحدود ، بعضها يشمل أقاليم واسعة أو مدناً مفردة ، أهمها في أعلى النهر :
مملكة طخارستان ، وهي بلاد واسعة تقع على ضفتي نهر جيحون تنقسم الى طخارستان العليا والسفلى تشمل على قاعدتها بلخ ، حيث يسمى جيحون بها ، فيعرف أيضاً بنهر بلخ (٢٥٠) ، وعلى طالقان أكبر مدنها ، وقد كان يسكنها شعب عرف بالطخارية وللصينيين بيوتشي ، كما أنه غزاها أيام الفرس الهياطلة ، وإن لم يقضوا على مقوماتهم ، بدليل بقاء اسم طخارستان ، حتى وقت الفتح العربي ، كذلك كانت هذه البلاد شديدة الصلة باليونان ، وهذه البلاد حكمتها أسرة قبل الإسلام ، لعلها من أصل تركي ، عرف ملوكها بلقب ، جيغوية ، وأن كان يبدو أن سيطرتها على بلخ وطالقان كانت اسميه ، وأنها انكشفت في جزء صغير منها ، ومملكة الختل أو ختلان ، وهي أول بلاد ما وراء النهر خلف جيحون على تخوم السند ، يقال لقصبته هليك ، التي تقع على نهر أخش أحد أفرع جيحون ، ومملكة صغانيان ، إقليم عظيم من وراء النهر يجري إليه عدة أفرع من جيحون وأهم مدنها شومان ، التي قد تكون مستقلة عنها ، كما وجدت مدينة أخرى بجوارها من الشرق اسمها أخرون أو أجرون لا يذكرها الجغرافيون ، وكان لقب ملك صغانيان هو : (صغان خذاه) (٢٥١) .

وممالك في وسط ما وراء النهر ، بخاصة مملكة الصغد ويقال السغد ، وهي بلاد عريضة تمتد من جيحون إلى سيحون تحيط بنهر الصغد المسمى أيضاً زرفشان داخل بلاد ما وراء النهر ، عبارة عن قرى ومدن متصلة بحيث اعتبرها العرب من جنان الأرض وأكثرها عمارة وفضلت على غوطة دمشق ، ويظهر أن هذه المملكة اختصت بشخصية معينة منذ القدم ، فقد كانت لها حضارة متميزة باللغة ، استمرت عدة قرون في وسط آسيا ، كما أن أهلها مجوس لهم شهور وتقويم مثل الذي عرف عند الفرس (٢٥٢) وكانت الصغد تتكون من وحدات سياسية مستقلة قبل الإسلام ، أهمها ، سمرقند وهي قسبة الصغد ، وبخارى (بخارا) مدينة قديمة أيضاً ، من أشهر مدن الصغد ، بحيث قيل الصغد صغدان ، صغد سمرقند وصغد بخارى ، وكان ملكها يتلقب خذاه أو بخارا خذاه ، ويسك العملة ، ومدن أخرى أصغر ، مثل (كش) وكانت ملك سمرقند ، ونسف أو نخشب وهي مدينة كبرى بين بخارى وسمرقند وبها حصن عتيق (قهندر) ، مما يدل على استقلالها وبيكند وهي من مدن بخارى .

ومملكة في أدنى النهر أو دلتاه ، تعرف باسم (خوارزم) وهي ناحية عامرة استقلت منذ أن غزاها الإسكندر عاصمتها القديمة فيل أو فير ، ثم نقلت إلى كركانج ، التي عرفت للعرب بالجرجانية ، وهي بلاد أغلب سكانها من الفرس المجوس وبعض النصارى ، ولهم خط متميز يعرف بالخط الخوارزمي ، وفي أطرافها يسكنها قوم من الترك ، ، وقد حكمتها أسرة قديمة من نسل الأكاسرة استمرت وقتاً طويلاً إلى زمن الفتح العربي وكان ملوكها يتلقبون بالشاه ، وإن هذه المملكة كانت في حرب مستمرة مع الترك المجاورين لهم ، كما أنها كانت قد خضعت قديماً إما للفرس أو للصغد (٢٥٣) .

وممالك أخرى سيحونية على ضفاف نهر سيحون ، منها مملكة فرغانة ، وهي إقليم جبلي واسع ، تقع في أعالي سيحون وعلى ضفتيه ، وأهم مدنها ،

أخسبكت عاصمتها القديمة ، ثم كاشان التي كان يقيم بها ملوكها ، كما أن ضجنده أعتبرت من جملتها ومتاخمة لها ، وكان الفرس يسيطرون عليها ، فنسب إلى الملك أنور شان بناء أخسيك ، ولكن الترك الخرجلية سيطروا على دهاقينها .

وكان ملوكها منهم يتلقبون بالأخشيد ، وأن فرغانة قبل الفتح العربي أصبحت من امبراطورية دولة الصين ، وإن بقي الترك يحكمون في كاشان ، ومملكة أشروسنه تقع شرقي فرغانة ، وأنها كانت في طريق فرغانة ، وأن الهياطلة غزتها ، وملوكها يتلقبون ، بأقشين ، وأخيراً مملكة الشاش التي تقع وراء سيحون شمالي أشروسنه ، يخترقها نهر عرف باسمها ، وهي إقليم سهلي متاخم لبلاد الترك ، قصبتها بنكث ، وعلى العكس يقول البلاذري أن قاعدتها الطاربند (٢٥٤) ، وكان يحكم الشاش الترك أو الصينيون قبل الفتح العربي .

وقد كان على العرب إذا أرادوا أن يتوسعوا في هذه البلاد أن يعملوا ألف حساب لجيرانها الأقوياء ، الذين كانوا يتنافسون في السيطرة عليها ، فمن وراء هذه البلاد وحواليها من مشارق خراسان من مملكة الإسلام إلى غرب الصين وشمال الهند ، كان يوجد الترك أو الأتراك ، وهي كلمة تعني الأقوياء ، ويبدو أن الترك من أصل نغولي أو من الهياطلة على الخصوص ، ظهوروا فجأة حوالي القرن السادس الميلادي ، كونوا إمبراطورية بدوية واسعة ، بسبب ضعف العناصر المسيطرة عليهم من الشعوب المغولية الأخرى ، أو الصينيين ، وقد امتدت إمبراطوريتهم من حدود الصين إلى البحر الأسود ، وعرفت بالتركستان ، أي ناحية بلاد الترك (٢٥٥) ، وأنها أسست حوالي ٥٧٦ م ، على يد شخص يسميه العرب سنجابو خافان ، ولما أصبح الترك سادة كانوا يهاجمون شمال الصين ، كما كان يفعل غيرهم من القبائل المغولية .

ولكن هذه الإمبراطورية سرعان ما انقسمت إلى قسمين حوالي عام ٥٨١م ، أحدهما غربي في وسط آسيا ، والآخر شرقي بجوار الصين في منغولية وكان الصينيون يعملون على تقوية العداء بينهما ، للاحتفاظ بنفوذهم والحد من خطرهم ، بل أنهم أخضعوا قسماً كبيراً منهم بخاصة الترك الشرقيين ، ولكن الترك الغربيين بقوا متمتعين بسيادتهم بعيداً عن نفوذ الصينيين ، كما أنهم على يد ملك يسميه العرب توج كانوا يحاربون الإيرانيين في بلاد ما وراء النهر ، وأن بلاد الترك سميت باسمه (توران) ، ولقد أصبح النزاع بين الفرس والترك في هذه البلاد تقليدياً ، ولكن انشغال الفرس بحروبهم مع البيزنطيين منعهم من الالتفات إلى ترك بلاد ما وراء النهر ، مما سهل إقامتهم (٢٥٦) .

وكان الترك يعيشون في قبائل عديدة ، مثل : التذغزغ والخرنجية والكيماك وخزخيز والطخطاخ والبنجاك ، وأن بعضهم كان يعيش في الشرق قرب سور الصين ، والبعض في الغرب في وسط آسيا ، وبسبب طبيعة بلاد الترك الصحراوية الجبلية ، كان أغلبهم من الرعاة الذين يتبعون الكلاً وينزلون الخيام (٢٥٧) .

وكان يسيطر على جميع الترك بما فيهم ترك ما وراء النهر ملك يسمى (الخاقان) أي ملك الترك ، وأن خاقان لقب خاص بالترك المجاورين للصينيين ، وأن خاقان كان يعيش في قصر عظيم في مدينة حصينة ، حولها قرى وأقسام إدارية ، وقد كان له شعار عبارة عن علم تزيينه تسع خصلات من شعر ذنب الخيل ، كذلك كان لمملكته قانون ينظمها يعرف باسم (ياسة) ولله البريد (٢٥٨) .

كذلك كانت الصين أو الصين الأقصى ، دولة كبرى في آسيا عبارة عن بلاد شاسعة ظهرت فيها منذ قديم الزمان حضارة متميزة ، بسبب خصب تربتها ، وأن فيها نهر يسمى النهر الأصفر ، وقد عرفت الصين أسراً متعددة كانت

تحكمها منذ القدم ، مثل شائع حوالي القرن الخامس عشر (ق.م) قبل الميلاد ، وأينغ في القرن الحادي عشر (ق.م) ولكن في القرن السابع قبل الميلاد انقسمت الصين إلى قطائع نتيجة لضعف السلطة المركزية ولوجود قبائل الهون المغولية (الهايطة) التي يسميها الصينيون الهيونغ -نو ، وكانت تحوم حولها (٢٥٩) .

إن العرب منذ استقرارهم في خراسان كانوا قد قرعوا أبواب بلاد ما وراء النهر ، ولكن لم تكن هناك خطة لفتحها في عهد الخلفاء الأوائل ، ذلك لأن خراسان نفسها كانت ملثثة إلى أن قتل يزدجرد في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام ٣١هـ / ٦٥١م ، ثم بعد ذلك اضطربت طاعتها بعد وقوع الفتنة الأولى ، وأن الترك انتهزوا هذه الفتنة لمهاجمة خراسان (٢٦٠) .

ولما استقرت الأمور في عهد معاوية نجد أن العرب بدؤوا يستطلعونها عن طريق إرسال السرايا والبعوث ، كما فعلوا في معظم فتوحاتهم ، ولكي يمهّدوا لفتحها اتخذوا مرو قاعدة للفتح ، في خراسان المقابلة لبلاد ما وراء النهر وهي التي كانت تعرف أيضاً بـ مرو الشاهجان أو مرو العظمى ، بحيث كانت تعرف أشبه بالشعر ، فأنزلوها جنودهم منذ سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م (٢٦١) ، وكان أول من عبر النهر عبيد الله بن زياد في سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م ، ومن بعده سعيد بن عثمان في سنة ٥٥هـ / ٦٧٥م (٢٦٢) .

وقد عين عبد الملك بن مروان ، الحجاج بن يوسف حاكماً عاماً للشرق الذي يضم العراق وفارس ، وتمكن القائد المهلب بن أبي صفرة بعد قضائه على الخوارج من التفريغ لإمارة خراسان التي عين حاكمها ، والواقعة عند الحدود الشمالية الشرقية للدولة العربية الإسلامية ، ولم تمكن غزوات المهلب في أراضي ما وراء النهر ، العرب من تثبيت سلطانهم بصورة منظمة في هذه المناطق ، ولذا بقي الأمراء المحليون السابقون في مدنهم ، على أن يدفعوا الجزية إلى العرب ، لكن هيبة العرب ما لبثت أن عادت على أي حال إلى

المنطقة ، وراح الحجاج يولي اهتمامه بعد ذلك إلى رتبيل ، ملك كابل ، التي فتحها العرب ، ثم ما لبثوا أن أخرجوا منها (٢٦٣) .

وقرر الحجاج أن ينظم حملة جديدة وقوية ، ليضمن بها النصر ، ولذا فقد جهز جيشا قوامه عشرون ألفا نصفهم من الكوفة والنصف الآخر من البصرة وعهد بقيادته إلى عبد الرحمن بن الأشعث ، أحد كبار زعماء الكوفة ، وتقدم الجيش إلى سجستان ، وقد أنفق الحجاج أموالا كثيرة في إعدادة هذا الجيش ، فدخل عبد الرحمن بهذا الجيش إلى أراضي كابول دون أن تقع معركة فاصلة (٢٦٤) .

أخذ عبد الملك قبل عام من وفاته ، البيعة من الناس لابنه الوليد ، ليخلفه في الحكم ، وأقران يكون ولده الثاني سليمان خليفة بعد الوليد ، توفي عبد الملك بن مروان في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، وكان في الستين من عمره (٢٦٥) .

(٥) الفتوحات في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)

توفي عبد الملك في شوال ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، بعد خلافة حافلة بالأحداث مدة ٢١ عاماً ، فقضى على الفتن العديدة بشدة شكيمة وشخصيته الجبارة ، وقد عرف بأنه (أبو الملوك) وذلك لانه ولى الخلافة بعده أربعة من ولده أولهم الوليد فكان يكنى بأبي الوليد (٢٦٦) .

ولم يكن للوليد حق سابق في الخلافة ، فإن مروان كان قد بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، فولى عبد العزيز عمل مصر في حياة أبيه وبقي فيه في خلافة عبد الملك .

ولكن عبد الملك أراد أن ينحي عبد العزيز عن ولاية عهده ، إذا لم يكن أخاه من أمه ، والمبايعة لابنه الوليد ، وبذلك يكون قد فعل ما فعله من قبل مع خالد بن يزيد وأن الحجاج هو الذي زين لعبد الملك بيعه الوليد ، وأرسل له وفداً ولكن عبد العزيز قاوم ، ورفض أن يجعل الوليد ، حتى في ولاية عهده من بعده ، وقد هم عبد الملك بخلعه لولا أنه تريت إلى أن توفي في حياته سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م (٢٦٧) .

فبايع لابنيه الوليد وسليمان بعده ، وكتب لهما في البلدان وهدد خالداً وعبد الله ابني يزيد بالقتل ، إذا لم يبايعا لابنيه ، فضمن بذلك ولاية الوليد للخلافة (٢٦٨) .

ولقد استلم الوليد من أبيه ملكاً موطد الدعائم ، مما جعل عصوره يتميز بالاستقرار ، وبوجود نهضة معمارية لم تحدث من قبل منذ ظهور الإسلام ، شملت جميع أجزاء الدولة العربية الإسلامية ، فقد كان ذا همة في عمارة المساجد كما كثرت الأبنية في البلاد ، حتى أن الناس كانوا يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء (٢٦٩) .

✽ عودة الفتوحات على جبهة الروم

وفي عهد الوليد وصلت الدولة العربية الإسلامية إلى أقصى اتساعها فقد ظهر قواد أكفاء عملوا على رفعة الإسلام شرقاً وغرباً ، وقد عدت الفتوحات في عهده من الفتوحات العظيمة ، مثل تلك التي كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٢٧٠) .

ومنذ أن استقرت سيطرة العرب في أرمينية ، عادت حملات الشواتي والصوائف بنفس القوة التي كانت في عهد معاوية ، وقد كفل الوليد حرب الروم إلى أخيه الأمير مسلمة بن عبد الملك ، وابنه العباس بن الوليد ، فأظهر كلاهما قدرة حربية فائقة في قيادة الحملات ، ولم تكن الحملات للتخويف ، ولكن هدفها كما كان في عهد عبد الملك دك حصون العدو ومدنه المسلحة ، وإنشاء حصون جديدة مما أدى إلى إزدياد نفوذ المسلمين في آسيا الصغرى ، وقد كان العرب يحملون معهم نساءهم في فتوحاتهم ، إرادة الجد في القتال (٢٧١) .

ولعل أهم الحصون التي فتحها المسلمون في عهد الوليد حصن طوانة في سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م ، الواقعة قـرب المصيصه - ثغر المسلمين القوي ، فبعد حصارها بتسعة أشهر بالمنجنيقات وقعت في أيديهم ، بحيث بلغت خسائر الروم فيها حوالي خمسين ألفاً ، وقد سار المسلمون في بلاد آسيا الصغرى ، وفتحوا عدداً كبيراً من الحصون وأقاموا فيها الحاميات ، مثل : سلوفيه عند الساحل ، ومرعش وعمورية بين الشام وبلاد الروم (٢٧٢) ، حيث زودوها بالأسوار والجوامع ، وكان المسلمون يخرجون منها لمهاجمة حصون الروم البعيدة ، ولكي يـأمنوا شر الجراجمة ، الذين زاد خطرهم حتى بلغ مداه في عهد عبد الملك ، هاجموا الجرجومة نفسها ، أهم مدنها في جبل اللكام في الثغر الشامي

في سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ م ، وهزموهم على الرغم من تجمعهم للدفاع عنها في كل مكان ، ونقلوا بعضهم إلى الشام ، وأدخلوهم في فرق المسلمين ، دون أن يكرهوهم على ترك النصرانية ، كذلك نقلوا إلى الثغور عناصر من الزط ، الهندية ، التي جاءت من بلادها إلى بلاد المسلمين ، كما فعل معاوية من قبل ، ولعل أراد الوليد فتح القسطنطينية إلا أن هذا لم يخرج إلى حيز التنفيذ بسبب أن جند المسلمين كانوا قد انساحوا في أطراف الدولة الأخرى انسياحاً كبيراً (٢٧٣).

✽ فتح الأندلس

كان فتح الأندلس نتيجة طبيعية لتمام فتح المغرب ، لأن الأندلس هو الجناح الغربي للمغرب ، ولأن الأندلس كان المجال الحيوي للفتح الإسلامي بعد إنجاز فتح المغرب الإفريقي واستقرار الفتح فيه بانتشار الإسلام وبوجود القوة الضاربة في جانب العرب المسلمين (٢٧٤) .

ولم تستعص على موسى بن نصير غير مدينة (سبتة) لمناعتها ووصول الإمدادات إليها من إسبانيا القوطية عن طريق البحر ، وكان من قبل (القوط) في إسبانيا حاكم اسمه (خوليان) ويسميه العرب (يليان) وأن يوليان كان حاكماً عاماً على إقليم (مورطانية الطنجية) وكانت تابعة لمورطانية القيصرية ، إحدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية ، فلما عجزت الدولة البيزنطية عن حمايتها ، ولت (سبتة) وجهها شطر إسبانيا القوطية ، وقد بدأ يوليان ولايته لهذا الإقليم في سن مبكرة ، وأنه أقام مدة طويلة في أرض المغرب حتى توثقت علاقته بمن جاوره من قبائل البربر .

أما علاقته بالدولة القوطية في إسبانيا ، فمرجعه أنه كان يتوجه بطلب المعونة إلى هذه الدولة ، ليبعد مدينته عن بيزنطة واضطراب أمور بيزنطة في تلك الفترة (٢٧٥) .

وكان (يوليان) حليفا لملك إسبانيا (غيطشة) الذي تولى عرش البلاد في سنة (٧٠٠م) بعد وفاة أبيه (أخيكأ) ، وقد خلع غيطشه من العرش على أثر ثورة قام بها نفر من أنصار (الذريق) وأثار اغتصاب لذريق للعرش نقمه أنصار غيطشه وأبناءه ، فهبوا ضد هذا المغتصب الذي انتزع الملك لنفسه من البيت المالك الشرعي ، وبدأت حركة استقلالية في أطراف البلاد ظلت مستمرة حتى دخول المسلمين أرض الأندلس (٢٧٦) .

وقد بعث يوليان برسالة إلى موسى بن نصير يعرض فيها تسليم معقله (سبتة) ويدعوه إلى فتح إسبانيا ، فكتب موسى بن نصير إلى ابن عبد الملك يخبره بأمر هذا المشروع (٢٧٧) .

وقد عمل موسى بن نصير على اجتياز الأندلس بالسرايا بتوجيه الخليفة الوليد خصوصا وأن المسلمين كانت قد عظمت صولتهم في غرب البحر المتوسط ، بالسيطرة على شواطئ المغرب الطويلة المقابلة للأندلس ، وبإنشاء وصناعة السفن في تونس ، ولأن دولة القوط نفسها لم تكن دولة بحرية في قوة دولة الروم ، فهاجم المسلمون في البحر جزيرتي (سنورقة ، وميوزمة) قبالة ساحل الأندلس الشرقي (٢٧٨) .

وبعث موسى بن نصير رجلا من البربر يسمى طريفا ، ويكنى بأبي زرعة في مائة فارسي وأربعمائة راجل ، فسار في أربعة مراكب حتى نزل البحر بالأندلس فيما يحاذي (طنجة) وهو المعروف بـ(جزيرة طريق) سميت باسمه لنزوله هناك ، فأغار عليها ، ورجع سالما ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٩١هـ / (٧١٠م) (٢٧٩) .

وفي رجب سنة (٩٢هـ / ٧١١م) جهز موسى جيشا من العرب والبربر يبلغ سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد الليثي ، فعبر البحر من (سبته) بجيشه ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة التي لا تزال تحمل اسمه (جبل طارق) ، وتوالت انتصارات طارق ، ففتح مدينة (قرطاجنة الجزيرة) ثم سار غربا واستولى على المنطقة المحيطة بقرطاجنة وأقام قاعدة حربية في موضع يقابل (الجزيرة الخضراء) وبعد معارك محلية أكمل المسلمون فتح (الجزيرة الخضراء) وسيطروا على المجاز إلى الأندلس ، وتوجه لذريق لصد المسلمين ، فكتب طارق إلى موسى بذلك ، فأرسل إليه موسى مددا من خمسة آلاف من المسلمين ، وعلى رأسهم طريف بن مالك وأغلبهم من الفرسان ، وبهم كملت عدة من مع طارق اثني عشر ألفا (٢٨٠) .

والتقى الجيشان في ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ — ٧١١م ، على وادي (برباط) أو وادي (لكه) قرب مدينة (شنونة) واستمرت المعركة ما يقرب من ثمانية أيام ، وانتهت بهزيمة القوط هزيمة ساحقة ، وكانت هذه المعركة هي المعركة الحاسمة التي فتحت أبواب الأندلس للمسلمين وبدأ طارق يجني ثمار جهاده وانتصاره في وادي لكه ، ففتح (شنونة) عنوة ، ثم مضى إلى (المدور) ثم عطف على (قرمونه) ثم اتجه إلى (إشبيلية) فصالحه أهلها على الجزية ، ومنها سار إلى (اسبخة) وكانت تؤلف المركز الأول للمقاومة ، إذ كانت فلول القوط، قد تجمعت هناك فظفر طارق بصاحب المدينة وأرغمه على الصلح وظفر طارق بصاحب المدينة وأرغمه على الصلح وفرض عليهم الجزية (٢٨١) .

وفرق طارق جيوشه من (اسبخة) ، فبعث مغينا الرومي مولى الوليد ابن عبد الملك إلى (قرطبة) في سبعمائة فارس ، وبعث جيشا آخر إلى (مالقة) كما بعث جيشا ثالثا إلى (البيرة) أما هو فصار إلى كورة (جيان) بمعظم جنوده في

طريقه إلى (طليطلة) وعبر طارق الوادي الكبير ، فدخل (طليطلة) سنة ٩٣هـ —
دون مقاومة (٢٨٢) .

وقد عبر موسى بن نصير إلى الأندلس في رمضان سنة ٩٣هـ — / ٧١٢م من
(طنجة) على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفاً من المسلمين ، ونزل موسى
في جبل الفتح (جبل طارق) ، ثم دخل الجزيرة الخضراء وأقام فيها أياماً
للتأهب لخوض المعركة القادمة ، فلما عزم على المسير ، جمع حوله رايات
العرب . ووجوه الكتائب وعددها يزيد على عشرين راية ، وتفاوض الجميع
في الرأي ، وكيف تكون الخطة العسكرية للفتح ، فاجتمعوا على السير إلى
(إشبيلية) وفتح ما بقي من غرب الأندلس حتى (أكشونية) ، إذ لم يبرح موسى
موضعه حتى أمر بتخطيط الموضع واتخاذ مسجداً ، وكان يقابل باب البحر من
أبواب المدينة (٢٨٣) .

وسار موسى إلى (شذونة) فافتتحها عنوة ، ثم سار إلى (قرمونة) ولم
يكن بالأندلس أحسن منها ، فسأل موسى عن أمرها ، فقيل له : لا تؤخذ إلا
باللطف والحيل ، فقدم إليها علوجاً كانوا من أصحاب (يوليان) وغيرهم ، فاتوهم
في هيئة المنهزمين ومعهم السلاح ، فأدخلوهم المدينة ، فلما علم موسى بدخولهم
بعث الخيل ليلاً ، ففتحو لهم باب المدينة ، وهو الباب المعروف بباب (قرطبة) ،
ثم دخل المسلمون المدينة عنوة (٢٨٤) وسار موسى إلى (رعواق) المعروفة بقلعة
وادي (أيره) أو قلعة (جابو) فافتتحها ، وبهذا أمنت خطوط مواضلات المسلمين
من الجزيرة الخضراء إلى (قرطبة) إذا أصبحت سلسلة مدائن الجزيرة وشذونة
و(رعواق) و(قرمونة) و(أسبخة) و(قرطبة) في يد المسلمين ، وأصبح بإمكان
موسى أن يتجه نحو الغرب ليفتح (إشبيلية) كبرى مدائن شبه الجزيرة بعد
(طليطلة) آنذاك (٢٨٥) .

لقد كان ترصين قواعد الفتح المتقدمة وتأمين خطوط مواصلات الفتح وحماية الجناح الأيسر (الغربي) لمنطقة فتح طارق ، الأهداف الحيوية الأولى التي حققها موسى بعد إنزال قواته الأندلس (٢٨٦) .

✽ فتح إشبيلية

وتقدمت قوات موسى نحو إشبيلية ، وكانت من أعظم قواعد الأندلس شأنًا وأكثرها آثار ، وكانت دار ملك روم روما قبل غلبة القوطيين على الأندلس ، فلما غلب القوطيون عليها استوطنوا (طليطلة) وأقروا بها ملكهم وبقي بمدينة إشبيلية علماء أهل روما ورؤساؤهم وحاصرها موسى حصاراً شديداً ، ولكنها (منعت عليه أشهراً ، وأخيراً استطاع فتحها وانسحبت حاميتها إلى (باجة) فترك موسى الحامية ومضى قدماً لتحقيق أهدافه (٢٨٧) .

✽ فتح ماردة

وسار موسى قاصداً (ماردة) متتبعاً طريقاً رومانية قديمة كانت تصل إشبيلية بمارده ، فاستولى في طريقه على بلد تسمى لقنت ، سلم له أهله دون مقاومة فسموا لذلك موالي موسى ، وسمي الطريق التي سلكها موسى (فيح موسى) وتمتد من (لقنت) إلى (ماردة) (٢٨٨) .

وكانت (ماردة) أيضاً دار مملكة لبعض ملوك الأندلس في سالف الدهر ، وهي ذات عز ومنعه ، وفيها آثار وقصور ، فحاصرها أيضاً ، وكان أهلها في منعة شديدة ، وعمل موسى دبابه ، ودب المسلمون تحتها إلى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه ، فلما قلعوا الصخر أفضوا بعده سورها وجعلوا ينقبونه ، فلما قلعوا الصخر أفضوا بعده إلى شيء يشبه الإسمنت الصلب كان يسمى (الأشنة ماسه) فلم تتل منه معاول المسلمين وعدتهم ، وثار العدو بالمسلمين على

غفلة، فاستشهد بأيدي العدو عدد من المسلمين تحت تلك الدبابه فسمي ذلك
الموضع (برج الشهداء) واستمر موسى محاصرا لماردة حتى مستهل شوال سنة
٩٤ هـ ، فدخلها صلحا في ١ شوال سنة ٩٤ هـ / ٣٠ حزيران - ٧١٣ م حيث
صالحه أهلها (٢٨٩) .

❀ فتح إشبيلية ثانية

حيث كان موسى محاصرا (مارده) ، ثار عجم إشبيلية وارتدوا
وقاموا على من فيها من المسلمين ، واستشهد من المسلمين نحو ثمانين شهيدا ،
فلما أن فتح ماردة وجه موسى ابنه عبد العزيز في جيش إلى إشبيلية ففتحها ،
وقتل أهلها ، ونهض إلى (ليلة) ففتحها أيضا ، فاستقامت الأمور فيها هنالك
وعلا الإسلام (٢٩٠) ولم يغادر عبد العزيز بن موسى إشبيلية إلا بعد أن ترك في
إشبيلية وباجة وليلة حاميات إسلامية لتؤمنها من أي تدبير يقوم به القوط
وكانت حامية بتحة قوية بقيادة قائد عربي هو عبد الجبار قائد ميسرة موسى بن
نصير (٢٩١) .

أقام موسى بن نصير شهرا في (ماردة) بعد افتتاحها يرتب أمورها ،
وينجز متطلبات جيشه الإدارية تمهيدا لمتابعة الفتح وتطهير الجزء الشمالي من
غرب الأندلس من بقايا القوط وعلى رأسهم لذريق ، وكان موسى قد أدرك أن
مراكز المقاومة للقوطية بدأت تتجمع في هذه المنطقة بالذات لعرقلة مسيرة
الفتح بالإفادة من وعورة المنطقة ، ظنا منهم أن المسلمين لن يستطيعوا الوصول
إليها، واستعدادا للهرب إلى نواحي (قشتالة) و(إسترامادورة) إذا ما وطئت أقدام
المسلمين هذه النواحي من شمال غربي الأندلس (٢٩٢) .

لقد كانت محاولة القوط استرداد (إشبيلية) خطوه مدبرة لقطع طريق
الرجعة على قوات موسى ، لولا أن عبد العزيز بن موسى استطاع أن يجمد

الحركة ، كما تمكن من القضاء على مركز المقاومة في (ليلة) ، فما كادت تسقط (ماردة) حتى تراجع لذريق وتحصن هو وجنوده في شعاب جبال (سيرادي فرانثيا) مما يلى وادي (أنة) إلى الشمال وأقاموا هناك ينتظرون الفرصة لمهاجمة جيوش المسلمين ، وقدر موسى موقف عدوة تقديراً صائباً ، فاكتشف أن العدو له كمين في طريقه إلى (طليطلة) ، ولم يكن موسى ليستطيع السير من (ماردة) إلى (طليطلة) والعدو يهدد خطوط مواصلاته بهذا الكمين ، فكان لا بد له من القضاء على التجمعات المعادية ، لذلك استدعى طارقاً ليلقاه في منتصف الطريق بين (ماردة) و (طليطلة) وخرج طارق بجيوشه ، وسار مسافة قدرها مائة وخمسين كيلوا متر في الطريق الموصل ما بين (طليطلة) و (طليطيرة) وبحذاء واد يقال له (الأروكامبو) وانتظر موسى في هذا الوادي في مكان يسمى المعرض بين (التاجه) ونهر (التيار) (٢٩٣) .

وتابع موسى سيره بعد ذلك في الطريق إلى (طليطلة) حيث التقى بطارق في موضع يقال له (تايد) أو التيار وهو نهير في المنطقة ، لقد اتبع موسى وطارق الطريق الروماني القديم الممتد من (ماردة) إلى (سلمنقة) ، وسار في نقطة إنقاء الطريقين الموصولين من (ماردة) إلى (سلمنقة) ، ومن (آلية دي تورميس) إلى (ثيوداد رودريجو) ومضى في فج منسوب إليه (٢٩٤) بحذاء نهير سمي من ذلك الحين بـ(وادي موسى) ، وظن لذريق أن الفرصة قد سنحت في المسلمين لتوسطهم هذه الطريق الطويل وبعدهم عن أي مركز يستطيعون من طلب المعونة ، وانقضوا على جيش موسى في ناحية (السواقي) وهي (سيجو بلادي لوس كورنيخو) بالقرب من بلدة (تماس) ، وهناك وقعت فيه المعركة الحاسمة الثانية في سنة ٩٤هـ / ٧١٣م، وفي هذه المعركة لقي لذريق حتفه على يد مروان بن موسى ابن نصير ، وهزم القوط هزيمة نكراء .

إن اشتباك المسلمين مع القوط ، قد شجع عدد من القوط وأنصارهم في (طليطلة) على نقض طاعة المسلمين فانتهزوا فرصة خروج طارق وجنده منها ورغبوا ويثبوا بها ، فاضطر موسى إلى فتحها من جديد (٢٩٥) .

وفي طليطلة ، أقام موسى طوال فصل الشتاء من سنة ٩٤ هـ ، يدبر أمرها ثم ضرب عملة ذهبية وأخرى برونزية لصرف رواتب الجند وذلك بدار السكة القوطية بطليطلة ، ثم بعث موسى برسولين إلى الوليد بن عبد الملك ينقلان إليه أخبار هذا الفتح العظيم ، ووقع اختياره على التابعي علي بن رباح وكان رجلاً صالحاً في نحو الثمانين من عمره (٢٩٦) ، ومغيث الرومي فاتح قرطبة ومولى الوليد بن عبد الملك .

✽ فتح شمال الأندلس

لما انقضى فصل الشتاء ، واطمأن موسى إلى هدوء ما بيده من البلاد ، عزم على متابعة الفتح فأخذ يستعد للسير نحو الشمال لإكمال فتح شبه جزيرة الأندلس ، وجمع جيوشه وأكمل أمورها الإدارية ثم سار بها نحو (سرقسطة) الواقعة ، على الضفة اليمنى من نهر (أبره) وكان طارق على مقدمته وسار موسى خلفه في جيوشه ، وافتتح (سرقسطة) وأعمالها وتقدم في البلاد وطارق أمامه لا يمران بموضع إلا فتح عليهما وقد ألقى الله الرعب في قلوب العدو ، فلم يعارضهما أحد إلا بطلب صلح ، وموسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتدائه ، ويوثق للناس على ما عاهدوه عليه (٢٩٧) ولم تكد طلائع المسلمين تشرف على (سرقسطة) حتى رعب أسقفها (بنسيو) ومن معه من الرهبان ، فجمعوا كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجرة من البلد والفرار بهذه الذخائر ، فلم يلبث موسى أن أرسل إليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده ، فسكنت مخاوفهم وعذبوا عن مغادرة المدينة (٢٩٨) ، وفتحت المدينة البيضاء (سرقسطة)

أبوابها للمسلمين سنة ٩٤هـ ، ولم يكد المسلمون يستقرون في هذا البلد حتى قام التابعي حنش بن عبد الملك الصنعاني بإنشاء مسجد للمدينة وقد قدر لهذا المسجد أن يتسع حتى أصبح مسجداً جامعاً وظل قروناً متوالية مناراً للإسلام وأهله في هذه النواحي (٢٩٩) .

وبعد فتح (سرقسطة) فتح موسى (وشقة) و(لاردة) و(طركونة) ، وكانت أغلب المناطق التي سار فيها الجيش أرضاً جرداء ، وكانت أغلب المناطق التي يتحدث أهلها اللاتينية ، وبينما كان موسى يعد العدة لفتح (جليقة) إذ أتاه مغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك يأمره بالخروج من الأندلس والتوقف عن التوسع في البلاد ، وأن يعود إلى دمشق ، ولكن قدوم مغيث لم يمنع موسى عن المضي في ذلك ، إذ لم يكن في الأندلس بلد لم يدخله المسلمون إلى ذمته غير (جليقة) ، فكان شديد الحرص على فتحها ، وطلب من مغيث البقاء في الأندلس بعض الوقت ريثما يتم فتح (جليقة) ، وقبل مغيث بذلك بعد أن وهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب إليه في عهد المسلمين ، وهو (بلاط مغيث) لجمع أرضه من أرض الخمس ، وبعد ذلك بادر موسى بالسير شمالاً لفتح (قشالة القديمة) تأميناً للحدود الشمالية لإقليم (طليطلة) (٣٠٠) .

وكان يتفرغ من (سرقسطة) طريقان رومانيان يتجهان من الشرق إلى الغرب ، الأول يذهب بحذاء نهر أبره (الأبرو) حتى (هارو) ، ومن هناك يتبع (برفيسكا) ثم (أماية) ، ثم (ليون) و(أستركة) ، والثاني يفصل من الطريق الأول عند بدايته ويتجه إلى (قلونية) و(بلنسية) ، ويلتقي بالطريق الممتد من (ماردة) إلى (أستركة) في مدينة (بنافسي) وكان لا بد لموسى من السير في كل من هذين الطريقين : مقسم جيشه إلى قسمين ، قسم بقيادته والآخر بقيادة طارق .

واختار موسى الطريق الثاني ، وعهد إلى طارق بالسير في الطريق الأولى أدنى سفوح جبال (كنتبرية) .

وشرع طارق بمهاجمة (اليشكنس) غربي نهر (أبرة) ، فلم يجد زعيم هذه المنطقة (فرتون) بداً من الدخول في طاعة المسلمين بل اعتنق الإسلام، ولذلك أعفيت (شبه) منطقته من التخميس ، وإليه ينتسب بنوفسى أصحاب الثغر الأعلى الذين كان لهم شأن في تاريخ المسلمين في الأندلس (٣٠١) .

ثم تابع طارق سيره ، ففتح (أماية) و(أسرقة) .

وسار موسى نفسه على الضفة الشرقية لنهر (إبره) في إقليم (قشتالة) فأطاعه معظم من مر بهم من رؤساء هذه الناحية ، وقد لقي بعض المقاومة عند حصن (بارو) أو (بازو) في مقاطعة (بلد الوليد) التي لا يزال يطلق عليها الإسبان اليوم (فاليا دolid) ، وبدلاً من أن يعرج على (أسترقه) ليلتقي فيها بجيش طارق ، انحرف إلى الشمال واخترق باب (تارنا) ، وسار متابعاً مجرى نهر (النالون) ثم حط رحاله عند قلعة (لُك) ب(إشتوريش) غير بعيد عن (أبيط) ، ومازال بها حتى فتحها ، ثم سار بنفسه حتى بلغ (ضيغون) وأقر فيها حامية وجعلها حصناً لما فتحه من البلاد في تلك النواحي البعيدة ، ثم بعث سرية من مرساته أدركت البحر عند صخره (بلاي) على بحر الظلمات فطاعت الأعاجم، ولانوا بالسلم وبذل الجزية (٣٠٢) .

وهكذا وصلت جيوش موسى حتى البحر المحيط ، فاطمأن إلى أن فتح شبه الجزيرة كلها ، لذلك شعر أنه لم يعد هناك معنى للاسترسال في الفتح ، وكان موسى يترك في كل قلعة يفتحها حامية من المسلمين ، فتفرق جنده ، وطال السير بمن بقي معه منهم ، ونال منهم الجهد ، فمالت نفوسهم إلى العودة ، فاكتمى موسى بوصله إلى (ضيخون) ، وقرر العودة ، غير أن عدداً كبيراً من القوط قد تراجعوا أمامه واحتموا في نواحي (إشتوريش) و(جليقة) ، وكان المسلمون يحسبون أنهم قضوا على القوط حتى لم يبق منهم إلا ثلاثون رجلاً والواقع أن من بقي من القوط آنذاك قليلاً ، ولكن العرب شغلوا بأمور أنفسهم ، فاستطاعت

هذه الحفنة القوطية أن تطمئن في هذه النواحي القاصية القاحلة ، وأن تنتظر
لتنهز في المسلمين كل فرصة تسنح (٣٠٣) .

ولما انتهى موسى في فتوحه إلى هذا الحد القاصي كان لا بد أن يعود لا
إلى (طليطلة) أو (قرطبة) فقط بل إلى دمشق ، فقد كان مغيث الرومي رسول
ال خليفة يتعجله وكان الوليد بن عبد الملك قد بعث إليه برسول آخر يكنى أبا
نصر ، وقد أتاه وهو في مدينة (لك) بـ (جليقة) (٣٠٤) .

كما أن موسى بن نصير بعد أن افتتح (سرقسطة) بعث سراياه إلى
(قطالونه) ففتحت (برشلونة) ، ومن هناك اخترقت جبال البرتات (البرانس) ،
وتوغلت في بلاد (غاله) ، فاستولى على (أربونه) وصخره (أيسيثون) وحصن
(لودون) على وادي (ردونه) وهو وادي نهر (الرون) ، ولا تستبعد أن تكون
قوات موسى قد افتتحت (برشلونة) و (لارده) وجزء من إقليم (قطالونية) وأنها
قد وصلت إلى جبال (البرتات) واجتازتها إلى (قرقشونه) ، وهو نفس الطريق
الذي اتبعه السمع بن مالك بعد ذلك بسنوات ولكن فتح موسى هذا لم يكن فتحاً
مستداماً إنما كان بقوات استطلاعية خفيفة استطاعت جمع المعلومات عن تلك
المنطقة من بلاد فرنسا تمهيداً لفتحها فيما بعد (٣٠٥) .

كذلك فتح عبد العزيز بن موسى ما بقي من مدائن الأندلس ، إذ لم يفتح
المسلمون جميع أنحاء شبه الجزيرة فقد بقيت في البلاد مناطق لم تصل إليها
جيوش المسلمين بعد ، وقد تجمعت في بعض الأقاليم غير المفتوحة وفي الجيوب
الجبلية النائية الوعرة مراكز للمقاومة القوطية ضد المسلمين ، فاقترض الأمر
إخماد هذه المقاومة وإتمام فتح الأندلس (٣٠٦) .

سار عبد العزيز على رأس جيشه لاستكمال فتح غرب الأندلس (البرتغال
حالياً) ، حيث أنه بينما كان موسى بن نصير وطارق بن زياد يفتحان البلاد من

(سرقسطة) عبر (قشتالة) القديمة ،توجه في سنة ٩٥هـ / ٧١٤م نحو (إبارة) و (شنترين) و(قلموية) وظل فتحها إلى أقصى الغرب بقصد ملاقاته الفرق الإسلامية في (أسترقه) ،حيث أنه قد فتح (شنترين) و (قلموية) صلحا (٣٠٧) ، لقد كان موسى بن نصير يحسب حسابه بدقة متناهية حيث أن الموقف العسكري كان يحتم عليه أن يحمي جناح تقدمه الأيسر ، وذلك إنشاء فتوحاته الأخيرة ، وإلا تعرضت خطوط مواصلاته الممتدة بالعمق شمالا إلى تهديد العدو الرابض في غرب الأندلس (البرتغال) ، فلم يكن باستطاعة موسى أن يتقدم شمالا ما لم يؤمن جناحه الأيسر بالحماية اللازمة ، وذلك بفتح هذه المنطقة ، ولم يكن هناك أولى بفتحها من عبد العزيز بن موسى الذي كان قد وصل إلى (باجة) القريبة من غربي الأندلس (٣٠٨) .

وقد بادر موسى بالعودة من (لك) بـ(جليقة) مع أبي نصر الرسول الثاني للوليد بن عبد الملك ، وكان مع أبي نصر رسالة الوليد إلى موسى يأمره بالخروج ، فأخذ موسى في طريق العودة في أواخر سنة ٩٥هـ / ٧٤١م ، والتقى مع مغيث الرومي بنواحي (ليون) ، وهناك أدرکهما طارق عائدا من (أسترقه) ، وساروا جميعا فاخترقوا (نتج موسى) في طريقهم إلى(طليطلة) ، ولم يبق موسى في (طليطلة) وإنما مضى حتى دخل (قرطبة) ، ثم مضى إلى (إشبيلية) حيث ركب البحر ومعه طارق ومغيث الرومي وأبو نصر في ذي الحجة سنة ٩٥هـ ، وكان معهم (يوليان) ، وفي (إشبيلية) استخلف موسى ابنه عبد العزيز بعد أن اختارها عاصمة للأندلس ، لاتصالها بالبحر (٣٠٩) ، وترك معه الجند ومن يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو (٣١٠) .

أبحر موسى ومن معه من(إشبيلية) ، وكان يأمل أن يخترق ما بقي عليه من بلاد أفرنجة ، ويقتحم الأرض الكبيرة حتى يصل بالشام ، مؤملا أن يتخذ

مسلكا بذلك الأرض طريقا واضحا يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق وإليه على البر لا يركبون بحرا (٣١١) .

وقد استخلف موسى ابنه عبد الله على إفريقية وابنه مروان على (طنجة) و(السوس) ، فمر في طريق عودته ب(القيروان) ثم قدم (مصر) سنة ٩٥هـ — ، ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين و بلغ دمشق سنة ٩٦هـ / ٧٥١م (٣١٢) .

ويبدو أن الوليد ومن بعده سليمان اعتقد أن موسى غرر بالمسلمين ، وأنه عرضهم للممالك بتغلغله إلى حدود بعيدة في الأندلس ، كما أنهما خشيا من طموح موسى في التقدم في بلاد أبعد من الأندلس فيقود المسلمين إلى رومية ، وأن موسى أراد أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز إلى الشام دروبه ودروب الأندلس ، ويخوض إليها ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية مجاهدا فيهم ، إلى أن يلحق بداية الخلافة كما أن الوليد لم يكن مطمئنا على أمن المسلمين في الأندلس ، إذ خشي تغلب العدو عليهم ، كذلك كان طموح موسى في التوسع بالفتح ، سببا واضحا لاستدعائه إلى دمشق (٣١٣) .

وبهذا الفتح العظيم ، الذي لم يستمر أكثر من ثلاث سنوات امتدت رقعة أرض الإسلام إلى قارة أوروبا باقتطاع شبه جزيرة الأندلس ، التي أصبحت مثل الكم في ثوب الإسلام (٣١٤) .

✽ فتح بلاد ما وراء النهر

إن سياسة فتح بلاد ما وراء النهر لم تنظم إلا في عهد الوليد بن عبد الملك ، فقد أرسل الحجاج ، بدل المفضل بن مهلب قتيبة بن مسلم ، وتولى قتيبة بن مسلم قيادة جيش المشرق وولاية خراسان سنة ٨٦هـ/٧٠٤م ، وكان قد تدرب على الإدارة وقيادة القطاعات العسكرية خلال ولايته للري ، وكان فتى يتحرك شوقاً للجهاد في سبيل الله وإعلاء شأن العرب والإسلام (٣١٥) .

وفي سنة ٨٦هـ/٧٠٤م تقدم قتيبة بن مسلم الباهلي من مرو باتجاه الشرق مع أعالي نهر جيحون في ولاية طخارستان وهي التي تشكل شمال أفغانستان الحالية ماراً بمدن أندخوى وبلخ وخولم حتى استقر في الطالقان وبعد وصوله إلى الطالقان بقليل وصلها جيش بلخ ودها فبينما لمساعدته في عبور النهر ، وبعد أن تجمع جيشه بكامله عبر جيحون فلتقاه ملك الصاغينان بالهدايا والترحاب (والصاغينان هي منطقة وادبي كافرنيكان وسورخند وتشكل القسم الجنوبي من طاجكستان) وكانت هناك مراسلات بين قتيبة وهذا الحاكم جعلته يدخل الصاغينان بدون قتال (٣١٦) .

إن ملوك آخرون وشومان (القسم الأوسط من طاجستان) كان في عدااء مع الملك الصاغينان ويهاجمه باستمرار ، ثم تقدم قتيبة نحو آخرون وشومان وقد انضم إلى جيشه الملك تيش ملك الصاغينان انتقاماً من ملك شومان عدوه فأخطر حاكم آخرون وشومان إلى الاستسلام وقبول الصلح بشروط قتيبة (٣١٧) .

وبعد ذلك عاد قتيبة مع قسم من قطعانه إلى مرو ولم يتبع طريق ترمز مرو أو طريق زم - مرو ، بل سار مع جيحون شمالاً إلى الغرب من بخاري وهي هدفه القادم وعبر جيحون عائداً من أمل (جهارجوي) وأقرز قسماً من جيشه بقيادة أخيه صالح بن مسلم للتقدم باتجاه شمالي شرقي نحو فرغانة - واستطاع صالح بن مسلم فتح أخشيك (وهي فرغانة القديمة) ومدينتي كاسان

وأورشث من مملكة فرغانة ، وكان نصر بن سيار يرافق صالح بن مسلم في هذا الفتح (٣١٨) .

✽ فتح بيكند

إن خطة قتية كانت الشروع بالحركات العسكرية في الربيع والعودة قبل حلول الشتاء إلى مرو ، لكي يجنب قطاعاته الشتاء القاسي فيما وراء النهر ولكي يعد العدة لحملة جديدة وإراحة قطاعاته والقيام بعملية إعادة التنظيم .

وكانت مدينة بيكند تقع على مسافة أربعين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من بخارى على نهر زرفشان وعلى الطريق التجاري المهم الذي يربط بخارى بالمرور عبر مدينة آمل على جيحون (٣١٩) .

وكانت من أهم المدن التجارية بين الصين وبحر الخزر وخراسان علاوة على أنها منطقة زراعية إذ تقع في سهل بخارى الغني بمياه نهر زرفشان (ناثر الذهب) ، وكانت المدينة محاطة بأسوار ضخمة ومحمية بقوة كبيرة لذلك سميت (المدينة ذات النطاق النحاسي) لكثرة دروع وأسلحة الحرس على الأسوار (٣٢٠) .

تقدم قتية بقواته العربية معززة بقطاعات المسلمين من خراسان وطخارستان والصاغنيان وكان فيهم نيزك طرخان حاكم بادغيس وحاكم بلخ وملك الصاغنيان ، وكان التقدم يجري على طريق مرو - زم وهي الآن تسمى (كركي) فعبر نهر جيحون من زم واتجه باتجاه شمالي غربي من جيحون قاصداً بيكند ، وقد استعدت حامية بيكند للحصار ، بينما استجد حاكم بخارى ، فجمع كل محازي الصغد من دولته ومن الدول المجاورة له من الشاش وأشروسنه وغيرها .

حاول قتية اقتحام الأسوار ونظراً لتوقف العدو ومعرفة البخاريين أراضيهم وطبيعتها فقد تمكنوا مع حلفائهم الأتراك وقطعان الدول التي أنجدهم

من تطويق الجيش العربي الذي كان يحاصر بيكند ، فقطعت كافة خطوط مواصلاته وبات في ضيق شديد وانقطعت أخباره عن الحجاج في الكوفة (٣٢١).

حاول البخاريون (الصغد) حمل قتيبة على التراجع بعد هجمات شديدة مستغلين تفوقهم الكبير بالعدد فلم يفلحوا بذلك ، ثم انطلقوا يذيعون الشائعات عن موت الحجاج فلم يجدهم ذلك كله فتبلا تلقاء ما كان عليه قتيبة من شجاعة خارقة وإقدام ، واشترك الفريقان في قتال انتهى بهزيمة الترك ، ففر فريق منهم وقد ملئ رعبا في حين لاذ آخر بمدينة بيكند الحصينة (٣٢٢).

حاول قتيبة دك أسوارها لفتح ثغرات في أسفل الأسوار ، إلا أن حامية المدينة طلبت الصلح فوافق قتيبة بعد أن حاصرها خمسين يوما ، وعين لها حاكما من قطعانه وهو ورقة بن نصر وعاد منسحبا إلى مرو ، وما أن ابتعد عن بيكند (٥) فراسخ أي (٣٠) كيلو مترا حتى علم بتمرد بيكند واستشهاد ورقة بن نصر فاستدار نحو بيكند ، فحاصر المدينة التي حاولت الصلح فرفضه قتيبة وأصر على مهاجمتها فباشر ينقب أسوارها بفتح ثغرات فيه بواسطة المنجنيق حتى هدم أسوارها واقتحمها وأباد حاميته (٣٢٣).

وكانت حامية بيكند مدججة بالسلاح وفيها مخازن ومستودعات كبيرة للأسلحة ، لهذا قرر قتيبة مصادرة الأسلحة لتسليح قطاعات جديدة ، وكان فتح بيكند في سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م (٣٢٤).

بعد التجربة التي خاضها قتيبة في فتح بيكند ، ونظرا لتفوق الصغد وحلفائهم من الأتراك والأشروشين لذلك فإنه اتخذ قراراتين مهمين في سير الحركات العسكرية وهما أن يتقدم ببطء وحذر ، وأن يعزل بخارى ، وذلك بفتحها لوحدها مستقبلا .

وفي عام ٨٨هـ/٧٠٦م ، تقدم الجيش العربي من مرو التي عاد إليها بعد فتح بيكند لقضاء الشتاء ، وعبر أموداريا (جيحون) من رم ، ففتح نومشكث وكرمينية وهما إلى الشرق من بخارى ثم تقدم إلى رامنتة الكائنة شمال بخارى فاستسلمت دونما قتال وقبلت الصلح فعاد الجيش العربي منسحباً من رامنتة (٣٢٥).

وكان أمير الصغد في بخارى قد استنجد بحكام الدول الشرقية من الأتراك والفرعانيين والأشروشييين والإيغوريين الصينيين ، فتقدم جيش عظيم من هؤلاء الحلفاء ، فحصل جيش الحلفاء على النحاس بمؤخرة الجيش العربي ، وكان على الساقة (مؤخرة المؤخرة) عبد الرحمن بن مسلم شقيق قتيبة ، وأن العدو كاد أن يتغلب على المؤخرة التي كان يقودها عبد الرحمن بن مسلم ، إلا أن ظهور قتيبة بنفسه في ميدان المعركة قد رفع من معنويات جيشه ، ودارت معركة طاحنة ، أبلى فيها قتيبة وكل جندي عربي ومسلم بلاء حسناً ، فتمكنوا من توجيه طعنات مميتة وطعنات ساحقة لجيش الحلفاء ، فتراجعت فلولهم مذعورة نحو الشرق ، وبعد أن أعاد قتيبة تنظيم قطاعاته استمر في انسحابه نحو مرو .

إن قتيبة استعمل الحيلة والمفاوضات لتفريق خصومه ، فقد أرسل حيان النبطي، لمقابلة طرخون ملك الصغد ، بما فيها بخارى موضعاً له بأنه إذا أندحر المسلمون وانسحبوا فإن حلفاءه من الأتراك والشاشي والتركستان الصينية بقيادة كور مغان ابن أخت ملك الصين ، سوف يخلعوناه من العرش وسيسيطرون على بلاده ، ومن الأسلم له أن يعقد صلحاً مع قتيبة بحجة أن إمدادات كبيره قد وصلت لقتيبة ، وأنه لا طاقة له بهم وأنه قرر الانسحاب ، فسوف ينسحب الآخرون ، وهذا ما تم فعلاً إذا انسحب ملك الصغد وياشر الآخرون بالانسحاب تبعاً (٣٢٦) .

❁ فتح بخارى

في سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ م ، كان قتيبة قد عزل بخارى بعد أن أخضع في السنة الماضية المناطق المحيطة بها ، فاستلم وصايا الحركات من الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد الجبهة الشرقية ووالي العراق ، بالتقدم نحو وردان الكائنة إلى الشمال من بخارى (٣٢٧) .

تقدم قتيبة بجيشه نحو وردان ، إلا أن التغير العام الذي أعلنه حاكم بخارى وجموع الحلفاء الصغديين وغيرهم قد تجمعوا لصدده في خرقانة السفلى على يمين وردان ، ومع ذلك فبعد قتال شديد دام يومين وليلتين تمكن الجيش العربي من دحرهم ، إلا أنه لم يتمكن من التغلب على وردان خداه (ملك بخارى) الذي تحصن في مدينة وردان ، فعاد منسحباً إلى مرو لإعادة التنظيم .

إن الحجاج ، طلب مزيداً من المعلومات من قتيبة مع خريطة لميدان الحركات ، وأن الحجاج طلب من قتيبة في رسالته (أن صورها ، فبعث بصورتها) وقد استلم قتيبة جواباً لرسالته ، وفيها وصايا الحركات الجديدة من الحجاج .

وأنه ينصح بأن تبدأ الحركات بتطهير منطقة كش (كش بكش) حيث تقع كش إلى الشرق من مدينة NSF ، تم مهاجمة مدينة NSF ، ثم هاجم مدينة وردان ، وانتبه وخذ الحذر ضد التطويق ، وأسرع نحو أهدافك بخط مستقيم وتجنب منعطفات الطرق (٣٢٨) .

تقدم قتيبة بجيشه عام ٩٠ هـ / ٧٠٧ م ، فتمكن من تطويق بخارى دوردان ، إلا أن جموع الصغد وحلفائهم التي قد تجمعت في ميدان المعركة لنجدة بخاري حسي استغاثة وردان ضده (الملك وردان) قد شجعت حاميه بخارى على الخروج الطوق ، فدار اعنف قتال شهدته المعركة بين الجيش العربي وحلفاء بخارى ، وحاول قتيبة دحر الحلفاء بهجمات متتالية دونما طائل لذلك قرر أن يقدم الفرقة الأزدية قتالاً ضارياً (قبيلة الأزدي اليمانية) فقاتلت

الفرقة الأردنية قتالا ضاريا بهجمات متتالية إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافها ، فأوعز قتيبة للفرقة الأردنية بمواصلة القتال ريثما دفع بكتائب الخيالة العربية بحركة إحاطة من الجانبين (حركة كماشه) فأثرت الإحاطة الراكبة هذه على الموقف فتراجع الحلفاء إلى مرتفع عبر نهر زرفشان (٢٢٩) .

ثم أوعز قتيبة إلى الفرقة التميمية بالتقدم وعبور النهر وتأسيس رأس جسر وإزاحة المقاومة الصغدية على النل فتقدم قائد الفرقة وكيع بن حسان بن قيس التميمي وكان قائد كتيبة الخيالة في الفرقة هريم بن أبي طلحة ، وقد تمكنت الفرقة من دفع العدو إلى ما وراء النهر ثم أمر وكيع بنصب جسر من خشب على الزرفشان ، فعبر الفرسان العرب النهر فدارت معركة عنيفة صمد فيها الصغديون والأتراك وإزالة المقاومة طلب قائد الفرقة من هريم قائد الخيالة القيام بحركة إحاطة للموقع ريثما يتهيأ له مهاجمته من الجبهة بغية اشغال العدو وجلب انتباهه لحركة الإحاطة والتطويق فدار قتال عنيف على المرتفع وقائد الجيش قتيبة يراقب الموقف عن كثب فانهزم العدو فتراجع بغير انتظام ولكي يضرب القائد ضربته الحاسمه أوعز قتيبة بمطاردة شديدة للعدو (٢٣٠) .

أن الملك طلب الصلح لمدينة بخارى ، إلا أن قتيبة قد أعد كميناً لكي يهجم على الباب فور فتحها له ، وإذا ما تغلب الكمين على حرس الباب فإنه سيأخذ المدينة عنوة .

وبعد أن فتحوا الباب هاجمها الفرسان العرب وتغلبوا على الحرس وكان قتيبة قد دخل بخارى فاتحاً ، ولغرض إعادة التنظيم عاد قتيبة إلى قاعدته مرو .

بعد فتح بخارى عاد الجيش ، وعند الوصول إلى أمل استأذن ينزك طرخان ملك بادغيس في العودة إلى طخارستان ، فأذن له قتيبة إلا أن ينزك تمرد عند وصوله إلى بلاده فأرسل قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم في ١٢ ألف

مقاتل لإعادة فتح بادغيس وبلخ والطالقان ، فتقدم عبد الرحمن وتبعه قتيبة بعد انقضاء الشتاء فأعاد فتح البروقان والجوزجان والطالقان وظل عبد الرحمن على مقدمة جيش قتيبة يطارد ينزك وجيشه من واد لآخر حتى تحصن بـترك في الكرز ، وكان مضيق الكرز من الوعورة بمكان ، إذ ليس له إلا طريق اقتراب واحد أغلقه ينزك بقوة، وهنا بدر لقتيبة أن يستدرج ينزك بالحيلة والخداع ، فدعا قتيبة أحد وكلائه وكان صديقا لينزك ، واسمه سليمان الناصح ، فطلب منه أن يتصل بنينزك ويستدرجه على أن لا يعطيه الأمان ، وأرسل مع سليمان الناصح جنودا من خيرة الفرسان ، استعملهم سليمان بعد أن استدرج ينزك للصلح ، في عزل ينزك عن جنوده بغلق مدخل المضيق ، وجلب بنزك إلى قتيبة ومع ذلك لم يقتله قتيبة بل ، كتب يستأذن الحجاج بقتله ، فجاءه جواب الحجاج بالموافقة ، ليكونن مثلا لكل مرشد وناكث بالعهد (٣٣١) .

لقد قضى قتيبة عامي ٩١هـ / ٩٢هـ في توطيد الأمن في أفغانستان بعد الفتن التي أثارها ينزك وبعد امتناع ملك شومان من دفع الجزية ففتح قتيبة شومان ثانية وهي القسم الجنوبي من طاجاكستان كما عقد الصلح مع الملك وتبيل الأعظم في سجستان .

وأحمد تمرد مدينتي كشف ونسف ، ووطد الأمن تماما في كل بلاد ما وراء النهر بين جيحون ووادي زرفشان (٣٣٢) .

✽ فتح خوارزم

كذلك امتدت فتوحات قتيبة إلى دولة خوارزم غرب أموداريا (جيحون) ، وإلى الجنوب من بحيرة أورال وهي تجاور مملكة بخارى في الشمال الغربي ولا يفصلها عنها سوى نهر جيحون نفسه .

وأنه كان لملك خوارزم شاه أخ اسمه خورزاد ، وأنه كان يتحكم في الأمور ، وقد طغى وتجرع وعاث فسادا في خوارزم ، ولم يكن خوارزم شاه قادرا على رده ، وقد جرت مراسلات بين قتيبة وخوارزم شاه ، وقد جرى الاتفاق السري بين الاثنين على أن يقضي قتيبة على الملك خام جرد ، الذي كان يعادي ملك خوارزم ويغزوه باستمرار ، وأن يقضي في نفس الوقت على شقيقه خورزاد ، ومقابل ذلك يسمح ملك خوارزم لقتيبة بدخول مملكته ، والاتفاق على صلح ، يكون خوارزم شاه بموجبه حليفا للمسلمين (٣٣٣) .

وفي سنة ٩٣هـ / ٧١١م تقدم قتيبة من مرو وعبر جيحون ، وقد أشاع أنه يهدف إلى التقدم نحو الصغد (سمرقند) وقد ساعد ذلك ما تحدث به ملك خوارزم لشعبه ، أن قتيبة يريد الصغد وليس خوارزم ، وما هي إلا عدة أيام حتى استدار قتيبة بجيشه نحو الغرب فوصل إلى مدينة هزارسب على جيحون فاستشار خوارزم شاه الذي كان قد اتفق سرا مع قتيبة على هذه الخطة ، أجابهم (لكني لا أرى ذلك لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ، ولكني أصرفه بشيء أؤديه إليه ، فأجابوه إلى ذلك) (٣٣٤) .

فسار ملك خوارزم بجيشه إلى مدينة الفيصل ، وهي أحصن بلادها والمواجهة لمدينة هزارسب التي فيها قتيبة ، واتفقا على أن يدفع الخوارزميون عشرة آلاف رأس غنم على أن يعين قتيبة خوارزم شاه على مملكة خام جرد عدوه .

ولما كان خورزاد قد إلتجأ إلى خام جرد ، فقد أرسل قتيبة جيشا بقيادة أخيه عبد الرحمن بن مسلم فقضى على جيش خام جرد ، وعاد بأربعة آلاف أسير بينهم شقيق خوارزم شاه فدفع قتيبة بالأسرى إلى الملك الخوارزمي ، وولى قتيبة أخله عبد الله بن مسلم حاكما على خوارزم (٣٣٥) .

❁ فتح سمرقند

كانت سمرقند تشكل أمنح حصون الصغد وأقوى المدن الحصينة في بلاد ما وراء النهر ، وكان ملكها غورك قد استولى على الحكم بعد مقتل ملكها تارخون الذي سبق أن قبل بالصلح مع المسلمين ، بينما أدى الأمير ديفا شتيج أولاد الملك القتيل ولقب نفسه بلقب قيصر الصغد جمع قتيبة قطاعاته وألقى فيهم خطاباً أوضح فيه أن بلاد الصغد شاغرة ، وأنهم قد نقضوا العهد ونكلوا بالحامية العربية ، وأنه قد عزم على فتح سمرقند ، ثم تقدم وراء عبد الرحمن فوصل إلى سمرقند بعد حصول عبد الرحمن على النحاس بحامية سمرقند الصغدية بثلاثة أيام ، وأن المدينة قررت قبول الحصار فحاصرها شهراً (٣٣٦) .

على أثر تقدم قتيبة بجيشه العربي يسانده ملك خوارزم وملك بخارى نحو سمرقند ، كتب غورك ملك سمرقند إلى الدول التركية المجاورة ، وهي الشاش (عاصمتها طاشقند) وأشروسنة ، وفرغانة وتحصنت الحامية التركية وراء أسوار سمرقند الحصينة ، وكان ذلك في عام ٩٣هـ / ٧١١م .

حاول قتيبة اقتحام المدينة عدة مرات إلا أنه كان يصطدم بمقاومة عنيفة ، وقد بذل الطرفان جهداً جباراً في الصراع من أجل النصر ، لأن الطرفان كان يعتبر معركة سمرقند حاسمة ، وقد دام حصار قتيبة للمدينة شهراً كاملاً ، تمكنت خلاله النجادات التركية من الشاش وأشروسنة وفرغانة من الوصول إلى ميدان المعركة ، انتخب الفرغانيون والشاشيون خيرة جنودهم وفرسانهم والمعدودين من أبطالهم ، وكان من بينهم أبناء الملك والأمراء وولوا قيادة جيش النجادات هذه للابن الأصغر لخاقان الترك واسمه إينيل خاقان ، تقديراً منهم أن المعركة حاسمة ولا بد من الانتصار فيها (٣٣٧) .

عندما بلغ قتيبة نبأ النجداث باتجاه سمرقند لفك الحصار عنها ، انصرف إلى دراسة الموقف العسكري مجدداً ، وعلى ضوء الظروف الجديدة والقوى الكبيرة التي ستدخل ميدان الصراع ، لذلك انتخب قتيبة ستمائة فارس من خيرة فرسان العرب ، وشكل منهم كتيبة بقيادة أخيه صالح بن مسلم ، ، وقد أمر قتيبة صالحاً أن يتقدم على الطريق ويكمن على مسافة فرسخين (١٢ كيلوا متر) وأن يقطع رتل النجداث بهجوم ليلي مباغت .

تحرك صالح وكتيبته ، وقرر صالح بعد استطلاع المنطقة الكائنة شرقي سمرقند وعلى طريق سمرقند - طاشقند تقسيم الكتيبة إلى كمينتين - أحدهما يمين الطريق والآخر يساره (٣٣٨) .

بعد أن وصل الرتل المعادي واجتاز منطقة الكمينين لمدة مناسبة ، باشر الكمينان بهجوم صاعق ليلاً أرعب رتل العدو بمباغثة تامة ونشر الفوضى فسي صفوفهم ، وصار فرسان العرب يحصدون عدوهم حصداً في هجوم اتصف بكل معاني العزم والنجدة والشهامة ، إذ كان كل فارس في الكتيبة يعرف أهمية هذه المعركة ويدرك مدى خطورة وصول هذه النجداث إلى سمرقند ، وحسب الخطة التي وضعها قتيبة ، سحب أكثر قطاعاته من وراء أسوار سمرقند بسرية وكتملن شديدين كي لا تشعر به حامية المدينة ، فتخرج من الأسوار وراءه ، لتخفيف ضغطه على رتل النجداث ، فشن هجوماً صاعقاً على جبهة رتل العدو الذي قطعه الكمين فدارت أشرس معارك ما وراء النهر في تلك المعركة الليلية (٣٣٩) .

وبعد إبادة رتل النجداث إبادة تامة عاد قتيبة مسرعاً إلى أسوار سمرقند ، وقرر أن يدكها ويفتح المدينة مهما كلف الأمر ، وبعد أن أدام عليها قتيبة قصفاً مستمراً ليلاً نهاراً ، بواسطة المنجنيقات لإحداث ثغرات في الأسوار ، ثم دفع بقطاعاته من رماة السهام والنبال للتقرب من الثغرات لتغطية هجوم المشاه ،

فإقتحم المدينة بعاصفة من الجنود العرب الأشاوس ، ففتح المدينة واستسلم غورك ولكن حكمه قتيبة وبعد نظره ، قاده إلى إبقاء غورك حاكماً على الصغد ، وذلك بعد تحطيمه بنفسه هياكل المجوس ، ونظراً لأنه لم يمسه شيء فقد آمن عدد كبير منهم بالإسلام ، وقام بإبقاء حامية عربية داخل سمرقند وتعيين حاكم عربي للمدينة، ثم بنى في سمرقند مسجداً سماه مسجد قتيبة (٣٤٠) .

✽ فتح الشاش (طاشقند) وفرغانة

بعد أن عاد قتيبة إلى مرو فور إنتهائه من فتح سمرقند ، وجد أنه من المستحيل استتباب الأمن والنظام ما لم يقض نهائياً على القوات المسلحة للدول الثلاث الباقية إلى الشرق من الصغد (سمرقند) ، وهي الشاش وعاصمتها طاشقند، وأشروسنه، وعاصمتها خوجنده، وفرغانة عاصمتها فرغانة (٣٤١) .

وكانت خطته تقضي بالتقدم على جميع تلك الدول في آن واحد ، وكان هدفه تجميد قطاعات كل دولة داخل حدودها ، وعدم السماح لهم بنجدة الواحدة للأخرى ، لذلك وضع خطته للتقدم برتلين الأول الرتل الجنوبي بقيادته هو نفسه ، يتقدم على طريق سمرقند - خوجنده - فرغانة - كاشان ، وكان الرتل مؤلفاً من العرب - إذ أنه توقع مقاومة شديدة ، سيما وأنه سيقوم بحركات ضد دولتين أما الرتل الشمالي ، ويتألف من محاربي المناطق المفتوحة من مسلمي خوارزم ، بخاري ، سمرقند ، كش ، ونسف وغيرهم ، ويتقدم على طريق سمرقند - طاشقند ثم يلتقي بالرتل الجنوبي في كاسان (٣٤٢) .

وفي عام ٩٤هـ / ٧١٢م ، تقدم قتيبة من مرو عابراً جيحون ، وتوجه إلى منطقة التحشد في سمرقند ، حيث تحشدت أيضاً قطاعات الرتل الشمالي ، وجرى تنفيذ الخطة، إذ تقدم الرتل الجنوبي بقيادته على محور سمرقند ، خوجنده

فأخضعها بعد عدة معارك شديدة ، كما قام بحركات في المناطق الجبلية من اشروسنة ظن علاوة على سهولها ، لفتح كل أراضي الدولة ، ثم اندفع نحو خوجنده ، فرغانة ففتح فرغانة بعد عدة معارك مع الفرغانيين ، ولم يلق أي مقاومة تذكر في دولة فرغانة (٣٤٣) .

وتقدم الرتل الشمالي على محور سمرقند طاشقند فخاض معركة عنيفة حول طاشقند التي أبدت مقاومة شديدة انتهت بإحراقها ، وللقضاء على أية مقاومة تذكر في بلاد الشاش ، ودفع قتيبة الرتل الشمالي إلى إسفيجاب (مدينة جمكنت حالياً) والكائنة على مسافة ١٢٠ كيلو متراً إلى الشمال من طاشقند ، فاحتلها الرتل ثم انحدر جنوباً إلى طاشقند ، ومنها توجه شرقاً على محور طاشقند - كاسان ، فالتقى بالرتل الجنوبي الذي وصلها قبله .

وبعد هذا النصر اللامع عاد حسب عادته لقضاء الشتاء ، وإعادة التنظيم وإراحة قطاعاته في مرو ، وفي عام ٩٥ هـ / ٧١٣ م ، وردت إليه نجدات جديدة من العراق ، وتقدم نحو الشاش (طاشقند) نظراً لوجود تمرد فقضى بسهولة عليه ، وبينما هو في طاشقند بلغه نبأ وفاة والي العراق ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، فعاد إلى مرو ، ولكنه استلم رسالة من الخليفة الوليد بن عبد الملك تثبته في منصبه (٣٤٤) .

✽ فتح كاشغر الصينية

كذلك امتدت فتوحات قتيبة إلى مدينة كاشغر الصينية حيث كان الوضع السياسي مضطرباً في الولايات الغربية من الصين والتي تسمى تركستان الشرقية أو تركستان الصينية ، وكان الأمراء الأويغوريون متفرقين وفي تناحر مستمر فيما بينهم ، فوجد بذلك قتيبة ورأي أن الفرصة مواتية للتقدم إلى كاشغر ،

بالإضافة إلى أنه أراد ردع أمراء الأويغور من التدخل في المناطق المفتوحة سيما وأنهم كثيراً ما ساندو حكام فرغانة في معاركهم (٣٤٥) .

كانت خطة قتيبة للتقدم إلى كاشغر تتضمن حشد أكبر قوة عربية ممكنة واتخاذ إجراءات انضباطية شديدة ووضع حامية على معبر نهر جيحون ، تمنع العودة الى الورااء إلا بإجازة من قتيبة ، وكذلك التقدم على الطريق التجاري الذي يربط بين مدينة فرغانة ببحيرة جاتيركول إلا أن اقتحام ممر تيترك في تركستان الشرقية (٣٤٦) .

في عام ٩٦هـ / ٧١٤م ، تقدم قتيبة حسب الخطة التي وضعها ، وقد أرسل مقدمته بقيادة كبير بن فلان ففتح كاشغر وتوغل إلى ما ورائها ، حتى بلغت الإصطدام بين جيش المسلمين والصينيين وشيكا ، فطلب ملك الصين التفاوض فوافق قتيبة على ذلك (٣٤٧) .

وقد أرسل قتيبة إلى ملك الصين وفداً برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي يدعوهُ إلى الإسلام أو الجزية أو السيف ، فثار ملك الصين وقال لهبيرة ، إذهب إلى صاحبك فقل له ينصرف فإنني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا أبعث عليكم من يهلككم ويهلكه ، فأجابه هبيرة بثقة وقوة ، كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن في لنا آجالاً إذا أحضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه .

وأدرك ملك الصين القوة العاتية التي تكمن خلف هؤلاء وعرف أن التهديد والثورة لا طائل منها فعاد يسأل وما الذي يرضي صاحبكم ؟ فأجاب هبيرة أنه حلف ألا يتصرف حتى يطاء أرضكم ويختم ملوككم ويعطي الجزية ، فقال الملك: أنا نخرجه من يمينه فلا يحنت ، نبعث إليه بتراب من أرضنا فيطوّه وبيعض ابنائنا فيختمهم ونبعث له بجزية يرضاها ، وهكذا افتدى ملك الصين نفسه وبلاده

بالجزية ، وأغلب الظن أن قتيبة ما كان ليقنتع بذلك لولا وفاة الوليد وتولى سليمان ابن عبد الملك الخلافة ، وكان بين سليمان وقتيبة ما شغل الأخير عن مواصلة جهاده في بلاد الصين الواسعة (٣٤٨) .

بهذا الفتح العظيم اعتبر قتيبة من كبار رجال الفتوح أمثال خالد بن الوليد ، ويكفي دليلاً على عظم قدره أنه لم تمتد الفتوح بعده في هذه البلاد أكثر من ذلك ، كذلك دل على براعة ومقدرة هائلة ، فمع أنه كثير ما وجد حلفاء من ملوك ما وراء النهر ، الذين كانوا دائماً يستعينون بالترك ، إلا أنه انتفع بذكائه من وجود العداوة الطبيعية بين هؤلاء الملوك ، واستطاع أن يستولي على ممالكهم الواحدة بعد الأخرى (٣٤٩) .

✽ فتح بلاد السند

كذلك امتدت فتوحات المسلمين في آسيا إلى بلاد السند ، وهي تقع شرقي إيران على ساحل بحر الهند عبارة عن دلتا نهر السند العظيم ، التي تعتبر المدخل لقارة الهند .

وقد كان يسكنها عناصر آرية ، تشبه سكان إيران، وإن كان أغلب سكانها من عناصر تسمى الهندية نسبت إليها البلاد تميزت بلون أسود خاص ، مما جعل العرب يعدونهم من جملة السودان وسكنها أيضاً أصناف من قبائل مجهولة الأصل ، مثل الزط والسباجة ، حيث كانت الأولى من الرعاة ، الذين يتبعون الكلاً على الساحل (الطوف) (٣٥٠) .

وامتدوا حتى الخليج العربي والبحرين ، وكان أسراهم يعملون كجنود مرتزقة في جيش الفرس ، كذلك وجدت عناصر تركية كثيرة في بلاد اسمها (قبيقان) تلي خراسان من الشرق ، وتعتبر من بلاد السند (٣٥١) .

وكانت الهند دائماً ممالك متفرقة تتراوح بين القوة والضعف ، وكان بعضها خاضعاً للفرس المجاورين لهم ، وأنه كان يوجد بالسند مملكة قوية قبل أن يغزوها الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٥ ق.م ، وهي مملكة الموريا ، التي بقيت بعد هذه الغزوة ، ولكن قبائل الهون (الهياطلة) الذين تسببوا في إسقاط دولة الصين وغزوا بلاد ما وراء النهر ، غزوا هذه البلاد أيضاً منذ القرن الأول قبل الميلاد ، وكونوا منها مملكة راي القوية ، التي استمرت تحكمها مدة طويلة إلى أن سيطر عليها قبل الفتح الإسلامي (صهصهة) ومن بعده ابنه داهر ، الذي عرف بملك السند (٣٥٢) .

إن العرب قبل الإسلام طالما ركبوا البحر إلى بلاد السند مستبضعين ، ولما جاء الإسلام نجد أن عامل الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين وعمان ، قام بإرسال حملات المسلمين على بلاد السند فأرسل إليها حملة في البحر في سنة ١٥هـ / ٦٣٦م ، مما أغضب الخليفة لتغريبه بالمسلمين (٣٥٣) .

ولكن ازداد اهتمام المسلمين ببلاد السند منذ أن فتحوا (مكران) في شرقها ، التي فتحت عنوة في أيام معاوية بحيث أنه لما هاجمها حلف الجند بطلاق نسائهم ألا يهربوا وأن يقاتلوا أعداءهم ، واتخذوا مسعراً يغيرون منها على السند ، كذلك كانت حملات المسلمين على السند من ناحية مفازة سجستان الواقعة شمالي مكران ، التي كان فتحها قد تم في أيام معاوية (٣٥٤) .

إن حملات المسلمين على السند كانت منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وفي أواخر أيام الخليفة علي بن أبي طالب ، إلا أنها لم تكن شديدة ومتصلة إلا في أيام معاوية ، فقد قتل عدد من قوادها المسلمون (٣٥٥) .

وأن أغلب الحملات كانت على بلاد قيقان من أرض السند التي كان أهلها من الترك وأيضاً ضد (الخلج) وهم صنف من الهياطلة ، وقعوا في قديم الزمان

إلى أرض كابل أوزبكستان ، التي بين الهند ونواحي سجستان ، حيث أن زنبيل أو رنبيل ، وهو لقب ملوكها ، وأشهر من فتح نواحي السند في أيام معاوية المهلب بن أبي صفرة القائد المعروف ، الذي تقدم في أعالي الهند وهزم أهلها عند تبنة ولوهر ^(٣٥٦) ، ولكن إنشغال المسلمين بالفتنة بعد موت معاوية ، ثم فتنة ابن الأشعث بسجستان أيام عبد الملك ، حد من نشاط المسلمين في هذه الناحية ، وأن كان زنبيل قد صالح الحجاج بعد تسليمه لابن الأشعث وقبل دفع الجزية ^(٣٥٧) .

وحدث أن ساءت العلاقات بين المسلمين وبين (داهر) ملك السند مما استدعى صداماً مسلحاً ، أما سبب سوء العلاقات فهو أن الحجاج أرسل سعيد بن أسلم إلى مكران ، فخرج إليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافى فقتلاه ، إذ كلان من الخارجين على سلطان الأمويين في هذه الجهات ، وكانا قد لقيا عند داهر ملك السند البرهمي كل ترحيب حين لجأ إليه ^(٣٥٨) .

وبلغ الحجاج الخبر فسأل الخليفة ، أن يأذن له لمهاجمة السند ملجأ الخارجين على الدولة ، ولكن الخليفة لم يأذن له ثم بعد ذلك تعرض قراصنة من (ديبل) لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان) وفيها أرامل لتجار من المسلمين وافاهم الأجل هناك ، فأسر القراصنة هؤلاء النساء ، ولما طلب الحجاج من (داهر) تخلص النساء من الأسر لم يستجب له ، وادعى أنه لا يسيطر على لصوص البحر هؤلاء ، فكان هذا وسواه باعثاً للحجاج أن يلج على الخليفة ليثأر لهذا العدوان وليؤمن طريق التجارة وحدود البلاد الإسلامية من غارات المعتدين ^(٣٥٩) .

وقد وكل الحجاج قيادة هذه الحملة إلى أحد أقربائه ، وهو محمد بن القاسم الثقفي صهره وابن عمه ، الذي لم يكن يتجاوز سبعة عشر عاماً وقد تمتثلت فبي

هذا القائد سجايا الأمة العربية من سؤدد وشجاعة ، بحيث كان بحق معجزة
حربية (٣٦٠) .

سار محمد بن القاسم من مكران في سنة ٨٩ هـ ، ففتح أرمثيل وهي مدينة
كبيرة من أرض السند شرقي مكران ، ثم سار إلى الديبل ميناء السند العظيم على
ساحل بحر الهند ، فوافقته السفن التي كان قد حمل فيها الرجال والسلاح ، فخندق
أمامها ولكن لم يستطيع فتحها ، إلا بعد أن جاءت توصيه من الحجاج ، فقد كان
يقدم له تقرير عن سير الحملة كل ثلاثة أيام (٣٦١) ، فأمره الحجاج بنصب منجنيق ،
فرمى الدقل وهو سارية لمنارة البلاد العظيمة بالمدينة فكسرها ، فتطير العدو
وجزع ، فأمر محمد بالسلام وصعد عليها الرجال ودخلوا المدينة ، واستمر القتال
فيها ثلاثة أيام فهرب عاملها من قبل داهر وأنزل بها محمد جنده وبنى جامعاً ،
وبذلك مضى على وكر كبير لقرصان الهنود (٣٦٢) .

ثم سار عنها محمد صاعداً إلى شمال السند ، وأخذ لا يمر بمدينة إلا فتحها
صلحاً أو عنوة ، كما انضم إليه عدد من قبائل الزط ، خصوصاً وأن المسلمين
كانوا قد صالحوهم في أثناء فتوحهم في فارس ، مثلما فعلوا من قبل مع الجراجمة
بالشام ، بل كما أن معاوية نقل عدداً منهم إلى الشام ، فلما بلغ داهر بتقدم محمد
ابن القاسم استعد لمحاربتة ، وجمع جيوشاً عديدة مزودة بالفيلة ، وهو مستخف به
فلقيه محمد والمسلمون بعد أن عبروا نهر السند ، على جسر وتغلبوا عليهم
وقتلوهم ، وذلك لأن بالهند لا دواب لها غير الفيلة ، وكان المسلمون في أيام فتح
فارس يتغلبون على الفيلة بقطع خرطومها ، وفي هذه المرة استخدموا النفط في
القضاء عليها ، ولما ترجل داهر قتل أيضاً (٣٦٣) .

وبقتل داهر غلب محمد على بلاد السند ، ودخل عاصمتها (راور) ، وكان بها
أمراء لداهر خافت أن تؤخذ فأصرفت نفسها وجواريتها ، ثم قطع محمد نهر

(بياس) العظيم المؤدي إلى (ملتان) الغنية بذهبها فقائله أهلها وانهزموا ، فحاصرهم ، وقطع عنهم الماء ، فعطشوا ونزلوا على حكمه وسماها محمد بن القاسم (المعمورة) بدلاً من (ملتان) وذلك في سنة ٩٥ هـ ، وبعدها تقدم محمد في شمال السند إلى مدينتي (بيلمان) و(قندهار) حتى وصل إلى حدود قشмир التي كانت تتجاوز الترك (٣٦٤) .

وقد كان فتح محمد بن القاسم لبلاد السند من أعظم الفتوح الإسلامية ، فبعده لم يتجاوز أحد فتوحاته فيها إلى أيام الغزنويين ، كذلك كان فتحها مريحاً للغاية من الناحية المادية ، بينما نظروا في النفقة وجدوا أنهم استرجعوها وزيادة (٣٦٥) .

وبعد هذه الفتوحات العظيمة توفي الوليد أقوى خلفاء الأمويين في سنة ٩٦ هـ ، وهو الذي عمل على توسيع رفعة الإسلام إلى مدى لم تصله قبله أو بعده بحيث جعل الدولة العربية الإسلامية أشبه بهلال ضخم رأسه عند جبال البرتان ، والآخر قرب الصين ، كذلك أقام للمسلمين أفضل عمائرهم وأجملها ، وأثبت أن خلفاء الإسلام بناؤون يتمتعون بنوق عال (٣٦٦) .

(٥) الفتوحات في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ)

كان الوليد غير راض عن توليته أخيه سليمان الخلافة من بعده بناء على توصيته عبد الملك ، ويريد أن يولى هذه لابنه عبد العزيز ، واستشار الوليد لذلك خاصته وقادته فوافق الحجاج ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم (٣٦٧)، لكن سليمان أبى التنحي عن ولاية العهد كما ان كثيرا من الناس لم يجيبوا الوليد إلى توليته عبد العزيز ، مما جعل الوليد لا يتمكن من خلع سليمان ، فبوع لسليمان بعد الخلافة في جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ / ٧١٥ م .

ولما تولى سليمان الخلافة تحول عن دمشق إلى الصحراء ، فأخذت له البيعة في الرملة (٣٦٨) .

✽ حصار المسلمين للقسطنطينية

إن الفتوحات الإسلامية لم تقف في عهد سليمان ، ففي أسيا الصغرى كانت عمليات تدمير حصون العدو في عهد عبد الملك والوليد ، قد جعلت المسلمين يعودون بالحملات على العاصمة البيزنطية ، كذلك كان المسلمون قد استعادوا بعض نشاطهم في البحر ، بسبب أنهم عرفوا سر تكوين النار الإغريقية، التي سببت حرق أسطولهم ، وانسحابهم من جزر البحر الأبيض في أواخر أيام معاوية وأوائل حكم يزيد ، فأصبح النفط من ضمن أدوات قتالهم (٣٦٩) .

والذي هيا للمسلمين السير في التقدم نحو مهاجمة العاصمة البيزنطية هو حدوث اضطراب خطير في دولة الروم المعاصرة لحكم الوليد ، نتيجة لتعاقب الأباطرة والثورات الكثيرة ، وطمع الأعداء من جيرانها ، فقد تولى عرش مملكة الروم عدة أباطرة منذ أن قتل (جستينيان الثاني) ، الذي حاربه عبد الملك والوليد، وأن الروم قدرت نيات المسلمين وذلك في آخر حكم الوليد في سنة ٩٥هـ ، ولكن الوليد رفض ، وبعد موت (فيليقوس) جاء (نسطاس الثاني) الذي سعى

الآخر إلى طلب الصلح من الخليفة سليمان في سنة ٩٦هـ ، على غير جدوى / كما أنه في نفس الوقت ، كان قد أعد حملة في جزيرة رودس لمهاجمة الساحل السوري ، بقصد القضاء على إستعدادات المسلمين ^(٣٧٠) ، ولكن حدثت ثورة ضده أدت إلى عزله ، وتولي بعده (تيلالوس) الأرمني ، حيث ثار على هذا الأخير حاكم عمورية ، المسمى ليون المرعشي ، فجاء إلى سليمان وطلب منه معاونته على الوصول إلى عرش الروم على أن يحكم باسمه ^(٣٧١) ، وبخاصة وأنه كان فصيحاً بالعربية .

وقد استعد سليمان لهذه الحملة استعداداً هائلاً فجمع في مرج دابق ، بقرب حلب في منطقة الثغور ، جنوداً من كل أنحاء الدولة العربية الإسلامية وعلى الأخص من الشام والجزيرة بلغ عددهم أكثر من مائة وعشرين ألفاً وأخرج معهم جماعة من الفقهاء ، كما جمع أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء ، مثل أدوات الحصار من المجانيق والنفط وغير ذلك ^(٣٧٢) .

وقبل تحرك الحملة ، قام المسلمون بالصائغة في سنة ٩٧هـ ، وعلى رأسها داود بن سليمان وأخوه مسلمة بن عبد الملك ففتحوا بعض الحصون ، ولكن الحملة الرئيسية التي كانت أشبه بالغاية المتحركة لكثرتها خرجت وعلى رأسها مسلمة في سنة ٩٨هـ ^(٣٧٣) ، وقد سار مسلمة سالكاً طريق مرعش من ناحية الشام ، وهجم عليه الشتاء وهو في الطريق فشتاً ثم خرج طالباً القسطنطينية ، في أثناء تقدمه بلغ الذعر مداه عند سكان أسيا الصغرى ، بحيث أن الجيش العربي جمع من الروم أسرى كثيرين ، وكان سكان ولا يأت بأكملها يهربون أمامه وأن الإمبراطور الرومي نفسه لما سمع بما فعله ليون ، وتقدم الجيش العربي اعتزل الحكم وأن ذكر ابن الأثير أنه كان قد مات ^(٣٧٤) .

إن مسلمة لما وصل إلى عمورية خدعه ليون ، فجعله يوادعه ويرفع الحصار عنها ، ويسهل وصوله إلى القسطنطينية وقد تولى ليون عرش الروم باسم ليون الثالث ، وعقدوا على رأسه التابع ، ووعدهم أن يخلصهم من المسلمين، لذلك أعاد تقوية الحوائط والأسوار ، وأرسل جيشا لقطع خطوط تموين المسلمين ، الذين ألقوا الحصار حول العاصمة ، ووضعوا المجانيق عليها (٣٧٥) .

وفي نفس الوقت ، كان سليمان قد أجمع أساطيل عديدة من الشام ومصر، وأرسلها في البحر لتعاون الجيش البري ، فأخذ الأسطول بمهاجمة سواحل أرض الروم ، إلى أن وصل إلى الخليج وهو بحر مرمرة ، فألقى مراسيه أمام القرن الذهبي ، وحاصر القسطنطينية من البحر أيضا ولكي يحكم المسلمون حصارهم عبروا المضيق بقواتهم إلى أوروبا ليهاجموا البلغار ، أو ما يسميهم العرب أيضا برجان ، الذين نزلوا البلقان وسيطروا فيه منذ القرن السابع الميلادي ، وأنهم ساعدوا الروم وهاجموا المسلمين ، لتقديرهم بأنه إذا سقطت بيزنطة تحول المسلمون نحوهم (٣٧٦) .

ولكن الحصار طال وهجم الشتاء ، وكان البرد شديدا ولم يقدر الخليفة أزاء هجمات الروم أن يمدهم ، حتى أنه لما أرسل مددا من الجند مزقه الروم، كما أتلفوا قسما كبيرا من المؤونة بحيث اضطر مسلمة إلى الأمر بالزرع وإنشاء الحقول والبيوت ، كذلك استخدمت النار الإغريقية في مهاجمة الأسطول، وأن العواصف لم تبق منه غير قليل من المراكب ، وقد استمر الحصار طول حكم سليمان إلا أنه أمام هذه الكوارث لم يعد ينتظر منه أي أمل ، لذلك فإن خلفه عمر بن عبد العزيز أمر بالانسحاب في سنة ٩٩ هـ بعد أن زود المسلمين بالموءن والمدد، وأن أخطروا إلى القتال وهم ينسحبون (٣٧٧) .

وقد ترتب على فشل هذا الحصار أن هاجم الروم ثغور المسلمين في الشام ، كما حدث بعد فشل الحصار الأول ، وأن سبب فشل هذا الحصار هو أن الروم كانوا لا يزالون أقوياء ، وأن العرب ما كان يضيرهم هذا الانسحاب في شيء كما حدث في المرة السابقة ، إذا أنهم لم يلبثوا حتى عادوا إلى الهجوم بنفس الرغبة في قتال الروم ودك حصونهم (٣٧٨) .

✽ فتح بلاد بحر قزوين

وعلى النقيض نجاح سليمان في فتح بلاد في الشرق لم تكن قد فتحت من قبل ، وذلك على يد عامله يزيد بن المهلب ، الذي ولاه العراق والمشرق بعد أن عزل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، في سنة ٩٧ هـ (٣٧٩) ، وأن الحجاج كان يكره يزيد لما فيه من النجاسة خوفاً من أن يفعل مثل ابن الأشعث ، كما أن يزيد لم ينفذ رغبته في فتح بلاد ما وراء النهر ، فعزل الحجاج يزيد عن خراسان وحبسه ، ولكن يزيد تمكن من أن يهرب مع إخوته إلى سليمان بالرملة في سنة ٩٠ هـ ، حيث آمنه وعلى الرغم من أن الحجاج كتب إلى الوليد يحذره من آل المهلب ، وطلب الوليد من سليمان تسليمهم ، فإن سليمان أرسل يزيد إلى الوليد مع أيوب ، أحد أبناء سليمان ، مقيداً في سلسلة واحدة ، مما جعل الوليد يضطر إلى أن يؤمن يزيد وأخوته وقد أثبت يزيد بن المهلب جدارته ، فذهب إلى فتح بلاد لم تكن فتحت من قبل (٣٨٠) .

فقد كان في شمال هضبة إيران حول بحر قزوين وهو عرف أيضاً بأسماء الشعوب التي تحيط به ، مناطق أغلبها جبلية ، ظلت في أيدي حكامها العجم أو الترك ، الذين استطاعوا أن يصدوا المسلمين عنها ، وقد اكتفى المسلمون منذ عهد الخليفة عثمان ، باتخاذ بلدة قزوين (٣٨١) ، التي كان الفرس

أنفسهم قد اتخذوها من قبل لمهاجمة هذه النواحي ، وسموها (كشور) أي الحد المرموق ، ثغراً أو مصراً أي آخر الحدود ، وكان المسلمون يستولون على أجزاء منها حتى عصر الحجاج ، الذي أقام فيها المناظر للمراقبة ، وإن كانوا أيضاً هاجموها من ناحية خراسان (٣٨٢) .

وقد بدأ يزيد بن المهلب (بقوهستان) ، وهي كلمة تعني بلاد الجبال لأن (كوه) بالفارسية هي الجبل ، وقد أطلقت على أجزاء كثيرة في الهضبة الإيرانية لطبيعتها الجبلية ، وأن أكثر بلاد العجم لا تخلو من موضع يقال له قوهستان ولكن المشهور بهذا الاسم هي الولاية التي فتحها يزيد وهي تقع جنوب شرقي بحر قزوين ، أغلبها صحاري أو جبال ولا توجد بها الأنهار، وعاصمتها (قاین) ، وقد كان يسكنها العجم ، وعنصر مغولي من الهون (الهياطلة) يسميهم ابن الأثير الترك (٣٨٣) ، قدموا من الشرق من أواسط آسيا واستولوا على بلاد ما وراء النهر. ثم انتقلوا الى هذه النواحي. وحتى بقايا الحثيين الذي سمعنا عنهم في العصور القديمة (٣٨٤) .

قام المسلمون بإرسال الحملات لهذه البلاد لأول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من كرمان ، فاستولى المسلمون على ناحية (طبسى) وقربتها كرين وهما حصنين ، أو ما يعرف بالطبسين فسمي الصلح - صلح الطبسين (٣٨٥) ، وفي أثناء فتح خراسان فتحت قوهستان عنوة وهزم الهياطلة ، وذلك في أيام الخليفة عثمان سنة ٣٠هـ ، وفي أيام معاوية سنة ٥١هـ ، فتحت قوهستان من جديد ، وضمت إلى خراسان ، ولكن لكثرة غارات أهلها وقتالهم للمسلمين حتى أنهم كانوا قد حاربوا قتيبة ، فتحها يزيد بن المهلب من جديد ، فكان يحاصرها في حصونهم إلى أن استسلموا وأرسل ملكها واسمه صول ، يطلب الصلح - فصالحه يزيد ودخل عاصمتها (قاین) ، وكتب يزيد بشارة النصر إلى سليمان بن عبد الملك (٣٨٦) .

وبعد ذلك سار يزيد إلى البلاد المجاورة التي تقع بجوار خراسان جنوبي شرقي بحر قزوين ، فعرفت للعرب باسم جرجان ، وسمي البحر باسمها بحسب جرجان وقديما (أراقانيا) وهي عبارة عن سهول كثيرة تجري فيها عدة أنهار ، كما توجد حولها سلسلة جبال (البزر) الشاهقة - التي عرفت أيضا بجبال جرجان، قد كانت جرجان تنقسم إلى نواحي كبيرة ، مثل دهستان في أدنى البلاد، وبكر آباد ، إما جرجان نفسها فلم تكن يومئذ مدينة وإنما كانت جبالا ومسالك، وقد كان يسكنها الفرس الذين يحكمكم مرزبان ، والترك بخاصة في دهستان الذي يحكمكم ملك اسمه أولفيه أيضا صول (٣٨٧).

وقد قبلت جرجان دفع الجزية منذ أن اقترب المسلمون من حدودها في سنة ١٨ هـ ، ولكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، سنة ٣٠ هـ ، دخلها سعيد ابن العاص وصالح أهلها قبل أن يفتح قوهستان ، وبعد سعيد لم يأت إلى جرجان أحد إلى أن جاء يزيد (٣٨٨) ، والذي هيا يزيد فتحها ، هو وجود نزاع ليين المرزبان الفارسي وصول التركي ، بحيث أخطر المرزبان إلى الهروب إلى يزيد وهو في خراسان ، وتغلب صول على جرجان ، فدخل يزيد مع المرزبان جرجان ، وحاصر صول وهو في بحيرة تقع في بحر قزوين ، وقتل عددا كبيرا من الترك ، ولعله صالح صول أو قتله (٣٨٩) ، ولكن لم يلبث أهل جرجان أن ثاروا على المسلمين الذين تركهم يزيد واستشهدوا فيها ، فعاد يزيد إلى جرجان ثانية وقتل عددا كبيرا من أهلها ، وهو ما عرف (بالفتح الثاني) وقد بنى يزيد مدينة جرجان ، في واد عظيم ، تطل على البحر ، ولم تكن بنيت قبل ذلك ، وأصبحت أكبر مدينة بهذه البلاد (٣٩٠) .

ولما فرغ يزيد من جرجان هاجم طبرستان ، وهي تسمى أيضا (مازندران) التي تقع في جنوب بحر قزوين، شمال جبال اليرز الشاهقة ، وتحيط

بها بلاد جرجان من الشرق ، وجيلان من (أو كيلان) الجبلية ، التي تسكنها شعوب الجبل والديلم من الغرب ، وهي عبارة عن بلدان واسعة وسهول ، وجبال كثيرة ، قصبته (أمل) وقد سكنتها عناصر فارسية كانت تميل إلى الحرب ، وتستخدم في قتالها الفؤوس ولذلك كان اسم طبرستان يعني بلاد فؤوس ، لم تكن قد خضعت للمسلمين ، فكان يحكمها (الأصبهند) وتعني رئيس الجند ، إذ أنه من سلالة أسرة فارسية قديمة كان يوليها ملوك الفرس على أهالي هذه المنطقة (٣٩١) .

ولم يكن من السهل فتح هذه البلاد لحصانتها ومنعتها لذلك صالحها المسلمون لما فتحوا فارس ورضوا منها بالشيء اليسير ، ولكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان سار نحوها سعيد بن العاص ، في سنة ٢٩هـ — (٣٩٢) ، ففتح سهولها وجبالها من ناحية خراسان ، وفي عهد معاوية أرسل مصقلة ابن هبيرة ، فاستدرجوه إلى ممرات في الجبال ، وأرسلوا الصخور منها على رؤسهم ، فاستشهد عدد كبير من المسلمين (٣٩٣) .

وفي ولاية ابن زياد على العراق ، أرسل محمد بن الأشعث فاستدرجوه أيضا واستشهد ابنه ، ولما سار يزيد إلى طبرستان ، وتوجهت طلائعته إليها فاستعان أهلها بأهل جيلان والديلم المجاورين ، واستطاعوا أن يهزموا هذه الطليعة ، وقد كانت هذه الهزيمة من الأسباب التي دعت أهل جرجان إلى الغدر بالمسلمين ولذلك استخدم يزيد الخديعة واضطر إلى مصالحة الأصبهند (٣٩٤) .

استمر حكم هذا الخليفة الشاب زهاء ثلاث سنين ، ووفاه أجله بدابق ، وهو ابن تسع وثلاثين في سنة ٩٩هـ / ٧١٧م ، أما فتوحه لم تكن حاسمه كما هي في عهد سلفه إلا أن حماسه في مد رقعة الإسلام كان شديدا لا يقل عن حماس سابقيه من الخلفاء (٣٩٥) .

(٦) الفتوحات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)

كان يزيد بن عبد الملك يريد أن يعين ابنه الوليد ولياً للعهد من بعده، ولكن أصحابه أرشدوه إلى أن الوليد صغير السن ولا يستطيع أن يحمل عبء الخلافة، ولهذا عين يزيد أخاه هشاماً لولاية العهد على أن يتلوّه الوليد، وفي يوم وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك، بويع لهشام بن عبد الملك في شعبان سنة ١٠٥هـ / ٧٢٤م، واتخذ الخليفة هشام الرصافة مقراً له وهي تقع على نهر الفرات (٣١٦).

❁ معركة بلاط الشهداء

بعد أن تم فتح الأندلس استدعى الخليفة الوليد القائدين العظيمين موسى وطارق إلى دمشق ، وعلى هذا لم يحقق موسى أمله في اختراق جبال البرانس والتقدم نحو جنوب فرنسا الحالية ، ثم جاء بعده السماح بن مالك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فاخترق جبال البرنس وتقدم شرقها ولكن محاولته لم تتجح فاستشهد في سنة ١٠٢هـ ، وتمت بعد ذلك حملات متصلة في عهد عتبة بن سحيم الذي كانت له الولاية بعد السماح (٣٩٧) .

وعاد المسلمون في عام ٧٢٥م فأحرزوا تقدماً جديراً ، وسيطروا على جميع المنطقة الواقعة إلى الجنوب من تيمس ، حيث اندفعوا نحو الشمال إلى نهر الرون ، فوصلوا في النهاية أوتون ثم عادوا منها محملين بالغنائم ، وحاصر المسلمون بقيادة قائدهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في عام ٧٣٢م ، مدينة بوردو ، وهزموا أودس ، وسيطروا على جميع البلاد التي تقع شمالاً حتى اللوار ، واستعان أودس بشارل مارتل ، حاجب القصر في مملكة الفرنجة الذي زحف جنوباً لملاقاة المسلمين فدارت معركة عنيفة في عام ٧٣٢م بين المسلمين والفرنجة عند مدينة تورز ، سماها المسلمون (معركة بلاط الشهداء) ، وقد استشهد عبد الرحمن الغافقي في هذه المعركة ، وتمكن الفرنجة من صد المسلمين وإرجاعهم جنوباً ، وأن الفرنجة منوا أيضاً بخسائر بالغة ، وتراجعوا أيضاً باتجاه الشمال (٣٩٨) .

إن معركة بلاط الشهداء لم تضع حداً لتقدم المسلمين بل أن المسلمين سرعان ما أخذوا يستردون مراكزهم السابقة .

وقد سلم حاكم مرسيليا مقاطعة البروفنس إليهم سنة ٧٣٧ م ، وسيطروا على الأزل ، ودخلوا مقاطعة سان ترويز سنة ٨٨٩م ، ودامت إقامتهم بمقاطعة

البروفنس إلى نهاية القرن العاشر الميلادي ، وتقدموا في مقاطعة القالة وسويسرا
سنة ٩٣٩ م (٣٩٩) .

الفتوحات الإسلامية

في عهد الدولة العباسية

(أ) الفتوحات في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)

نشأت الدولة العباسية على أثر دعاية واسعة النطاق ، دامت حوالي ثلثي قرن فضمت إلى صفوفها كل من عادي الأمويين في كثير من أنظمتهم وتقاليدهم ولم يخلقوا دولتهم خلقاً جديداً^(٤٠٠) .

ومن أبرز الخلفاء العباسيين الأوائل أبو جعفر المنصور حيث بويع بالخلافة بعد وفاة أبي العباس في سنة ١٣٦هـ ، والدولة لم تتوطد أركانها ولم يستقر حكمها بعد ، ولكنه استطاع أن يثبت أركانها بمقدرته النادرة ، فقد كان مستشار أبي العباس وساعده الأيمن وولى أرمينية وأذربيجان والجزيرة وعمل بالإرادة والسياسة قبل مجيئه إلى الحكم^(٤٠١) ، وعرف عنه سرعة البديهة وجزالة العقل فضلاً عن اقتصره في النفقات^(٤٠٢) ، ويعد الخليفة المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، حيث تمكن بفضل ما أوتيته من حزم ، وصواب رأي ، وحسن سياسة من إرساء قواعد الحكم على أسس قوية .

✽ الفتوحات على جبهة الروم

كانت الحدود بين الدولة العربية ودولة الروم البيزنطي، تتألف من سلسلي جبال، وكان يحمي هذه الحدود خط دفاعي طويل ، يتكون من قلاع وحصون عرفت بالثغور ، ويمتد هذا الخط من ملطية في أعالي الفرات إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط ، ويتكون مكن قسمين أحدهما - الثغور الجزرية وتحمي شمال العراق - وثانيها الثغور الشامية وتحمي شمال الشام ، وكان هذان الثغران محل صراع دائم بين الدولتين .

وبعد قيام الدولة العباسية حاول الروم أن يجربوا قوتهم مع الدولة الجديدة والتعرف على مدى ردود الفعل فقام ، إمبراطور الروم (قسطنطين) عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م ، بشن حملة عسكرية على ملطية ، فتصدى له أهلها ، وبعد مقاومة شديدة لم يستطيعوا الاستمرار ، فاضطروا إلى قبول الأمان الذي عرضه عليهم الإمبراطور ، لكن في الوقت نفسه لم يحدث رد فعل قوي من جانب الخلافة ، لانشغال الخليفة أبي العباس في ترتيب الأوضاع الداخلية ، على أنه في أواخر خلافته كلف والي الشام عبد الله بن علي العباس بالقيام بحملة عسكرية لكنها لم تحقق بسبب وفاة الخليفة (٤٠٣) .

وقام الخليفة المنصور بالاهتمام بتحصين الثغور وشحنها بالمقاتلة ضمن خطة عسكرية متكاملة وفي سنة ٧٥٩م ، استرجع المسلمون مدينة الحدث وحصنوها ووضعوا فيها حامية ، وفي السنة التالية شغل قسطنطين بالحرب مع البلغار ، فدحر المسلمين القائد الأرمني (بول) وقتلوه وأسروا اثنين وأربعين من قواده ، ثم كان يتبادل الأسرى في سنة ٧٦٦م ، ثم حصن المسلمون مرعش ووضعوا فيها حامية في سنة ٧٦٩ (٤٠٤) .

وعني الخليفة المنصور بتحصين حدوده وخاصة تلك التي تواجه البيزنطيين ، وبنى المنصور مدينة مرعش والمصيصة ، ثم حصن أهم ثغور الجزيرة وهي مدينة ملطية ، حيث أمر الخليفة ببنائها سنة ١٣٩هـ ، وجمع الصناع من كل بلد للاشتغال فيها فتم البناء في ستة أشهر ، وكذلك بنى مدينة الرافقة على الفرات سنة ١٥٥هـ ، على طراز مدينة بغداد ، ورتب فيها الجند (٤٠٥) .

(ب) الفتوحات في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٨هـ)

اهتم الخليفة المنصور بإعداد ابنه المهدي للخلافة واعتنى بتدريبه على الحرب والإدارة ، وعينه واليا على خراسان والجلال (ومقرة الري) بين ١٤٨هـ - ٧٧٥م دون أية معارضة وكان المهدي في الثالثة والثلاثين من عمره وكان سخيا شهما ومحبويا من الناس (٤٠٦) .

✽ استكمال الفتوحات على جبهة الروم

وقد تصاعدت حملات المسلمين الحربية ضد الروم في عهد الخليفة المهدي ، فلم تمر سنة إلا وتكون فيها حملة صيفية أو شتوية ، فكانت أول حملة في صيف عام ١٥٩هـ / ٧٧٦م ، بقيادة العباس بن محمد ، وكان سبب الحملة هو الرد على هجوم الإمبراطور البيزنطي (ليد الرابع) على سمياط ، وأخذ بعض الأسرى ، وبالرغم من وصول القوات العباسية إلى (أنقرة) إلا أنها لم تحاصرها ، وفي السنة نفسها أسكن الخليفة المهدي ألف مقاتل في المصيصة مع أنها كانت مشحونة بالجند والمتطوعين فضلا عن ابتدائه في بناء كفربيا (٤٠٧) .

وقد هاجم إمبراطور الروم الحدود عن طريق درب الحدث لذلك في عام ١٦٢هـ / ٧٧٩م ، شن العباسيون حملتين ضد البيزنطيين ، الأولى بقيادة الحسن بن قمطية الطائي، انتقم فيها مما فعله الإمبراطور ، والثانية كانت من طريق قالقيلا بقيادة يزيد السلمي ، واستطاع فتح ثلاثة حصون ولقد تنبه القائد الحسن الطائي بعد قيادته تلك الحملة ، إلى وضع الجبهة ، بحيث اقتنع الخليفة المهدي بضرورة تحصين طرسوس فوافق الخليفة على ذلك وأمره ببناء مدينة الحدث وأسكن فيها مقاتله من أهل الشام والجزيرة وأعطى لكل فرد (٣٠٠) درهم أعانه لهم ، ثم بنى مدينة طرسوس (٤٠٨) .

وفي عام ١٦٣هـ/٧٨٠م ، جهز الخليفة المهدي جيشا كبيرا وعلى رأسه ابنه أنساب هارون ومعه كبار القوات ، وقضى الخليفة المهدي شهرين يجهز لهذه الحملة ، وقد دخل الجيش العباسي أرض الروم وفتحوا حصن سمالوا بعد استسلام أهله على شروط ، وعاد الجيش إلى بغداد (٤٠٩) .

وفي عام ١٦٥هـ/٧٨٢م ، أرسل الخليفة المهدي ابنه (الأمير هارون) لحملة جديدة عرض عليها مبالغ طائلة ، وقد تقدم الأمير في بلاد الروم مسافة بعيدة جدا ، وفتح في طريقه حصن (ماجدة) ثم التحم الجيش العباسي مع خيالة للجيش البيزنطي ، فانهزم الخيالة وبذلك تقدم الجيش العباسي على (نقمودية) فانفتح الطريق إلى الشمال نحو القسطنطينية ، لكن ظروف إمبراطور الروم (إيريني - أوغسطة) كانت سيئة وتواجه مصاعب داخلية ، ولتقدم الجيش العباسي إلى مناطق بعيدة جدا لذا تم التفاوض حول الصلح ، وكانت الشروط أن تكون هدنة لمدة ثلاث سنوات ، وأن تدفع الإمبراطورة مبالغ نقدية سنوية ، فضلا عن تقديم الإمداء والغذاء إلى الجيش العباسي في طريق عودته مع تسليم الأسرى لديهم (٤١٠) ، واستفادت الدولة العربية الإسلامية بإذلال إمبراطورية الروم المركز العسكري المسيطر الذي حافظت عليه طيلة عهد الأمويين (٤١١) ، وعند عودة الجيش إلى بغداد لقيت الأمير هارون بـ(الرشيد) وعينه والده وليا للعهد بعد أخيه موسى (٤١٢).

(ج) الفتوحات في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ)

بويج الرشيد بالخلافة في ١٤ ربيع الأول سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م، خلفا لأخيه موسى الهادي ، وكان في الثانية والعشرين من عمره ، وقدر له أن يحكم ثلاثا وعشرين سنة ، وأن الخليفة الهادي حاول أن يخلع الرشيد من ولاية العهد لمصلحة ولده جعفر ، كان لا يزال صبيا ، لذلك فشلت كل معارضة لبيعة الرشيد بعد وفاة الخليفة الهادي (٤١٣) .

الفتوحات على جبهة الروم

اهتم الخليفة الرشيد بتنظيم الحدود مع البيزنطيين وغصبها ، ففي عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م، قسم الثغور إلى خطين للدفاع ، الخط الجنوبي من الثغور في جبهة الشام - الثغور الشامية وسماها (العواصم) وجعلها منطقة عسكرية مستقلة على شكل حصون عسكرية ما بين حلب وأنطاكية ، وقاعدتها منبج، واهتم كذلك في تحصينها ، واهتم الرشيد أيضا بتحصين مدن (العواصم) فأمر بتحصين مدينة طرطوس ، وأسكن فيها ثلاثة آلاف مقاتل كدفعة أولى ، ثم ألفين من أهل المصيصة وأنطاكية ، وأعطى زيادة في رواتبهم بلغت عشرة دنانير ، ثم وزع عليهم الأراضي لغرض السكن والإقامة فيها بصورة مستمرة ، وفي عام ١٨٠هـ / ٧٩٦م ، قام الرشيد ببناء مدينة (عين زرية) و تحصينها ، وبعد ثلاث سنوات بنى (الهارونية) والكنيسة السوداء وحصنها ، ووزع على المقاتلة الأراضي للسكن فيها بصورة دائمة والخط الدفاع الشمالي من الثغور هو الثغور الجزرية واهتم الخليفة الرشيد به أيضا ، فأعاد بناء مدينة الحدث ، وزاد تحصين زبطره ، وشحنها بالمقاتلة ووزع الأراضي عليهم (٤١٤) .

وفي سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م ، أسر الروم بعض الجند الذين أبحروا من مصر إلى سورية ، فتحرك أسطول عربي من مصر إلى قبرص ومنها إلى أسيا الصغرى ، والتقى ، بالأسطول البيزنطي فهزمه وأسر أمير البحر البيزنطي^(١١٥) وفي عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م ، قاد الخليفة الرشيد حملة عسكرية عن طريق المصيصة ، كانت نتائجها فتح حصن الصفصاف عن طريق المصيصة ، والاستيلاء عليه ، واستولى عبد الملك بن صالح والي الجزيرة ، على (مطمورة) ، ووصلت قواته إلى أنقرة، ولم يكن هناك رد فعل من قبل البيزنطي ، وذلك لحصول اضطرابات داخلية كانت من نتائجها خلع الإمبراطور قسطنطين واعتلت أمه (إيريني) العرش باسم (أغسطة) ، إلا أن القائد نفقور استطاع تنحية إيريني واعتلى العرش البيزنطي وذلك في أوائل عام ١٨٧هـ/ ٨٠٤م^(١١٦).

وتقدم الخليفة الرشيد بنفسه في عام ١٨٧هـ — / ٨٠٤م ، إلى هرقلية واستولت بعض فرق جيشه على ويسه وأخذت مقدمته أنقرة ، فجاء نفقور لصده فهزم ، ولعل تأخر الموسم جعل الخليفة الرشيد يقبل الهدنة والجزية ، وعلى أن لا يبني نفقور الحصون المهدومة ، وكان مقدار الجزية ديناراً من الروم سوى نفقور وابنه ، إلا أن نفقور خالف بنود الصلح، وأرسل جيشاً ضرب عين زرية ولكن حامية المصيصة هاجمته واسترجعت معظم الأسرى^(١١٧) .

وفي عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، قاد الخليفة الرشيد الحملة العسكرية ووصل (طوانه) فعسكر بها ، ثم توجه الخليفة الرشيد إلى (هرقلية) وسيطر عليها ، وافتتح بعض القواد حصن الصفالية وبعض المطامير ، وقد أخطر (نقفور) إمبراطور الروم إلى قبول الصلح ، على أن يدفع أموالاً ضخمة للخليفة على سبيل الجزية وأن يدفع جزية شخصية عنه (٤ دنانير سنوياً) وعن ابنه (دينارين سنوياً). وبذلك اعترفت بأنه تحت ذمة الخليفة واشترط الخليفة عليه أن لا يبني حصناً كما تعهد أن يرجع حملة وذا الكلاع وحصن سنان سالمة^(١١٨) .

(د) الفتوحات في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ)

تولى المأمون الخلافة في سنة ١٩٨ هـ ، وامتاز المأمون بصفات عديدة منها أنه يميل إلى العفو ويكره الانتقام من أعدائه ، وأحاط المأمون نفسه بالعلماء ، وكان فصيحا أدبيا شاعرا حكيما ، وقد درس العلم والفقه والتاريخ من صغره ، وكثيرا ما أطلق على المأمون وصف (أحكم الخلفاء العباسيين) (٤١٩) .

✽ استكمال الفتوحات على جبهة الروم

نظم الخليفة المأمون حملة بقيادته عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، لمهاجمة الحدود البيزنطية ، فاستولى على حصن (قرة) وتهديمه ، وحصني سندس وسانان ، وفي العام التالي رد الإمبراطور البيزنطي على الهجوم ، فهاجم طرسوس والمصيصة وكان رد الخليفة المأمون عنيفا ، فاستلمت (هرقلة) من غير قتال ، واستولى الأمير أبو إسحاق (المعتصم) على ثلاثين حصنا ، أما العباس ابن الخليفة فإنه استطاع إلحاق الهزيمة بقوات الإمبراطور ، مما اضطر الإمبراطور إلى طلب عقد هدنة ، إلا أن الخليفة رفض هذا العرض ، وفي عام ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م ، هاجم الخليفة الحدود مجددا ، وحاصر حصن لؤلؤة لمدة مائة يوم ، ولم يستطع احتلاله ، فبنى حوله حصنين مما أدى إلى استسلامهم (٤٢٠) .

وفي سنة ٢١٨ هـ ، حصن الخليفة المأمون مدينة الطوانة (وجعل سورها على ثلاثة فراسخ) وأتى بالقوات إلى العواصم من العراق وسوريا ومصر (٤٢١) ، وكانت خطة الخليفة المأمون فتح عمورية ، ومن ثم فتح بلاد الروم ، حيث أنه انتبه لغدر الروم المتواصل ، ولذلك فكر بخطة واسعة المدى

تقضي فتح المدن وتأهيلها بالمسلمين لتثبيت الفتوح ، إلا أن وفاته حالت دون تنفيذ الخطة (٢٢٢) .

❦ استكمال فتح صقلية

وفي عهد الخليفة المأمون ، قام أمير الأغالبة زياد الله الأول بتوجيه أسد بن الفرات لفتح صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، وقد انتهج زياد الله سياسة بحرية للسيطرة على البحر المتوسط ، ولم تكن حملة الفتح هذه الأولى على صقلية ، إنما سبقتها غزوة سنة ٢٠٤هـ/٨٩١م ، واعتقد زياد الله أن لا سبيل لتحقيق هذه السياسة دون السيطرة على صقلية وتضييق الخناق على الأسطول البيزنطي (٢٢٣).

وما اختار زياد الله لأسد بن فرات قائدا للحملة وهو القاضي الفقيه ، إلا دليل على الصفة الجهادية التي اتصف بها فتح صقلية ، إذ يندر أن نجد فقيها قائدا لحملة فتح كهذه ، كما أن الصفة الجهادية للحملة يؤكدتها قول أسد بن الفرات نفسه الذي قال أنه أراد أن يقودها وفق تعاليم الإسلام ، فما أحوجهم إلى أمن يجريها بالكتاب والسنة (٢٢٤) .

وكان لخطورة بقاء صقلية تحت النفوذ البيزنطي على المغرب أثر في إقدام العرب على فتحها ، لأنها اتخذت قاعدة للهجوم عليه ، فقبل عام من الفتح (أي في سنة ٢١١ هـ) تعرضت المغرب لهجمات بحرية من صقلية قامت بالتهب وأسر التجار (٢٢٥) .

ومن العوامل المشجعة للفتح حالة الدولة البيزنطية إذ ذاك ، فقد شهدت ثورة توماس الصقلي في أسيا الصغرى ، وحاصر القسطنطينية سنة ٨٢١م ، فسحب الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني (٢٠٥-٢١٤هـ/٨٢٠-٨٢٩م) جيوشه وقواته من أطراف الإمبراطورية لدفع الخطر عن العاصمة ، ولم يستطع

القضاء عليها إلا سنة ٢٠٩هـ ، ٨٢٤م ، وأخذت الدولة البيزنطية تعاني من نتائج هذه الثورة البيزنطية عامه عليها ^(٤٢٦) ، ومما زاد في ضعف الأسطول البيزنطي عامه والأسطول البيزنطي في صقلية نفسها إن قائده فيمي (يوفيموس) أسلم القسم الذي كان تحت سيطرته للإغلبة بعد ثورته الفاشلة ^(٤٢٧) .

قلد زياد الله أسد الفرات قاضي القيروان قيادة الحملة وإيقاءه على القضاء أيضا ، وأجريت كل الاستعدادات لفتح صقلية ، فهئئت السفن ، وجهزت بما تحتاجه ^(٤٢٨) ، وأنه قد خرج بعدة كاملة .

وأمر زياد الله فيمي بالذهاب إلى مرسى سوسه والانتظار هناك ، وخرج أسد بن الفرات من القيروان على رأس الجيش المعد للفتح متوجها إلى سوسه ليقلع منها إلى صقلية وخرج وجوه الناس والعلماء وكبار رجال دولة الأغلبة لتوديعه ^(٤٢٩) .

وأقلع الأسطول العربي بقيادة أسد بن الفرات من مرسى سوسه يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ / ١٤ يونيو ٨٢٧م ، ووصل إلى أقرب نقطة في صقلية وهي مرسى مازر في اليوم الرابع من إقلاعها أي أنها وصلت يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الأول سنة ٢١٢هـ ، ١٧ يونيو ٨٢٧م ^(٤٣٠) .

مكثت الحملة العربية ثلاثة أيام في (مازر) دون أن يحرك قائدها ساكنا وكان ينتظر وصول سفن أخرى من أسطوله ، ولم تخرج له غير سرية واحدة (استطاع) أن يأسرها فإذا هي من أصحاب فيمي فأطلقها ، ولما كان أسد لا يثق بفيمي قال له (اعتزلنا فلا حاجة لنا بأن تعينونا وقال : اجعلوا على رؤوسكم سيما تعرفوا بها ، لئلا يتوهم منا أنكم من هؤلاء الموافقين لنا ، فيصيبكم بمكروه ، فجعلوا على رؤوسهم الحشيش) فكانت تلك سيماهم ^(٤٣١)

وهكذا استغنى العرب في فتحهم للجزيرة عن فيمي وأصحابه منذ الأيام الأولى ، قبل دخولهم أية معركة مع العدو . أما بطريق صقلية وتسميه المصادر العربية (بلاط) ، فما أن سمع بنزول القوات العربية في صقلية ، حتى زحف على رأس جيش كبير ، وتقدم أسد نحوهم وفي يده اللواء وقال (هؤلاء عجم السواحل ، هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم) والتقى الجمعان ، وانتصر الجيش الفاتح وهرب بلاطة إلى قصريناه ثم إلى قلوريه في ١٥ يولييه ٨٢٧ م / ١٧ ربيع الثاني ٢١٢هـ (٤٣٢).

وتعتبر هذه المعركة صراعا حقيقيا بين العرب والبيزنطيين لامتلاك صقلية ، وأنها بالإضافة إلى أهميتها العسكرية ، إذ قتل فيها عدد كبير من جيش العدو وأصاب العرب سبا كثيرة وكثرت الغنائم عن المسلمين ، فإنها بلا شك قوت عزيمة العرب في صقلية ، واعتبرت الأغلبة هذا الانتصار هو فتح الجزيرة ، يظهر ذلك من الكتاب الذي بعثه زيادة الله إلى الخليفة المأمون (٤٣٣) وأهمية هذا الانتصار تتضح أيضا في أن العرب سيطروا بعدها على عدة حصون في الجزيرة .

واتجه أسد بن الفرات شرقا بمحاذاة الساحل الجنوبي قاصدا فتح العاصمة سرقوسة التي تقع في القسم الشرقي من الجزيرة وأولى المناطق التي سيطر العرب في طريقهم إلى سرقوسة هي الكنيسة الأفيمية ، ثم كنيسة السلفين ، ثم وصلوا إلى قلعة الكراث ، وقابل أسد بن الفرات هناك وفدا بيزنطيا من أهل سرقوسة ، فخدعوه بأن عرضوا عليه أن لا يتقدم نحوهم مقابل دفع الجزية ، فوافق أسد على ذلك وتوقف عدة أيام لا يتقدم ، وأدرك أسد في الحال أنهم خدعوه وأنهم أصلحوا تحصينات سرقوسة ، وأدرك أيضا أن هذه الهدنة لم تقدر إلا أعداءه بالدرجة الأولى ، كما أن فيمي أخذ يرأسل أهل

سرقوسة المحاصرين سرراً ، ويحثهم على الثبات والصمود ومقاومة العرب (٤٣٤) .

وبعد أن اتخذ أهل سرقوسة الاستعدادات اللازمة أعلنوا رفضهم للهدنة ، فاستأنف عندئذ أسد السير وتقدم لمحاصرة المدينة براً وبحراً ، واستطاع أن يحرق سفنها ، إذا استطاع أسد أن يحاصر مينائي المدينة الصغيرة والكبيرة ، ولكنه لم يستطع أن يدمر الحصن لسببين هما ، عدم توفر آلات الحصار لديه لتدمير حصنها ، فقد كان مع أسد ثمانية آلاف أو تسعة آلاف جندي ليس معهم آلة حصار واحدة والسبب الثاني يعود إلى كون حصن سرقوسة حصناً منيعاً جداً ، فما كان على أسد إلا أن يستمر في ضرب الحصار ، وينتظر وصول الإمدادات ، وفي خلال ذلك الحصار وصلت إلى صقلية إمدادات من إفريقية والأندلس (٤٣٥) .

أما الإمبراطورية البيزنطية فإنها لم تقف مكتوفة الأيدي ، بل اتخذت الإجراءات لإعادة صقلية إلى ما كانت عليه ، ولكنها لم تستطع أن توقف الفتح العربي ، فأرسل الإمبراطور ميخائيل الثاني مدداً إلى صقلية ، وأقنع دوق البندقية جستينيا نوس بإرسال أسطول إلى الجزيرة لحرب العرب ، لأن اقترابهم من مياه بحر الأدرياتيك سيكون خطراً على مدينة البندقية نفسها ، ولكن هذا الأسطول لم يستطع أن يعمل شيئاً من أجل فك الحصار عن أهالي سرقوسة ، وتقدم والي بلرم البيزنطي في جيش كبير ، فأحاط العرب أنفسهم بخندق وجعلوا من ورائه حفراً كثيرة وقاية من الفرسان ، ومع أن البيزنطيين أنفسهم كانوا يلجؤون إلى هذه الطرق الدفاعية ، لكنهم خدعوا هذه المرة وسقط كثيرون منهم في تلك الحفر ، حيث كانت الخيول تكبوا والفرسان تتساقط جماعات ، فيقتلهم العرب (٤٣٦) .

ويظهر أن هذه المعركة وقعت قبل وصول مدد الإمبراطور ميخائيل من القسطنطينية ، واشتد حصار العرب سرقوسة وأصبح موقف أهل المدينة حرجاً إلى حد كبير ، فطلبوا المفاوضة فهم أسد أن يقبل ، ولكن رفض من معه من العرب فعادت الحرب ، ولكن وباء شديداً انتشر في صفوف معسكر العرب ، وهم محاصرون لسرقوسة ، مات فيه أسد بن الفرات نفسه في سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، وقيل أنه مات من جراحات إصابته ، ودفن في نفس المكان (٤٣٧) .

ولم يكن وفاة القائد أسد بن الفرات نهاية الحملات لفتح صقلية ، فقد تلتها في السنوات اللاحقة عدة فتوحات فتم فتح بلرم في سنة ٢١٦ هـ ، وفتح مدينة مسسبي في سنة ٢٢٨ هـ ، وتم فتح جزيرة صقلية بشكل نهائي من قبل المسلمين في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، على يد إبراهيم الثاني أمير الأغالبه (٤٣٨) .

(هـ) الفتوحات في عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)

بويج المعتصم بالخلافة في ١٩ رجب سنة ٢١٨ هـ / ٩ أغسطس عام ٨٣٣ م ، في معسكر الجيش العربي في بلاد الروم ، حيث توفي المأمون ، وهو ثامن أولاد الرشيد ، وثالثهم في الوصول إلى الخلافة ، وقد بايعه العباس بن المأمون منذ اللحظة الأولى ، واختار الخليفة المعتصم سامراء على بعد سبعين ميلاً إلى الشمال من بغداد على نهر دجلة لتكون عاصمته الجديدة ، وكان المعتصم رجلاً مهيب الصورة ، موصوفاً بالشجاعة (٤٣٩) .

✽ فتح عمورية

في سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧ م ، تم القضاء على تمرد (بابك الخرمي) وجيء به إلى سامراء ، وتهيأت بذلك الفرصة أمام الخليفة المعتصم بعد أن استتبت الأمور لحكمه لتخفيف رغبته في الانتقام من ملك الروم (توفيل) نتيجة غزوه مدينة (زبطرة) العربية .

وقد تم نتيجة إعلانه النفير تجمع الجيوش النظامية والمتطوعة في معسكرات غربي نهر دجلة في منطقة سامراء وأصبحت مستعدة للمسير وكانت تلك القوات كبيره لم تجتمع قبل مثلها مزودة بأحدث الأسلحة والمعدات المعروفة آنذاك ، وقد اختلف في تعدادها والرقم الذي نعتقه قريب إلى الرقم الصحيح يكون بين ٢٥٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف مقاتل (٤٤٠) .

وقد أمر الخليفة المعتصم أن يكتب كل حامل لواء على لوائه (رايته) أنه يقصد (عمورية) كما أمر جميع المحاربين أن يكتبوا اسم (عمورية) على التروس شرع الجيش العربي بالحركة من سامراء في ٢ جمادى الآخرة ٢٢٣هـ / الأول من نيسان ٨٣٨ م ، وهدفه (عمورية) وكانت خطة التقدم تقتضي بدخول بلاد الروم برتلين على طريقين مختلفين ، ، الرتل الأول - بقيادة (الأفشين) (حيدر بن كاردس) بقوة (٣٠٠٠٠) مقاتل ويعقب طريق (درب الحدث) إلى داخل بلاد الروم على أن يسلك طريق - الرقة - سروج - سمياط - ومنها إلى درب الحدث ، أما الرتل الثاني وهو القسم الأكبر من الجيش بقيادة الخليفة المعتصم ويعقب طريق طرسوس ومنها إلى داخل بلاد الروم (٤٤١) .

واتخذ الخليفة المعتصم ترتيبات الحماية أثناء التنقل فقسم جيشه إلى مقدمة جعل على رأسها القائد (أشناس) و (محمد بن مصعب) وميمنة وعلى رأسها القائد (إيتاخ) وميسرة وعلى رأسها القائد (جعفر بن عبد الله الخياط) وعلى القلب جعل القائد (عجيف بن عنبسه) وسار الرتلان حتى وصل الرتل

الأول سرج والرتل الثاني وصل إلى نهر (اللامس) الذي يقع على الحدود العربية - الرومية ، وهو موضع كان يجري عليه تبادل الأسرى بين العرب والروم ^(٤٤٢) .

خرج ملك الروم بجيشه من القسطنطينية في الأسبوع الأول من حزيران عام ٨٣٨م لملاقاة الجيش العربي عندما سمع بتقدم الخليفة المعتصم على رأس الجيش نحو بلاده ، وأكمل تحشده عند مدينة (درولية) الكائنة شمال غرب (عمورية) وعلى مسيرة ثلاثة أيام منها (تبعد ١١٠ كيلومترات منها تقريبا) وتسمى حالية مدينة (أسكى شهر) وأن (توفيل) كان بعرف هدف الخليفة المعتصم من الحملة وهو مدينة (عمورية) ، ووصلته أنباء عن عظمة الجيش العربي وقواته الكبيرة ، لذلك قدم بعض قادة الجيش الرومي إلى ملك نصيحة أشاروا فيها عليه إخلاء مدينة (عمورية) من السكان ، ولكن (توفيل) رأى في ذلك جبنا لا يليق به وأثر أن يحصن (عمورية) وعهد بحمايتها إلى قائد محنك يدعى (إيتوس) وكان بطريقا والقائد العام في أناضوليا كما بعث إلى المدينة تعزيزات جديدة بقيادة القائدين (ثيودور كراتيروس) والبطريق (قسطنطين بابوتريكوس) ، تقدم الملك (توفيل) بعد أن أكمل تجهيزه جيشه من (درولية) إلى وراء نهر (الهيلي) فتأهب لعبور النهر لمفاجأة الجيش العربي ومانعا المعتصم للوثوب عليه ^(٤٤٣) .

بقي الملك (توفيل) وجيشه في هذا المحل ينتظر الفرصة للانقضاض على الجيش العربي مدة شهر ، وفي هذا الوقت علم الملك من عيون أن جيشا عربيا آخر قد دخل بلاد الروم من ناحية (جند الأرميناك) من مدينة (سردج) على طريق (درب الحدث) بقيادة (الأفشين) فقرر الملك توفيل استغلال الفرصة لتحطيم هذا الجيش في هذه الجبال الموحشة لذلك ترك الملك جزءا من جيشه بقيادة شخص يمت له بصله القرابة (ابن عمه) على نهر (الهليس) وأمره أن يبني

في محله ولا يجهد نفسه وأن يتجنب الدخول مع الجيش العربي بمعركة نظامية وسار (توفيل) على رأس - أكثرية جيشه لملاقاة جيش (الأفشين) في منطقة (جند الأرميناك) (٤٤٤) .

غزر الخليفة المعتصم الدخول إلى أرض الروم ، من جهات مختلفة حيث أرسل (الأفشين) مع قسم من الجيش إلى (سردج) الواقعة جنوب غرب (سكياط) بـ ٦٥ كيلومتر (ثلاثة عشر فرسخاً) وأمره أن يدخل أرض الروم عن طريق (الحدث) ، وقد انضم إلى هذا الجيش أمير ملطية ، وجنود من أرمينيا وقد حرر لهذا الرتل يوم يصل فيه إلى (أنقرة) أن الخليفة المعتصم كان على رأس الجيش الرئيسي في (طرسوس) مستعداً للتقدم إلى (أنقرة) ليصلها في نفس الوقت الذي يصلها جيش الأفشين ولتكون نقطة الانطلاق فيما بعد منها إلى (عمورية) (٤٤٥) .

بدأ جيش الخليفة المعتصم في التقدم نحو (أنقرة) يوم الأربعاء ٢٢ رجب ٢٢٣ هـ / ١٩ حزيران ٨٣٨ م ، وقد قسم الجيش إلى ثلاثة أقسام ، في المقدمة جيش على رأسه القائد (أشناس) ويليهِ جيش على رأسه القائد (وصيف) يليهِ جيش بقيادة (الخليفة المعتصم) وأمر هذه الجيوش بالتقدم إلى (أنقرة) على طريق طرسوس - الصفصاف - لؤلؤة - مرج مرج الأسقف على أن تكون الفاصلة بين جيش وآخر يوم واحد (٤٤٦) .

وعند وصول جيش (أشناس) منطقة (* مرج الأسقف) وصلت أخبار إلى الخليفة المعتصم تفيد بأن ملك الروم على رأس جيشه يعسكر قرب نهر (الهليس) وهو مستعد للعبور ومفاجأة الجيش العربي .

بعث الخليفة المعتصم على الثغور خطاباً إلى (أشناس) يعلمه فيه بالمعلومات التي وصلتته عن جيش الروم ويأمره أن يبقى في محله ولا يعبر (نهر الهليس) طالما لن تلتحق بالرتل إلا منعه والمؤن وكذلك القوات التي

أفرزها الرتل لتقوم بواجب (الساقات) عند عبور الجيش مضيق قلقيّة ، وواجب الساقات حماية مؤخرة الرتل ، وهي عبارة عن قوات صغيرة ، ويظهر من ذلك أن الخليفة المعتصم كان لا يريد ملاقات جيش الخصم وظهر الجيش العربي مستند إلى النهر أمثال (أشناس) للأمر وتوقف واتخذ تدابير الحماية المحلية لتفويت الفرصة على الروم من مباغتته حيث أرسل قطعان استطلاع قوية من الفرسان إلى الأمام والأجنحة (٤٧) .

أرسل الخليفة المعتصم بعد ثلاثة أيام من توقف (أشناس) رسالة له يطلب منه أن يتقصى المعلومات عن ملك الروم وجيشه وأن يرسل قوة تعمل على جلب بعض الأسرى (للحصول على المعلومات بالقوة) لاستطلاعهم والحصول على المعلومات المطلوبه عن طريقهم .

كلف أشناس المدعو (عمر الفرغاني) على رأس قوة قوامها ٢٠٠ مقاتل من الفرسان لهذا الغرض ، واستطاع الفرغاني من جلب عدد كبير من جنود الروم وبعض السكان المحليين كأسرى ، وتبين من المعلومات التي أفاد بها هؤلاء الأسرى بأن معسكر جيش الروم بقيادة الملك (توفيل) يقع وراء نهر (الهليس) وعلى بعد ٢٠ كيلومترا عن النهر ، وقد مضى على الملك في هذا المعسكر ما يقرب من ثلاثين يوماً ، وهو يترقب مرور جيش الخليفة المعتصم للهجوم عليه ، كذلك أفادوا بأن ملك الروم وصلته معلومات تفيد بأن جيشاً عربياً دخل أرض الروم من ناحية (جند الأمينك) وهو جيش (الأفشين) وأن الملك (تزفيل) ترك قوة صغيرة وراء نهر (الهليس) وسار على رأس جيشه باتجاه (الأفشين) لمباغتته وتدمير جيشه ، أخبر (أشناس) الخليفة المعتصم بهذه المعلومات المهمة ، وعلى أثر وصول تلك المعلومات إلى المعتصم حاول إيصالها إلى (الأفشين) على الفور بكل الوسائل الممكنة ، وخصص مبلغاً كبيراً من المال (عشرة آلاف درهم) لمن يوصل خطاب الخليفة المعتصم إلى الأفشين

والذي يعلم فيه الخليفة الأفشين بتحركات ملك الروم ويأمره بهذا الخطاب أن يقف حيث هو لا يتحرك (٤٤٨) .

وفي الوقت نفسه عزز الخليفة المعتصم رتل (أشناس) وأمره بالتقدم فـرواً نحو (أنقرة) وسار الخليفة على رأس قوته وراء (أشناس) وجعل المسافة بينهما مسيرة يوم واحد ولم يكن لدى الرتلين أي خبر عن رتل (الأفشين) فقد توغل في بلاد الروم ولم يصله خطاب الخليفة المعتصم، استمر الملك (توفيل) بالمسير على رأس جيشه حتى وصل (دازيمون) وهي (دزناما القريبة من ترخال الآن) ووقف جيشه على سفوح جبل يسمى (أنزن) وهناك تقابل مع جيش (الأفشين) وجهاً لوجه .

وفي يوم الأربعاء ٢٤ شعبان ٢٢٣هـ / ٢١ تموز ٨٣٨م ، كان كلا من الجنسين مستعدين لبدء القتال ، استشار الملك (توفيل) قادة جيشه في إجراء الهجوم ليلاً أو نهاراً وقد تضاربت الآراء حول ذلك وكان الملك يفضل الهجوم ليلاً ومع ذلك فقد فضلت الاكثريّة الهجوم نهاراً وتقرر ذلك (٤٤٩) في صباح يوم الخميس ٢٥ شعبان - الموافق ٢٢ تموز ، ابتدأت المعركة بين الطرفين وكانت في بداية النهار تسير لصالح الجيش الرومي حيث أوقعوا خسائر كبيرة في الجيش العربي ولكن المعركة انقلبت لصالح الجيش العربي عند ظهر نفس اليوم عندما تدخل الفرسان العرب حيث أوقعوا في الروم الخسائر الفادحة واختل نظام الجيش الرومي وانهزموا من ميدان المعركة واستمرت المعركة حتى الليل وكانت النتيجة هزيمة الجيش الرومي شر هزيمة، وأخذ الجنود الروم يتفقدون قائدهم ولم يجدوه في المعسكر لذلك انسحب أعداد كبيرة منهم نحو نهر (الهليس) ليلتحقوا بالقوة التي تركها الملك (توفيل) هناك بقيادة ابن عمه ، إلا أن هؤلاء الجنود علموا بأن الجيش الذي تركه (توفيل) هناك قد تمرد على قائده وتفرق .

أما الملك (توفيل) فقد بقي في ميدان المعركة زمناً بعد هروب معظم جيشه ولم ينقذه من المصير المحتوم سوى حلول الظلام وهطول الأمطار التي أرخت أوتار سهام المطاردين من الجيش العربي ، واستطاع تجميع ما تبقى لديه من القادة والجنود والانسحاب معهم إلى موضع الجيش الذي تركه على نهر (الهليس) ووجد أن الجيش قد تفرق فأمر بقتل قائده وأرسل أوامره إلى المدن والحصون ليقبضوا على الجنود الهاربين ويبعثوا بهم إلى مكان سماه لهم ليجتمع إليه الناس ليلقى العرب ، ثم أرسل إلى أنقرة قوة لحماية أهلها من جيش (المعتصم) ولكن وصلت القوة بعد فوات الأوان حيث وصلوها وشاهدوا أن أهالي (أنقرة) قد تركوا مدينتهم وإلتجأوا إلى الجبال ، فلما سمع الملك (توفيل) بهذه الأخبار انسحبت ومن معه إلى (درولية) وطلب أن تأتيه الأخبار عن عمورية فقطعوا رأسه (٤٥٠) .

تقدم رتل الخليفة (المعتصم) باتجاه (أنقرة) على عجل نتيجة الأخبار التي وصلتته على تحرك الملك (توفيل) باتجاه رتل (الأفشين) وكان على رأس المقدمة (أشناس) ولما وصل إلى مسافة (مسيرة ثلاثة أيام من أنقرة) وصلتته معلومات تفيد بأن أهالي (أنقرة) التي كانت تتميز بحصنها القوي قد تركوها خوفاً من الجيش العربي نحوهم واشتبكوا معهم بمعركة قصيرة اندحر على أثرها أهالي أنقرة وغنم العرب الكثير من الأرزاق التي كانوا يأمن الحاجة إليها وقد أسروا الكثير فاستطاعوا أن يحصلوا على معلومات هامة منهم حيث علموا أن الكثيرين من أهالي أنقرة اشتركوا مع جيش (توفيل) في المعركة التي نشبت بينهم وبين جيش (الأفشين) وعلموا منهم كذلك نتيجة المعركة وأثناء انتصارات جيش (الأفشين) على جيش الروم وكانت أنباء جيش الأفنيش منقطعة عنهم منذ زمن بعيد وكذلك حصلوا على معلومات تفيد بأن الملك (توفيل) قد انسحب إلى (درولية) وأنه أرسل تعزيزات إلى عمورية (٤٥١) .

وفي نفس اليوم استولى (أشناس) على حصن (أنقرة) وفي اليوم التالي وصلها الخليفة (المعتصم) على رأس الجيش العربي وفي اليوم الثالث جاءت أنباء من الأفشين تخبر الخليفة (المعتصم) بأنه قادم نحو أمير المؤمنين ، وفي اليوم التالي وصل رتل (الأفشين) إلى أنقرة وبذلك تكامل تواجد الجيش العربي بقيادة الخليفة المعتصم في منطقة (أنقرة) يوم ٢٨ شعبان ٢٢٣هـ / المصادف ٢٥ تموز ٨٣٨ (٤٥٢) .

أثرت هزيمة الجيش الرومي في نفسية الملك (توفيل) تأثيرا كبيرا جعلته ينسى حملته المظفرة على (زبطة) في العام الذي مضى ، وبعث إلى الخليفة المعتصم رسلا ليتولوا الشرح وبذل الوعود المذلة ، حيث ادعى (توفيل) بأن قادة جيشه تجاوزوا أوامره عند احتلال (زبطرة) ووعد ببناء المدينة المدمرة على نفقته الخاصة وأن يعيد إلى الخليفة سكان (زبطرة) مضافا إليهم من كان عنده من أسرى العرب ، ولم يستجب الخليفة المعتصم لتوسلات الملك (توفيل) واتهم الروم بالجبن ، وأمر بحجز الرسل لحين الانتهاء من فتح (عمورية) . بعد أن تكامل تواجد الجيش العربي في منطقة أنقرة أصدر الخليفة المعتصم أوامره إلى الجيش العربي بالتقدم نحو (عمورية) بثلاثة أرتال على أن يكون لكل رتل ميمنة وميسرة ، الرتل الأيمن بقيادة (الأفشين) ، الرتل المركزي بقيادة (الخليفة المعتصم) أما الرتل الأيسر بقيادة (أشناس) أول من وصلها ونزل على بعد ميلين من المدينة ووصل الخليفة المعتصم ثم وصل (الأفشين) في اليوم الثالث وضرب الجيش العربي نطاقا محكما من الحصار حول المدينة التي كانت محاطة بحصن قوي ، وكان سورها يحتوي على أربعة وأربعين برجاً وكانت موطن الأسرة المالكة الرومية وكانت يومئذ مدينة عامرة ، قسم رتل عدد من الأبراج ومسافة من السور تتناسب مع تعداد الرتل (٤٥٣) .

✽ حصار عمورية

بدأ الحصار في يوم الجمعة ٦ رمضان ٢٢٣ هـ / ١ آب ٨٣٩ م ، وكان الجيش العربي قد هيا كافة المستلزمات المطلوبة لإدامة الحصار ومهاجمة السور والأبراج ، ونظرا لمناعة أسوار (عمورية) لذا أمر الخليفة المعتصم ، بحفر خنادق حول المدينة ليحتمي بها المقاتلون من الجيش العربي وقرر الهجوم بأقصى قوة ممكنة ابتداء هجوم الجيش العربي بقذف المجانيق أحجارا ضخمة نحو سور (عمورية) وأطلقت السهام باتجاه المدافعين على السور وتمكنوا من قتل أغلب من كانوا على الأسوار ، وكان آخرون من الجيش العربي يرمون من عجلات مغطاة تحمي المكلفين بالحفر عن السور ، أما أهالي (عمورية) والجيش الرومي المحاصرون فكانوا يقذفون الجيش العربي بأحجار من مقاليعهم وسهامهم^(٤٥٤) . وكان رجل من المسلمين سبق وأن أسره الروم يسكن عمورية وقد تزوج رومية ، فلما رأى المسلمين خرج إليهم خفية واجتر الخليفة المعتصم أن هناك موقعا في السور ضعيف البنيان حيث سبق أن تهدم نتيجة السيول وقد طلب ملك الروم من حاكم (عمورية) أن يعيد بناءه إلا أن حاكم المدينة تجاهل في تنفيذ الأمر ، وعندما خرج الملك (توفيل) من القسطنطينية خشي حاكم المدينة من محاسبة الملك له في حالة إطلاعه على السور المهدوم ، لذلك أمر ببنائه على عجل وأدى ذلك إلى أن يكون ذلك الجزء من السور ضعيفا^(٤٥٥).

استفاد الخليفة المعتصم من هذه المعلومات الثمينة وأمر بأن ننصب المجانيق باتجاه تلك الثغرة الضعيفة من السور وأن يركز الرومي باتجاهها ، وكان نتيجة ذلك أن تهدم السور في تلك المنطقة، وحاول الروم منع التصدع في السور حيث عملوا على سد الثغرة بالخشب وبطنوه بالغير لتخفيف وقع الأحجار

وظلوا على ذلك زمناً إلا أن تركيز الضرب على تلك المنطقة أحدث كسراً في الخشب وتداعى كل السور من هذه الناحية وباعت محاولاتهم بالفشل وعلى أثر ذلك وضع الروم تلك المواد وسدوها كي لا يستطيع المهاجمون الدخول منها وأمر الخليفة المعتصم القطاعات الأمامية بالدخول من الثغرة ، ومع ذلك فشل الهجوم لشدة مقاومة الروم وتركز قوتهم ومجانيقهم على هذه المنطقة الضعيفة في السور البالغة الأهمية (٤٥٦) .

ونتيجة الموقف الخطير الذي أصبح فيه المقاتلون دفاعاً عن (عمورية) والخسائر التي تكبدوها كتب قائد عمورية (إيتيوس) إلى الملك (توفيل) كتاب يعلمه فيه بتهدم جزء من السور وموقفهم الخطير والخسائر الفادحة التي تكبدوها وقوة الجيش العربي المحاصر للمدينة ، ويعلمه كذلك بأنه عازم على مغادرة عمورية ليلاً مع جنوده حيث يحمل على جيش العرب ويشق له ولجنوده طريق بالقوة ليلحق هو وجنده بالملك وقد ختم القائد الرومي خطابه بالعبارة التالية (ليكن ما يكن ولينج من يستطيع النجاة ويهلك من يلقاه الهلاك) وأرسل الكتاب مع رجلين أحدهما يتكلم اللغة العربية إلا أن الرجلين ألقي القبض عليهما من قبل جنود الخليفة وجيء بهما إلى الخليفة المعتصم وقام جنود الخليفة بتفتيشهما فوجدوا بحوزتهما الكتاب ، وأمر بتطوafهما حول سور (عمورية) ووقفاً مقابل البرج الذي كان يقيم فيه (إيتيوس) فرآهما وكذلك شاهدهم الروم الذين كانوا في السور (٤٥٧) .

وعلى أثر معرفة الخليفة المعتصم بنوايا (إيتيوس) أمر بتشديد الحراسة ليلاً ونهاراً لإحباط نواياهم ، وقرر الخليفة المعتصم شن هجوم ثالث مركز على أسوار المدينة والاستيلاء عليها ، وأسر بناء عرادات يديرها أربعة مقاتلين ووضع العرادات على منصات ضخمة محمولة على عجلات وجعل مع العرادات دبابات تتحرك على عجلات وجعلها أيضاً تتسع لعشرة رجال ثم

خصص من الجنود لطمر الخندق بجلود الغنم الممشاة بالتراب لتسهيل عبور الدبابات للخندق والوصول إلى الأسوار للسيطرة عليها وعندما شرع بطمر الخندق بجلود الأغنام الممشاة صوب الروم بمجانيقهم وسهامهم بكثافة على الجنود وكان نتيجة ذلك أن أُلقيت الجلود على عجل ولم يمتلئ الخندق بها ، فأمر الخليفة أن يلقي التراب فوقهما وأمر الدبابات أن تعبر الخندق إلا أنها توقفت عند منتصف الخندق نتيجة عدم طمر الخندق بصورة جيدة ، وفشل الجنود في دفعهما عبر الخندق وكاد يموت من كان فيها من الجنود وهكذا انتهت العملية بالفشل (٤٥٨) .

في اليوم التالي أمر المعتصم بإعادة الهجوم وكان (أشناس) وجنوده أول من هاجم الأسوار ولكنه لم يحالفه النصر واستمرت الهجمات الشديدة ثلاثة أيام متتالية وقد ترأس فيها الهجوم (الأفشين) ثم الخليفة (المعتصم) نفسه وكانت صعبه ومع ذلك بدأت الحرب تتطور لصالح العرب تدريجيا نتيجة التركيز على ضرب الشجرة بالمنجنيق ونتيجة الخسائر الكبيرة التي وقعت في صفوف الروم المدافعين عن الشجرة .

❀ سقوط عمورية

كان القادة الروم (بطارقة) قد تقسموا مسؤولية الدفاع عن السور والأبراج وكان البطريق الموكل إليه الدفاع عن منطقة الثلثة التي حدثت في السور يد على (وندو) وكان مقاتلا شديدا ، إلا أن كثرة الخسائر التي وقعت في صفوف قواته من جراء قصف المنجنيق على الشجرة أدى إلى أن يطلب (وندو) العون والمدد من (إيثيوس) إلا أن الأخير لم يلب طلبه لأنه في أمس الحاجة إلى الجنود في القواطع الأخرى من السور ، لذلك اجتمع (وندو) مع مستشاريه

وناقش الأمر معهم وتم الإتفاق على الخروج إلى المعتصم وطلب الأمان لهم ولعوائلهم مقابل تسليم الحصن بما فيه من السلاح والمتاع^(٤٥٩).

ولما أصبح الصباح أمر أصحابه المسؤولين عن الدفاع عن الثغرة بأن لا يحاربوا حتى يعود وخرج هو إلى الخليفة المعتصم وبينما هو يحاور المعتصم كان الجنود العرب يتقدمون ويقتربون من السور في حين أمسك الروم عن القتال وأشاروا على الجنود العرب المتقدمين بالوقوف عن التقدم .

استغل الجنود العرب الفرصة وبسرعة خاطفة دخلوا المدينة من الثغرة وكانت مفاجئة تامة للروم فهربوا أمام القوات العربية ، وكان (وندو) مع المعتصم عندما دخل الجنود العرب المدينة مستغلين عدم مقاتلة الروم لهم نتيجة أوامر قائدهم (وندو) لهم بعدم القتال لحين عودته فلما رأى (وندو) ذلك قال المعتصم (كل شيء تريده فهو لك ولست (خائنك) ، أما (إيثيوس) قد استسلم إلى الخليفة المعتصم ، وهكذا افتتحت (عمورية) أقوى حصن بلاد الروم بعد حصار استمر ١٢ يوما كانت قاسية على الطرفين حيث قتل في عمورية من الروم ٤٠,٠٠٠ وأخذ الباقيون أسرى^(٤٦٠) .

أمضى الخليفة المعتصم في (عمورية) خمسة وخمسين يوما وأمر بترميم (زبطرة) وتحصينها وإقامة حصون أخرى حولها وكان المعتصم في تلك الفترة يفكر في حملة على القسطنطينية وجمع المعلومات عنها وعن طريق حصارها برا وبحرا ، وعاد الجيش العباسي إلى سامراء بعد هذا الانتصار الكبير، وصرف الخليفة النظر عن مشروعه في مهاجمة القسطنطينية ، بسبب اكتشاف مؤامرة داخل الجيش استهدفت حياته^(٤٦١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهوامش

- (١) سقيفة بن ساعدة بالمدينة ، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها ، أما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة ، فهم من الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكانت دار سعد مما يلي سوق المدينة وعندها السقيفة .
- (٢) الطبري - تاريخ - ٢١٠/٣ .
- (٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ط ٢ .
- (٤) ابن خلدون - المقدمة - بيروت - ط ٣ - ص ١٩١ .
- (٥) المصدر نفسه - ص ٢٠٩ .
- (٦) عبد المنعم ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٧-١٦/١ .
- (٧) ابن هشام - السيرة - ٦٦١/٢ .
- (٨) هو أسامه بن زيد بن حارثة - أمه أم أيمن وكان أسود أفتس ، أرفهه رسول الله (ﷺ) خلفه يوم الفتح على راحلته القصواء واستعمله وهو ابن ثماني عشرة سنة ، روي له عن رسول الله (ﷺ) - ١٢٨ حديثاً ، وروي عنه ابن عباس وجماعة من كبار التابعين وكانت وفاته بالمدينة وقيل بوادي القرى وحمل إلى المدينة سنة ٥٤ هـ .
- (٩) ولا تعفروا نخلًا - أي لا تقطعوه .
- (١٠) الدوري - مقدمة في تاريخ صدر الإسلام - ص ٤٥-٤٦ .
- (١١) البلاذري - فتوح البلدان - ص ١١٥ .
- (١٢) الطبري - تاريخ - ٣٦١/٣ - ٣٦٢ .
- (١٣) طه حسين - الشيخان - ص ٨٧-٨٨ .
- (١٤) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٤٢ .
- (١٥) المصدر نفسه - ص ٢٤٢-٢٤٣ .

- (١٦) كمال أحمد عادل - الطريق إلى المدائن - ص ٢٠٥ .
- (١٧) الأيالة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة لأن البصرة حصرت في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكانت الأيالة حينئذ مدينة .
- (١٨) الطبري - تاريخ ٣/٣٣٤-٣٣٧ .
- (١٩) المصدر نفسه - ٣/٣٤٨ .
- (٢٠) المصدر نفسه - ٣/٣٤٨-٣٥٠ .
- (٢١) الحيرة : وتبعد ثلاثة أميال عن الكوفة على موضع يقال له (النجف) .
- (٢٢) الولجة : بأرض كسكر موضع مما يلي البر وكسكر كورة واسعة ينسب إليها الفراريج العسكرية لأنها تكثر فيها بشكل كبير ، وحد كوره كسكر من الجانب الشرقي في آخر النهروان إلى أن تصب نهر دجلة في البحر ، أما النهروان فهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد .
- (٢٣) في معجم البلدان - عين تمر بلدة قريبة من الأنبار تمر بالكوفة يجلب منها التمر إلى سائر البلاد .
- (٢٤) الطبري - تاريخ - ٣/٣٩٣ .
- (٢٥) تيماء : بلدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق محج الشام ودمشق ولا يلق الفرد: حصن المسؤول بن عاديا مشرف عليه فلذلك كان يقال لها تيماء اليهود
- (٢٦) الطبري - تاريخ - ٣/٣٧٨ - ٣٩١ .
- (٢٧) ابن الأثير - الكامل - ج ٢ .
- (٢٨) الطبري - تاريخ - ٣/٣٧٨ - ابن خياط - تاريخ - ص ٨٦ ، البلاذري - فتوح البلدان - ص ١١٦ .
- (٢٩) البلقاء : منطقة في شرقي نهر الأردن قاعدتها السلط - وبجودة حنطها يضرب المثل .
- (٣٠) البلاذري - فتوح البلدان - ص ١١٧ - ١١٩ .

- (٣١) المصدر نفسه - ص ١٢٠ .
- (٣٢) الطبري - تاريخ - ٤١٨/٣ - ٤١٩ .
- (٣٣) ابن سعد - الطيفان - ٢٠٠/٣ .
- (٣٤) ابن خياط - تاريخ ٩١/١ .
- (٣٥) الطبري - تاريخ - ٤٤٤/٣ .
- (٣٦) المصدر نفسه - ٤٤٥/٣ .
- (٣٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
- (٣٨) المصدر نفسه - ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، الطبري - تاريخ ٤٥٤/٣ - ٤٥٥ .
- (٣٩) المصدر نفسه - ص ٢٥٣ .
- (٤٠) الطبري - تاريخ - ٤٦٠/٣ - ٤٦٣ .
- (٤١) المصدر نفسه - ٤٦٤/٣ - ٤٦٦ .
- (٤٢) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٥٥ .
- (٤٣) القادسية : بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، واختلف في سبب تسميتها ، فقيل سميت بالقادسية بقادس هراة ، وروي ابن عينة قال مر إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً نقلت رأسه فقال قدست من أرض فسميت القادسية .
- (٤٤) سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص ، أسلم بعد سنة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة ، روي عنه قال أسلمت قبل أن تفرض الصلاة وهو أحد المبشرين بالجنة شهد بدرًا واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وأبلى يوم أحد بلاءً عظيماً ، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله ، وأول من رمى بسهم في الإسلام ، وعن جابر قال أقبل سعد فقال رسول الله (ﷺ) : (هذا حالي فليرى أمرؤ خاله) ، وإنما قال هذا لأن سعداً زهري ، وأم رسول الله زهرية ، وهو ابن عمها ، يجتمعان في عيد مناف ، وأهل الأم أحوال ، وكان مجاب الدعوة ، وكان الناس يعلمون ذلك منه ، ويخافون دعاءه

ورمى سعد يوم أحد ألف سهم ، وتوفي سعد سنة ٥٥ هـ وكان آدم قصيراً أقطش
وتوفي بالعقيق على سبعة أميال من المدينة ، وكان آخر المهاجرين موتاً

(٤٥) المغيرة بن شعبة ، الصحابي أسلم عام الخندق وكان موصوفاً بالدهاء والحلم ، شهد
الحديث مع رسول الله (ﷺ) في صلحها كلام معروف مع عروة بن مسعود ، توفي
بالكوفة سنة ٥٠ هـ .

(٤٦) نقلاً عن كتاب الشاهنامة ، ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام ، ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦

(٤٧) الطبري - تاريخ - ٤٩٠/٣ .

(٤٨) سورة الأنبياء - الآية ١٠٥ .

(٤٩) أصل معنى كلمة الهرير : صوت الكلب وهو دون النباح ، وسميت ليلة الهرير لتركهم
الكلاب ، وإنما كانوا يهرون هريرا .

(٥٠) درفش : معناها بالفارسية اللواء وفي مفتاح العلوم للخوارزمي الدرفس معرب من
درفش كابيان ، والدرفش هو العلم وكان إسم الرجل الذي خرج على الضحاك حتى قتله
أفريدون كابي ، وكان علم كابي من جلد دب ويقال من جلد أسد وكان يتيمن به ملوك
الفرس فغشوه بالذهب ورصعوه بالجواهر الثمينة .

(٥١) برس موضع بأرض بابل أثار نبوخذ نصر وتل مفرط العلو صرح البرس .

(٥٢) الكوفة بالضم المصر المشهور بأرض بابل في سواد العراق ، ويسمى قوم (خد
العذراء) قيل : سميت الكوفة لإستدارتها أخذاً من قول العربي رأيت كوفانا وكوفانا
بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها ،
من قولهم قد تكون الرمل وقيل غير ذلك

(٥٣) المدائن : هي عاصمة ملك فارس ، وكانت مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية
وغيرهم ، وإنما سميت العرب المدائن لأنها سبع مدائن وإسمها عن الفرنج أكتيزيفون
بينها وبين بغداد ٢٥ ميلاً .

(٥٤) الطبري - تاريخ - ٥٢٩/٣ - ٥٣٠ .

(٥٥) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي أحد المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي في غربي دجلة ، وهي تجاه الإيوان ، لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي في غربيه .

(٥٦) الدبابات: جمع دبابة ، وهي سلاح كان يضع من الجلد والخشب ، كهيئة العربة يدخل تحتها المقاتلون عند اقتحام الحصون ، فتقيهم من أسهم المدافعين وحجارتهم التي كانوا يقذفون بها المهاجمين .

(٥٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٥٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٠٢/١ - ٢٠٦ .

(٥٩) الطبري - تاريخ - ٣٥/٤ - ٣٦ .

(٦٠) المصدر نفسه - ٣٦/٤ .

(٦١) المصدر نفسه - ٣٦/٤ - ٣٧ .

(٦٢) المصدر نفسه - ٣٧/٤ .

(٦٣) ابن خياط - تاريخ - ١١٠/١ .

(٦٤) البلاذري - فتوح البلدان - ٣٢٧ .

(٦٥) المصدر نفسه - ص ١٢٢ - ١٢٥ .

(٦٦) ابن خياط - تاريخ - ٩٤/١ .

(٦٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ١٢٢ .

(٦٨) سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، ودجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، ودجلة والفرات يقبلان من بلاد الروم ، ويلتقيا قرب البصرة ، ثم يصبان في البحر ، بها من جليلة ، وحصون وقلاع كثيرة - ومن أهم مدنها : حران ، والزهاء والرقعة ، ورأس عين ، ونصيبين ، وسنجار ، والخابور ، وماردين ، والموصل وغير ذلك .

(٦٩) البلاذري - قوم البلدان - ص ١٤٠ .

(٧٠) المصدر نفسه - ص ١٤٠-١٤٢ - الطبري - تاريخ - ٣/٣٩٥ .

(٧١) البلاذري - فتوح البلدان - ص ١٤٢ .

(٧٢) كانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً ، وهي كورة بالشام ، منها حلب ، وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بغرب العواصم ، وإسم حمص عند الروم (EMESA) .

(٧٣) الرقة : أصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء ، وجمعها رقاق ، وقبل الرقاق الأرض اللينة من غير الرمل ، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنها من جانب الفرات الشرقي .

(٧٤) البلاذري ، فتوح البلدان - ص ١٤٢ .

(٧٥) سورة المائدة ، الآية ٢١ .

(٧٦) اسم هذا البطرق حقرنيوس ، ولد بدمشق ، وبقي راهباً مدة طويلة ببيت المقدس ، ثم رحل إلى الإسكندرية ، ثم طرد منها ، واستقر أخيراً بفلسطين ، وفي سنة ٦٣٤ م تم تعيينه بطريقاً لبيت المقدس ، وفي سنة ٦٣٧ م صالح المسلمين .

(٧٧) سورة إبراهيم الآية: ٧ .

(٧٨) سورة الكهف الآية: ١٧ .

(٧٩) سورة التوبة الآية: ٥١ .

(٨٠) ابن خياط - تاريخ - ١/١٠٥ .

(٨١) ابن عبد الحكم وفتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣-٥٦ .

(٨٢) المصدر نفسه - ص ٥٦ .

(٨٣) الطبري - تاريخ - ٤/١٠٤ .

(٨٤) ابن خياط - تاريخ - ١/١١٤ .

(٨٥) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢١٤ .

(٨٦) ذكر الواقدي أن الذي بنى قصر الشمع اسمه الريان بن أرسلان ، وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر ، وذلك أنه إذا حلت الشمس في برج من البروج ، أو قد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر ، فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت في البرج الذي كانت فيه إلى برج آخر غيره .

(٨٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٢١-٢٢٥ .

(٨٨) الدوري - تاريخ صدر الإسلام - ص ٤٧ .

(٨٩) الطبري - تاريخ ٤/١٧٤ .

(٩٠) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص- ٩٨ .

(٩١) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص- ٩٨ .

(٩٢) ابن خياط - تاريخ ١/١٣١ .

(٩٣) قدامة - الخراج - ص - ٣٧٦ .

(٩٤) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ٩٩ .

(٩٥) المصدر نفسه - ص ١٠٠ .

(٩٦) قدامة - الخراج - ص ٣٨٩ .

(٩٧) ابن خياط - تاريخ - ١/١٣٣ .

(٩٨) الطبري ، تاريخ ٤/١٧٦ .

(٩٩) الطبري - تاريخ - ٤/١٧٦ - ١٧٧ .

(١٠٠) المصدر نفسه - ٤- ٢٥١ .

(١٠١) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٠١ .

(١٠٢) المصدر نفسه - ص ١٠١ - ١٠٢ .

(١٠٣) الطبري - تاريخ ٤/٢٤٦ .

(١٠٤) قدامة - الخراج - ص - ٣٧٩ .

- (١٠٥) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٨ .
- (١٠٦) ابن خياط - تاريخ - ١٤٠/١ .
- (١٠٧) ابن خياط - تاريخ - ١٣٧/١ .
- (١٠٨) الطبري - تاريخ - ٢٦٦/٤ .
- (١٠٩) ابن خياط - تاريخ - ١٤٠/١ .
- (١١٠) ابن خياط - تاريخ - ١٣٨ /١ .
- (١١١) المصدر نفسه - ١٣٧/١ .
- (١١٢) المعاضيدي - عثمان بن عفان ص ١١٠ .
- (١١٣) ابن خياط - تاريخ ١٣٩/١ - ١٤٠ .
- (١١٤) المعاضيدي - عثمان بن عفان ص ١١٢ .
- (١١٥) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١١٣ .
- (١١٦) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١١٣ .
- (١١٧) ابن خياط - تاريخ ١٤٠/١ .
- (١١٨) ابن خياط - تاريخ ١٤٠/١ ، ١٥٨ .
- (١١٩) المصدر نفسه - ص ١٤٠ .
- (١٢٠) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١١٥ .
- (١٢١) ابن خياط - تاريخ ١٥٨/١ .
- (١٢٢) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١١٧ .
- (١٢٣) الطبري - تاريخ - ٢٦٤/٤ .
- (١٢٤) ابن خياط تاريخ ١٤٠ /١ .
- (١٢٥) اليعقوبي - تاريخ - ١٦٧/٢ .
- (١٢٦) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١١٨ .

- (١٢٧) ابن خياط - تاريخ - ١٤٠/١ .
- (١٢٨) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١١٩ .
- (١٢٩) اليعقوبي - تاريخ - ١٦٧/٢ .
- (١٣٠) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١١٩ .
- (١٣١) المصدر نفسه - ص ١٢٠ .
- (١٣٢) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١٢١ .
- (١٣٣) المصدر نفسه - ص ١٢١ .
- (١٣٤) المصدر نفسه - ص ١٢٦ .
- (١٣٥) الطبري - تاريخ - ٢٦٩/٤ .
- (١٣٦) قدامه - الخراج - ص ٣٧٧ .
- (١٣٧) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١٢٢ .
- (١٣٨) المصدر نفسه - ص ١٢٣ .
- (١٣٩) الطبري - تاريخ - ٣١٢/٤ - ابن الخياط - تاريخ ١٤١/١ .
- (١٤٠) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٣ .
- (١٤١) الطبري - تاريخ - ٢٤٧/٤ .
- (١٤٢) المصدر نفسه - ٢٤٧/٤ - ٢٤٨ .
- (١٤٣) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٤ .
- (١٤٤) ابن خياط - تاريخ ١٣٨/١ .
- (١٤٥) ابن أعثم - كتاب الفتوح - ١١٢/٢ - ١١٣ .
- (١٤٦) المصدر نفسه - ١١٣/٢ .
- (١٤٧) المعاضدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٥ .
- (١٤٨) ابن أعثم - الفتوح - ١٥/٢ .

- (١٤٩) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٥ .
- (١٥٠) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٦ .
- (١٥١) اليعقوبي - تاريخ ١٦٨/٢ ، ابن أعم - كتاب الفتوح ١١٥/٢ .
- (١٥٢) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٠٧ .
- (١٥٣) البلاذري - فتوح - ص ١٥٧ - ١٣٣ .
- (١٥٤) المصدر نفسه - ص ١٣٣ .
- (١٥٥) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٣٥ .
- (١٥٦) ابن أعم - كتاب الفتوح - ١١٧/٢ - ١١٨ .
- (١٥٧) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٣٦ .
- (١٥٨) المصدر نفسه - ص ١٣٧ .
- (١٥٩) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٣٧ .
- (١٦٠) ابن أعم - كتاب الفتوح - ١٤٥/٢ - ١٤٦ .
- (١٦١) المصدر نفسه - ١٢٨/٢ .
- (١٦٢) الطبري - تاريخ - ٢٩٠/٤ .
- (١٦٣) ابن أعم - كتاب الفتوح - ١٣٠/٢ .
- (١٦٤) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٣٩ .
- (١٦٥) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٣٩ .
- (١٦٦) ابن أعم - كتاب الفتوح - ١٢٨/٢ .
- (١٦٧) المصدر نفسه - ١٢٨/٢ - ١٢٩ .
- (١٦٨) ابن أعم - كتاب الفتوح - ١٤١/٢ .
- (١٦٩) المصدر نفسه - ١٤١/٢ - ١٤٢ .
- (١٧٠) ابن أعم - كتاب الفتوح - ١٤٢/٢ .

- (١٧١) المصدر نفسه - ١٤٢/٢ - ١٤٥ .
- (١٧٢) العدوي - الامويين والبيزنطيين - ص ٢٥ .
- (١٧٣) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٤٢ .
- (١٧٤) ابن اعثم - كتاب الفتوح - ١٢٥/٢ - ١٢٦ .
- (١٧٥) ابن اعثم - كتاب الفتوح - ١٢٧/٢ .
- (١٧٦) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٤٤ .
- (١٧٧) ابن اعثم - كتاب الفتوح - ١٣٢/٢ .
- (١٧٨) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٤٥ .
- (١٧٩) ابن اعثم - كتاب الفتوح - ١٣٤/٢ .
- (١٨٠) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٤٦ .
- (١٨١) ابن خياط - تاريخ - ١٣٨/١ .
- (١٨٢) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٤٧ .
- (١٨٣) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٤٧ .
- (١٨٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٧-٢٨ ص/٢ .
- (١٨٥) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١١١ .
- (١٨٦) ابن سعد - الطبقات - ٦٨/٥ .
- (١٨٧) ياقوت - معجم - ٨٦-٨٧ ص/٧ .
- (١٨٨) البلاذري - فتوح - ص ١٩٧ - ١٩٨ .
- (١٨٩) ياقوت - معجم - ٣٢٠/٧ - ٣٣٧ .
- (١٩٠) البلاذري - فتوح - ص ١٣٣ - ١٦٧ - ١٨٥ - ١٨٨ .
- (١٩١) أومان - الإمبراطورية البيزنطية - ص ١٣١ - ١٣٢ .
- (١٩٢) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٤٦ / ٢ .

- (١٩٣) شبلي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١١٥ .
- (١٩٤) ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٩٤ .
- (١٩٥) ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٩٤ .
- (١٩٦) شبلي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٢٠ .
- (١٩٧) خطاب - قادة فتح المغرب - ٩٨/١ .
- (١٩٨) المصدر نفسه - ص ٩٩ .
- (١٩٩) خطاب - قادة فتح المغرب - ١٠١/١ .
- (٢٠٠) المصدر نفسه - ١٠٢/١ .
- (٢٠١) خطاب - قادة فتح المغرب - ١٠٣/١ .
- (٢٠٢) خطاب - قادة فتح المغرب - ١٣٨/١ .
- (٢٠٣) خط اب - قادة فتح المغرب - ١٣٩/١ .
- (٢٠٤) المصدر نفسه - ١٤٠/١ .
- (٢٠٥) خطاب - قادة فتح المغرب - ١٤١/١ .
- (٢٠٦) الواقدي - فتوح الشام ومصر - ٤١٣/١ .
- (٢٠٧) السيد عبد العزيز سالم - تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس - ص ٩٥، ٩٦-٩٧ .
- (٢٠٨) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية - ص ٢٤ .
- (٢٠٩) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٧٨ .
- (٢١٠) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط - ص ٢٤ .
- (٢١١) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٦١ / ٢ .
- (٢١٢) المصدر نفسه - ٦٢-٢ .
- (٢١٣) شبلي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٢١ .

- (٢١٤) شبلي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٢٢ .
- (٢١٥) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١٥٢/١ .
- (٢١٦) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١٥٤/١ .
- (٢١٧) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٧٠ / ٢ .
- (٢١٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٧١ / ٢ .
- (٢١٩) المصدر نفسه - ١٧١/٢ - ١٧٢ .
- (٢٢٠) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٧٢ / ٢ .
- (٢٢١) المصدر نفسه - ١٧٣/٢ .
- (٢٢٢) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٧٢ / ٢ .
- (٢٢٣) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٧٥ / ٢ .
- (٢٢٤) المصدر نفسه - ١٧٦/٢ .
- (٢٢٥) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١٥٤/١ - ١٥٥ .
- (٢٢٦) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١٥٥ .
- (٢٢٧) المصدر نفسه - ١٥٦/٢ .
- (٢٢٨) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١٥٥ .
- (٢٢٩) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٨١ / ٢ .
- (٢٣٠) المصدر نفسه - ١٨٢/٢ .
- (٢٣١) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٨٢ / ٢ .
- (٢٣٢) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١٥٥ .
- (٢٣٣) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٢١٤ .
- (٢٣٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٢ / ٢ .
- (٢٣٥) ابن خلدون - المقدمة - ص ١٩٢ .

- (٢٣٦) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٣ / ٢ .
- (٢٣٧) ابن خلدون - المقدمة - ص ١٩٣ .
- (٢٣٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٤ / ٢ .
- (٢٣٩) ابن خلدون - المقدمة - ص ١٩٣ - البلاذري - فتوح - ص ٣٠٠-٣٠١ .
- (٢٤٠) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٥ / ٢ .
- (٢٤١) ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٦ .
- (٢٤٢) المصدر نفسه - ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، البلاذري - فتوح - ص ٤٦٦ .
- (٢٤٣) ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٦ .
- (٢٤٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٨ / ٢ .
- (٢٤٥) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ١٦٩ / ٢ .
- (٢٤٦) ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٧-٢٠٨ .
- (٢٤٧) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٠٨ / ٢ .
- (٢٤٨) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٠٣ .
- (٢٤٩) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٠٩ / ٢ .
- (٢٥٠) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٠٨ .
- (٢٥١) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢١٠ / ٢ .
- (٢٥٢) المصدر نفسه - ص ٢١١ / ٢ .
- (٢٥٣) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢١٣ / ٢ .
- (٢٥٤) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٢١ .
- (٢٥٥) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢١٥ / ٢ .
- (٢٥٦) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢١ / ٢ .
- (٢٥٧) المصدر نفسه - ص ٢١٦ / ٢ .

- (٢٥٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢١٧ .
- (٢٥٩) المصدر نفسه - ص ٢ / ٢١٨ .
- (٢٦٠) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٣٩٩ .
- (٢٦١) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢١٧ .
- (٢٦٢) المصدر نفسه - ص ٢ / ٢٢١ - ٢٢٢ .
- (٢٦٣) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ١٩٢ .
- (٢٦٤) المصدر نفسه - ص ١٩٤ .
- (٢٦٥) المصدر نفسه - ص ٢٢٥ .
- (٢٦٦) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ١٨٤ .
- (٢٦٧) ابن الأثير الكامل في التاريخ - ٤ / ١٠٢ .
- (٢٦٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ١٨٥ .
- (٢٦٩) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ١٨٥ .
- (٢٧٠) المصدر نفسه - ص ١٩٣ .
- (٢٧١) البلاذري - فتوح البلدان - ص ١٦٧ .
- (٢٧٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ - ٤ / ١١٠ .
- (٢٧٣) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ١٩٥ .
- (٢٧٤) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١ / ٢٤١ .
- (٢٧٥) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١ / ٢٤٢ .
- (٢٧٦) المصدر نفسه - ص ١ / ٢٤٢ .
- (٢٧٧) المصدر نفسه - ص ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .
- (٢٧٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٠٢ .
- (٢٧٩) خطاب - قادة الفتح المغرب - ١ / ٢٤٥ .

- (٢٨٠) التلمساني - نفح الطيب - ٢٤١/١ .
- (٢٨١) التلمساني - نفح الطيب - ٢٤٤/١ .
- (٢٨٢) المصدر نفسه - ص ٢٤٨ / ١ .
- (٢٨٣) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٥٦/١ .
- (٢٨٤) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٥٦/١ .
- (٢٨٥) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٧/١ .
- (٢٨٦) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٥٧/١ .
- (٢٨٧) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٢/١ .
- (٢٨٨) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٥٨/١ .
- (٢٨٩) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٣/١ .
- (٢٩٠) المصدر نفسه - ص ٢٥٣ / ١ .
- (٢٩١) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٦٠/١ .
- (٢٩٢) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٦١/١ .
- (٢٩٣) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٦١/١ .
- (٢٩٤) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٣/١ .
- (٢٩٥) مؤنس - فجر الأندلس - ص ٩٩ - ١٠٠ .
- (٢٩٦) التلمساني - نفح الطيب - ٢٦٠/١ .
- (٢٩٧) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٥/١ - ٢٥٦ .
- (٢٩٨) مؤنس - فجر الأندلس - ص ١٠٢ .
- (٢٩٩) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٦٦/١ .
- (٣٠٠) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٦٨/١ .
- (٣٠١) مؤنس - فجر الأندلس - ص ١٠٤ .

- (٣٠٢) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٨/١ .
- (٣٠٣) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٧٠/١ .
- (٣٠٤) التلمساني - نفح الطيب - ٢١٨/١ .
- (٣٠٥) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٩/١ .
- (٣٠٦) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٧٣/١ .
- (٣٠٧) المصدر نفسه - ص ٢٧٤ / ١ .
- (٣٠٨) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٧٤/١ .
- (٣٠٩) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٨/١ .
- (٣١٠) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٧٥/١ .
- (٣١١) التلمساني - نفح الطيب - ٢٥٩/١ .
- (٣١٢) مؤنس - فجر الأنلس - ص ١٠٧ .
- (٣١٣) خطاب - قادة الفتح المغرب - ٢٨٤/١ .
- (٣١٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٠٧ / ٢ .
- (٣١٥) عماش صالح قتيبة بن مسلم - ص ٧١ .
- (٣١٦) المصدر نفسه - ص ٧٤ .
- (٣١٧) عماش صالح قتيبة بن مسلم - ص ٧٥ .
- (٣١٨) المصدر نفسه - ص ٧٦ .
- (٣١٩) المصدر نفسه - ص ٧٩ .
- (٣٢٠) عماش صالح قتيبة بن مسلم - ص ٧٩ .
- (٣٢١) المصدر نفسه - ص ٨٠ .
- (٣٢٢) عماش صالح قتيبة بن مسلم - ص ٨١ .
- (٣٢٣) المصدر نفسه - ص ٨١ - ٨٢ .

- (٣٢٤) ابن الأثير - الكامل - ١٠٧/٤ .
- (٣٢٥) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ٨٧ .
- (٣٢٦) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ٩٠ .
- (٣٢٧) المصدر نفسه - ص ٩٥ .
- (٣٢٨) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ٩٦ .
- (٣٢٩) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ٩٧ .
- (٣٣٠) المصدر نفسه - ص ٩٨ .
- (٣٣١) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٠١ .
- (٣٣٢) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٠٢ .
- (٣٣٣) المصدر نفسه - ص ١٠٣ .
- (٣٣٤) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٠٣ - ١٠٤ .
- (٣٣٥) المصدر نفسه - ص ١٠٤ .
- (٣٣٦) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٠٨ .
- (٣٣٧) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١١٠ .
- (٣٣٨) المصدر نفسه - ص ١١١ .
- (٣٣٩) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١١١ .
- (٣٤٠) المصدر نفسه - ص ١١٤ .
- (٣٤١) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١١٩ .
- (٣٤٢) المصدر نفسه - ص ١٢٠ .
- (٣٤٣) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٢٠ .
- (٣٤٤) المصدر نفسه - ص ١٢٢ .
- (٣٤٥) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٢٩ .

- (٣٤٦) المصدر نفسه - ص ١٣٠ .
- (٣٤٧) عماش - قتيبة بن مسلم - ص ١٣٠ .
- (٣٤٨) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٣٦ .
- (٣٤٩) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٢٨ .
- (٣٥٠) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
- (٣٥١) ابن الأثير - الكامل - ٣ / ٢١٨ .
- (٣٥٢) المصدر نفسه - ٤ / ١١١ .
- (٣٥٣) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٣١ - ٤٣٢ .
- (٣٥٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٣٣ .
- (٣٥٥) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٣٢ .
- (٣٥٦) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٣٤ .
- (٣٥٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٠٠ .
- (٣٥٨) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٣٥٩) المصدر نفسه - ١٣٩ .
- (٣٦٠) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٣٥ .
- (٣٦١) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٣٧ .
- (٣٦٢) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٣٦ .
- (٣٦٣) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٣٦ .
- (٣٦٤) المصدر نفسه - ٢ / ٢٣٧ .
- (٣٦٥) ابن الأثير - الكامل - ٤ / ١١٢ .
- (٣٦٦) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢ / ٢٣٨ .
- (٣٦٧) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ٧٦ .

- (٣٦٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٣٨، ٢٤١ .
- (٣٦٩) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٤ .
- (٣٧٠) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٥ .
- (٣٧١) ابن الأثير - الكامل - ٤/١٤٦ .
- (٣٧٢) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٦ .
- (٣٧٣) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٧ .
- (٣٧٤) ابن الأثير - الكامل - ٤/١٤٦ .
- (٣٧٥) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٨ .
- (٣٧٦) ابن الأثير - الكامل - ٤/١٤٧ .
- (٣٧٧) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٩ .
- (٣٧٨) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٤٩ .
- (٣٧٩) ابن الأثير - الكامل - ٤/١٤٤ .
- (٣٨٠) المصدر نفسه - ٤/١٤٧ .
- (٣٨١) ابن الأثير - الكامل - ٤/٧٧ .
- (٣٨٢) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٥١ .
- (٣٨٣) ابن الأثير - الكامل - ٤/١٧٤ .
- (٣٨٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٥١ .
- (٣٨٥) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٠٣ .
- (٣٨٦) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/٢٥٢ .
- (٣٨٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٣٦ .
- (٣٨٨) ابن الأثير - الكامل - ٤/١٤٧-١٤٨ .

- (٣٨٩) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٣٦ .
- (٣٩٠) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٥٣/٢ .
- (٣٩١) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٥٤/٢ .
- (٣٩٢) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٣٣٤ .
- (٣٩٣) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٥٤/٢ - ٢٥٥ .
- (٣٩٤) ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢٥٥/٢ .
- (٣٩٥) المصدر نفسه - ٢٥٥/٢ .
- (٣٩٦) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ٩٦ .
- (٣٩٧) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٢٩ .
- (٣٩٨) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٣٦١-٣٦٢ .
- (٣٩٩) شلبي - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص ١٣٠ .
- (٤٠٠) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ٤١ .
- (٤٠١) المصدر نفسه - ص ٦٨ .
- (٤٠٢) الثعالبي - لطائف المعارف - ٢٢ .
- (٤٠٣) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٢ .
- (٤٠٤) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ٩٢ .
- (٤٠٥) المصدر نفسه - ص ٩٣ .
- (٤٠٦) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٤٩٤ .
- (٤٠٧) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٢ .
- (٤٠٨) المصدر نفسه - ص ٨٣ .

- (٤٠٩) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٣ .
- (٤١٠) المصدر نفسه - ص ٨٤ .
- (٤١١) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٤٩٦ .
- (٤١٢) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٣ .
- (٤١٣) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٥١٥ .
- (٤١٤) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٣ .
- (٤١٥) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ١٤٥ .
- (٤١٦) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٤ .
- (٤١٧) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ١٤٧ .
- (٤١٨) المصدر نفسه - ص ١٤٧ - ١٤٨ .
- (٤١٩) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٥٩٧ - ٦٠٠ .
- (٤٢٠) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٥ .
- (٤٢١) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ٢٢٢ .
- (٤٢٢) ناجي ، وآخرون - الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٥ .
- (٤٢٣) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٣٤ .
- (٤٢٤) المالكي - رياض النفوس - ١٨٧/١ .
- (٤٢٥) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٣٩ .
- (٤٢٦) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٣٩ .
- (٤٢٧) المصدر نفسه - ص ٤٠ .
- (٤٢٨) المالكي - رياض النفوس - ٤٠٠/١ .

- (٤٢٩) المصدر نفسه - ص ١٨٧/١ - ١٨٨ .
- (٤٣٠) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٤٩ .
- (٤٣١) المالكي - رياض النفوس - ١٨٨/١ .
- (٤٣٢) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٥٠ .
- (٤٣٣) المالكي - رياض النفوس - ١٨٨/١ .
- (٤٣٤) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٥٢ .
- (٤٣٥) المصدر نفسه - ص ٥٤ .
- (٤٣٦) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٥٥ .
- (٤٣٧) المالكي - رياض النفوس - ١٧٣/١ .
- (٤٣٨) الدوري - صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي - ص ٧٧ .
- (٤٣٩) جلوب - إمبراطورية العرب - ص ٦٤٨ - ٦٥٠ .
- (٤٤٠) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٢ .
- (٤٤١) المصدر نفسه - ص ٣٤ .
- (٤٤٢) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٤ .
- (٤٤٣) المصدر نفسه - ص ٣٥ .
- (٤٤٤) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٥ .
- (٤٤٥) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٥-٣٦ .
- (٤٤٦) المصدر نفسه - ص ٣٦ .

* مرجع الأسقف تقع عند المخرج الشمالي امضيق جبل طوروس ، وهي جنوب مدينة
ملنقوبية .

- (٤٤٧) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٧ .
- (٤٤٨) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٨ .
- (٤٤٩) الدباغ - معركة عمورية - ص ٣٩ .
- (٤٥٠) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٠ .
- (٤٥١) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٠ .
- (٤٥٢) المصدر نفسه - ص ٤١ .
- (٤٥٣) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٢ .
- (٤٥٤) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٢ - ٤٣ .
- (٤٥٥) المصدر نفسه - ص ٤٣ .
- (٤٥٦) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٣ .
- (٤٥٧) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٤ .
- (٤٥٨) المصدر نفسه - ص ٤٥ .
- (٤٥٩) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٥ .
- (٤٦٠) الدباغ - معركة عمورية - ص ٤٦ .
- (٤٦١) المسعودي - مروج الذهب - ٤٧٣/٣ .



المصادر و المراجع

٣	المصادر	
١	ابن الأثير	عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣هـ) (الكامل في التاريخ ، تصحيح عبد الوهاب النجار مصر ١٣٤٨ هـ) .
٢	ابن أعثم	أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣٤١هـ) (كتاب الفتوح ٨ أجزاء ، مطبعة مجلس دار المعارف حيد آباد - ١٩٧٢ .
٣	البلاذري	أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٩٧هـ) (فتوح البلدان) راجعه وعلق عليه - رضوان محمد رضوان - بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٧٨ .
٤	التلمساني	أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١هـ) (نفح الطيب) - تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٦٧ هـ .
٥	الثعالبي	أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ) (الطائف المعارف) تحقيق إبراهيم الأبياري - القاهرة - ١٩٦٠ .
٦	ابن خلدون	عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) (مقدمة ابن خلدون) - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط (٣) - (د.ت) .
٧	ابن الخياط	خليفة (ت نحو سنة ٢٤٠ هـ) (تاريخ خليفة بن خياط) - تحقيق - أكرم ضياء العمري النجف - مطبعة الآداب - ١٩٦٧
٨	ابن سعد	محمد (ت ٢٣٠هـ) (الطبقات الكبرى) - بيروت - دار راصد - ١٩٦٠ .
٩	الطبري	أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) (تاريخ الرسل والملوك) - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - مصر - دار المعارف - ١٩٦٧ .

١٠	ابن عبد الحكم	أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) (فتوح مصر وأخبارها) - لندن - ١٩٢٠ .
١١	قدامه	أبو الفرج قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧ هـ) (الخراج وصناعة الكتابة) - تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي - بغداد - ١٩٨١ .
١٢	المالكي	أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٣٥ هـ) (رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم و نسايتهم و سير من أخبارهم وفضلائهم) - تحقيق - حسين مؤنس - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٥١م الجزء الأول .
١٣	المسعودي	أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) (مروج الذهب) - دار الأتئلس - بيروت - ١٩٦٥ .
١٤	ابن هشام	محمد بن عبد الملك (ت نحو سنة ٢١٨ هـ) (السيرة النبوية) - تحقيق - مصطفى القادر إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي - مصر - مطبعة البابي الحلبي - ١٩٥٥ .
١٥	الواقدي	محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ) (فتوح الشام ومصر) .
١٦	ياقوت	شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٢٦ هـ) (معجم البلدان) - تحقيق أمين الخانجي ٨ أجزاء - القاهرة - ١٩٢٣ .
١٧	اليقوبي	أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤ هـ) (تاريخ اليعقوبي) - جزآن - بيروت - ١٩٦٠ .

٣	❧ المراجع	
١٨	الأنباري	د. عبد الرزاق علي (تاريخ الدولة العربية) بغداد ١٩٨٥ .
١٩	أومان	(الإمبراطورية البيزنطية) ترجمة طه بدر - القاهرة - ١٩٥٣
٢٠	جلوب ،جون	(إمبراطورية العرب)- ترجمة وتعليق ، خيرى حماد - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٦ .
٢١	حسين ، طه	الشيخان ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٩
٢٢	خطاب محمد شيب	قادة فتح المغرب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٦ .
٢٣	الدوري	العصر العباسي الأول، بغداد - ١٩٤٥
٢٤	عبد العزيز سالم	(مقدمة في تاريخ صدر الإسلام) - بيروت ١٩٦٠ .
٢٥	الدوري تقي الدين	(صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النور مندى) - بغداد ١٩٨٠ .
٢٦	الدباغ لطفى حمدي و حازم حسن العلي	(معركة عمورية) - بغداد - ١٩٨٦ .
٢٧	السيد عبد العزيز سأهم بالاشترآك مع أحمد مختلر عبادي	(تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس) - بيروت - ١٩٦٩ .
٢٨	شلبى ، أحمد	(التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية) - (د.ت)
٢٩	عماش ، صالح مهدي	(قتيبة بن مسلم الباهلي) بغداد - ١٩٧٨
٣٠	العدوي إبراهيم أحمد	(الأمويون والبيزنطيون) - مصر - ١٩٦٣ .

٣٢		
٣١	كمال أحمد عادل	(الطريق إلى المدائن) - بيروت - ١٩٧٧ .
٣٢	المعاضدي، عبد القادر، محمد جاسم المشهداني	(عثمان بن عفان ذو النورين) - بغداد - ١٩٨٩ .
٣٣	مؤنس حسين	(فجر الأندلس) - الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٥٩ .
٣٤	ماجد عبد المنعم	(التاريخ السياسي للدولة العربية) - الجزء الأول - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٦٧ .
٣٥	ماجد عبد المنعم	(التاريخ السياسي للدولة العربية) الجزء الثاني - عصر الخلفاء الأمويين ، (د.ت) .
٣٦	ناجي عبد الجبار وآخرون	(الدولة العربية في العصر العباسي) - بغداد - ١٩٨٩ .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين	٥
١- الفتوحات في عهد الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)	٧
- البدء بفتح العراق والشام	٨
- بدء تحرير العراق	١٢
- بدء تحرير الشام	٢٠
٢- الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)	٢٥
- حروب التحرير على جبهة العراق	٢٦
- معركة القادسية	٣٢
- حروب التحرير على جبهة الشام	٦٦
- معركة اليرموك	٦٧
- فتح بيت المقدس	٧٠
- فتح مدينة حلب	٧٩
- فتح مصر	٨١
- فتح عين شمس	٨٢
- فتح حصن بابلين	٨٤
- فتح الإسكندرية	٨٨
٣- الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)	٩١

- الفتوحات في جبهة المشرق ٩١
- استكمال فتح بلاد فارس ٩١
- فتح كرمان ٩٩
- فتح سجستان ١٠٠
- فتح خراسان ١٠٢
- فتح طبرستان ١٠٥
- فتح طخارستان ١٠٦
- فتح أرمينية ١٠٧
- إنشاء القوة البحرية ومحاربة الروم في الروم ١١٠
- فتح قبرص ١١٢
- معركة ذات الصواري ١١٤
- البدء لفتح صقلية ١١٥
- فتح جزيرة رودس ١١٧
- البدء بفتح بلاد المغرب العربي (إفريقية) ١١٨
- الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية ١٢١
- ١- الفتوحات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ١٢٣
- استكمال الفتوحات في جبهة الروم ١٢٤
- استكمال فتح أفريقية ١٢٩
- الغارات العربية على صقلية ١٣٥
- ٢- الفتوحات في عهد الخليفة يزيد بن معاوية ١٣٧
- ٣- الفتوحات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ١٣٩
- عودة الفتوحات على جبهة الروم ١٣٩
- استكمال فتح أفريقية ١٤٢

- حركة الفتوحات والتعريب ١٤٥
- فتح بلاد ما وراء النهر ١٤٩
- ٤- الفتوحات في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ١٥٦
- عودة الفتوحات على جبهة الروم ١٥٧
- فتح الأندلس ١٥٨
- فتح إشبيلية ١٦٢
- فتح ماردة ١٦٢
- فتح إشبيلية ثانية ١٦٣
- فتح شمال الأندلس ١٦٥
- فتح شمال الأندلس ١٦٥
- فتح بلاد ما وراء النهر ١٧١
- فتح بيكند ١٧٢
- فتح بخارى ١٧٥
- فتح خوارزم ١٧٧
- فتح سمرقند ١٧٩
- فتح الشاش (طاشقند) وفرغانة ١٨١
- فتح كاشغر الصينية ١٨٢
- فتح بلاد السند ١٨٤
- ٥- الفتوحات في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك ١٨٩
- حصار المسلمين للقسطنطينية ١٨٩
- فتح بلاد بحر قزوين ١٩٢
- ٦- الفتوحات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٩٦
- معركة بلاط الشهداء ١٩٧

١٩٩	الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة العباسية
٢٠١	١- الفتوحات في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور
٢٠١	- الفتوحات على جبهة الروم
٢٠٣	٢- الفتوحات في عهد الخليفة المهدي
٢٠٣	- استكمال الفتوحات على جبهة الروم
٢٠٥	٣- الفتوحات في عهد الخليفة هارون الرشيد
٢٠٥	- الفتوحات على جبهة الروم
٢٠٧	٤- الفتوحات في عهد الخليفة المأمون
٢٠٧	- استكمال الفتوحات على جبهة الروم
٢٠٨	- استكمال فتح صقلية
٢١٢	٥- الفتوحات في عهد الخليفة المعتصم
٢١٣	- فتح عمورية
٢٢٠	- حصار عمورية
٢٢٢	- سقوط عمورية
٢٢٥	الهوامش
٢٤٩	المصادر والمراجع
٢٥٣	الفهرس
